سورة آل عمران

دراسة إجمالية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهرلكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهرلكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفرالله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الثاني عشر (٢٨ جمادى الأولى ١٤٤١ هـ)

الآيات (١١٨-١٢٣)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، نسأله بمنّه وكرمه أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح وأن يجعل هذه الساعة ساعة مباركةً علينا يرفع بها درجاتنا ويغفر لنا ذنوبنا، اللهم آمين.

إن شاء الله هذا الفصل الدراسي سيكون كلامنا عن الثمانين آية الباقية من سورة آل عمران، وقد مرّ معنا سابقًا ١٢٠ آية، درسناها وكانت هذه ال (١٢٠) آية دائرة حول موضوع رئيسي، وهو **موضوع رد الشبهات.**

المقصد الثاني من السورة (رد شبهات المنافقين)

الثمانين آية إن شاء الله ستكون ختام للسورة، ستكون لاحقة لهذا المعنى أيضا وستكون ردًّا للشبهات.

لكن هذه المرة ليست شبهات النصارى المختلط بها شبهات اليهود، و إنما هنا شبهات المنافقين.

النقاش هنا غالبا سيكون دائرًا حول النفاق.

وطبعًا النفاق يد ممتدة داخل المجتمع الإسلامي متعاونة مع أهل الكفر بصورة أو بأخرى هي متعاونة مع أهل الكفر، ممكن تكون بصورة مباشرة متعاونة مع أهل الكفر، وممكن تكون بصورة غير مباشرة.

سيهمنا في الثمانين آية، الله يفهمّنا ويعلمّنا؛ لأن القرآن تدرسين نفس السورة مرة بعد مرة وتبقين لازلتِ في جهل بالمفاهيم الموجودة في الآيات.

لكن هذه المرة سيكون تركيزنا، ونحن ندرس على صفات أهل الإيمان وصفات أهل النفاق.. **لماذا؟**

لأنه لازم ما تأمنين النفاق، ما في مؤمن يأمن النفاق بحيث تجلسين مرتاحة تشعرين أن الحمد لله النفاق بعيد عني، **لماذا؟**

سنتناقش في البداية في مسألة النفاق، وهذا الكلام ما أود منكم تكتبوه على أوراقكم أنا أود منكم أن تكتبوه في قلوبكم، **لأن هذه حالة فارقة بين أهل الإيمان وأهل الكفر.**

النفاق هذا عبارة عن حالة خداع كبيرة للإنسان، يخدع فيها نفسه، ويخدع فيها غيره، يظن نفسه من أهل الإيمان، وهو في حقيقته من أهل الكفر.

ولذلك لما تدارسنا سابقا سورة البقرة الله عزّ وجل ختم أوصاف المؤمنين بماذا؟

{الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (١)

لاحظوا اسم الإشارة أولئك الدال على ارتفاع منزلتهم.

بعد ما وصف الله الكفار ووصف المنافقين، وصف الفريقين جميعا ماذا قال عنهم:

{أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ} (٢)

بمعنى الفريقين معًا اشتروا الضلالة بالهدى.

فصار الناس مقسومين لقسمين أساسيين: قسم إيمان، وقسم كفر.

إلا أن الكفر له لونان: لون صريح، ولون غير صريح.

أين الأزمة؟

الأزمة في النفاق؛ لأن هذا اللون من الكفر صورة خارجية كأنه يشبه المؤمنين وحقيقته مع الكافرين، والحكم عليه مع الكافرين.

---

(١) سورة البقرة ١-٥

(٢) سورة البقرة ١٦

فلابد يكون الإنسان يكون في شدة حرص أن يفهم صفاتهم، ويعرض نفسه دائمًا على هذه الصفات دون وسواس يوصله لحد الخوف يسبب له اليأس ودون الأمن والثقة.

وأهم شيء في هذا الكلام أنه عندما نلقى ربنا -هذا الكلام للكبار والصغار- لما نلقى ربنا بعد هذه الدروس ما في أحد يعتذر لربنا أني ما عرفت صفات المنافقين، ولذلك لم أستطيع الحذر منهم، سيكون كلنا قد قامت علينا الحجة في معرفة صفات أهل النفاق.

الله يعيذنا من النفاق، الله يزيدنا إيمان، الله يثبتنا على الصراط المستقيم إلى الممات.

الوصول من خلال الآيات لصفات النفاق فيه تثبيت للمفهوم أسهل من أننا نعد صفات المنافقين منفردة بدون ما نفهم موقفهم في داخل الآيات.

وإن شاء الله نفهمه فهمًا يزيدنا إيمانا ويبعدنا عن صفاتهم.

أهم صفات المنافقين عموما

عموما قبل ما ندخل في التفاصيل نتكلم عموما عن صفاتهم:

أهم صفة تفرق المؤمن عن المنافق صفة الصدق، **ويقصد بالصدق أصل الصدق وهو الصدق مع الله ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

وهذا معنى لا يمكن فهمه نظريًّا، بل لازم تعيشين مفاهيمه عمليًا؛

مهما شرحنا ما هو الصدق كلام نظري ما يأتي بنتيجة، بل لازم أنت بنفسك تعيشين معاني الصدق.

والله عزّ وجل ما يتركك لا تتعلمين، بل يختبرك اختبار بعد اختبار، والاختبار الذي تعرفين فيه أنتِ صادقة أم لا دائمًا سيأتيك الموقف فيه محك هل حقا تريدين رضا الله أم هوى نفسك؟

تكونين في موقف وتقولين: هل هو رضا الله، أم هوى نفس.

ولذلك ممكن الإنسان أن يستقيم زمنًا طويلًا وهو لم يلاحظ هذا الاختبار.

سأضرب لكم مثلا لتقريب المعنى:

هذا رجل قد عُرف في الزمن الماضي الذي كان فيه الناس يحجون على الرواحل، عُرف أنه يحج كل سنة من العراق إلى مكة ماشيًا على قدميه ما يركب الراحلة ذهابًا وإيابًا، عاد من الحج بعد زمن وهو نائم على فراشه، طلبت منه أمه كأس ماء فتكاسل عن القيام له!

قارني الآن بين المشقة الحاصلة بالسير على الأقدام من العراق إلى مكة، بالمشقة الحاصلة من أن يقوم من على فراشه ويذهب يحضر لأمه كأس ماء؛ فهل هناك نسبة وتناسب؟

لا، أصلا ما في نسبة وتناسب

أين كانت المشكلة؟! لماذا سوّى نفسه نائمًا وما رد على أمه، مع أن بر الوالدين، **أكيد بر الوالدين أوجب من حج النافلة.**

فماذا يقول هذا الاختبار؟

يقول: أنت فعلت هذا للناظرين إليك، أي تحملت هذه المشقة كلها للناظرين إليك، لكن بينك وبين أمك كانت المسألة خفية! ما في أحد يمدحك عليها

فهي بالمصطلح المعاصر اسمها تحقيق الذات، الناس يعملون أعمالًا ليحققوا ذواتهم، وكي يوجدوا نفسهم.

فأنت على حسب المجتمع الذي أنت فيه، إذا هذا المجتمع مستقيم وفي حالة جيدة فيصير تحقيق الذات أن تكون مستقيما مثلهم، في الخفاء الله أعلم ماذا يكون!

إذا المجتمع غير مستقيم أول ما تأتي له انفلاتات، وأنتم تعلمون أن الله يختبر العباد لما يمرون بمراحل يكثر فيها أهل النفاق، لازم يقبض الله الدين، كي يخرج مثل هؤلاء الملتصقين بالدين التصاقًا لأجل مصالحهم.

لذلك لا تعّيبي زمانك وتقولي فتن وفتن، صحيح لا ننكر الفتن- الله يثبتنا- لكن هذه الفتن لازم منها؛ لأنه لما يصير للإيمان قوة يلتصق به من ليس من أهله، وبعد ذلك الأعمال تحسب على أهل الإيمان، لكن ينقبض الدين عندها يخرجون هؤلاء وينفروا من كل جهة.

الشاهد أن فيه كثير من المفاهيم وأسلوب في التفكير حاصل عند الناس أنهم يوجدوا أنفسهم ويجعلوا الدين سلمًا ليرقوا عليه، لكن الله ما يترك هؤلاء أبدًا، كلنا ما يتركنا، لازم يأتي اختبار جوابه: نعم لرضا الله، أو لا لرضا الله ونعم لهوى النفس.

لكن المشكلة أين؟

عدم التنبه للاختبار، الاختبار ما عنده عنوان، ليس مثل اختباراتكم في المدارس اختبار مادة كذا، فتدخلين وأنت فاهمة ما هي المادة، بل يأتي الاختبار ما تعرفي ما اسمه، ومن ثَمّ تدخلين ما لك إلا أنك تستهدين وتستهدين رب العالمين، وتنكسرين، وتذلّين حتى يرشدك إلى رضاه، وتعترفين وتنكسرين: يا رب أعنّي على رضاك، ووصلّني إلى رضاك، أهم شيء أنت ترضى، وليس أنا أصل إلى ما أريد، رضيني بما يرضيك إلى آخر الصدق الذي يكون مع الله.

لأن الكذب في الجهة الثانية، الكذب يسير جدًا على النفس، نفترض مثلا هذا في موقف حقيقي واحد يحكي أنه كان له ترقية، وهذا كلام واقعي حاصل قريبا، كان له ترقية في جامعة من الجامعات في دولة إسلامية لم يرقّوه، ماذا فعل؟ جمع عزاله وقدّم على دولة أجنبية وهو عنده درجة علمية أخذته الدولة الأجنبية، فالسائل يسأله في ذلك الزمان ما الفرق بين الدرجة التي كنت عليها، وبين الدرجة المفروض يرقوك فيها قال له: مئتين ريال، لكن قهروه لأنه ما أعطوه الدرجة وأعطوا الدرجة لغيره.

لم يسأله هذا السؤال؟؟

لأنه هو كشخص تقريبًا ماسك دينه، لكن عنده أبناء ملحدين، طبعا هو خرج وذهب لتلك الديار، وذلك من أجل أن ينجح، طيب عنده ذرية أين ستكون؟ طبعًا ستكون هناك ويتعلموا، انظري التضحية الآن، طبعا هو ما قدرها في ذلك الزمان بهذه الطريقة، هو كيف قدرها؟ بأنهم اعتدوا علي، قدرها بأنهم ما احترموني، ما أعطوني، قدّرها بالواسطات رقيتوا هذا وتركتموني!

في النهاية ما فهم أنه اختُبر، هذه هي القضية، ما فهم الآن أنه مختبر، فالاختبارات التي تفرق بين المؤمن والمنافق ما تأتي تقول لك: أنا ترى اختبار تفريق، أو أنا اختبار قياس، هو يأتي وتدخل في الاختبار، وتخرج إما ناجح ،وإما الله يعيذنا.

والناجح له جنات النعيم، والذي يفشل في هذا الاختبار ما له إلا النار.

فالمقصد أن هذه حقيقة الفارق أنك ممكن تكون مؤمن، أو ممكن تكون مدّعي الإيمان.

ما هي الحقيقة الموجودة في داخلك؟ هذه تظهر في أحد الاختبارات.

غزوة أحد الآن التي هي موضوع الدراسة، ستكون أحد الاختبارات التي اختبر فيها المؤمنون، وسيظهر فيها: **منافقين، ومؤمنين يعصون ويخطئون، ومؤمنين يثبتون!**

فلو حصل الخطأ ما يُنقل الإنسان على النفاق مباشرة، فالغزوة مشهورة وفيها سيأتي الرماة الذين أخطئوا لكن خطأهم لا ينقلهم إلى النفاق، وسيتبين بعد ذلك:

- ✓ **من الذي خطأه نقله للنفاق**
- ✓ **ومن الذي خطأه نقله للمعصية**
- ✓ **ومن الذي ثبت.**

على كل حال نبذل جهودنا ونقرأ الآيات على قدر ما يفتح لنا رب العالمين، وأيضًا سنقرأ فصل يسير جدًا لابن القيم فيه فوائد من هذه القصة المباركة المذكورة هنا، إن شاء الله قراءتنا لابن القيم تفتح أذهاننا وتزيدنا علما، الله يبارك لنا ويجعل أعمالنا خالصة له، ودراستنا لهذا الجزء من السورة سبب لأن نكون في وقاية من النفاق، الله يجعلها حماية لنا جميعا من النفاق

الآن سنبدأ من الآيات المطلوب دراستها والتي من الآية (١٢١)، لكن سأذكركم قراءةً بالآيات السابقة التي هي مدخل السورة، وأيضًا سأنبهكم أن وقتنا محدود جدا في هذا الفصل الدراسي، المقصود ما عندنا إلا ثمان لقاءات.

شرح الآيات (١١٨-١٢٠)

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}[١]

أول هذا السياق: نهي المؤمنين عن ماذا؟ أن يتخذوا بطانة مِنْ مَنْ؟ {مِنْ دُونِكُمْ} **ما المقصود؟** من دون المؤمنين

سيكون هنا في احتمالين:

الكفار أو المنافقين. **ولما تكمل الآيات سنعرف من المقصود؟**

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ}

من دونكم: يعني من غيركم (يعني إما كفار أو منافقين).

ما حالهم؟ {لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا} يعني ما يقصروا فيكم؛ بمعنى أنهم يشيرون عليكم بآراء تسبب الخَبال لكم، يعني ما يرشدوكم إلى الصواب، يشيرون لكم بآراء تسبب الخَبال لكم

---

(١) سورة آل عمران ١١٨-١٢٠.

ماذا في نفسهم؟ {وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ}

بمعنى يحبون لكم العنت: أي يحبون لكم الشقاء.

تقدر تميزهم؟ كيف تميّزهم؟

نعم نقدر نميّزهم {قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ} بمعنى يجري على ألسنتهم بعض الكلمات الدالة على بغضهم للمؤمنين.

أنت لا تكون مغفل؛ يقولون كلام يدل على بغضهم، وأنت مغفل تعمل الذي يعملوه وتقلدّهم، وتعجب بهم، وتنبهر بهم وهم قد بدت البغضاء منهم، يعني المغفل الذي لا يفهم.

{وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} أخبر الله عز وجل أن الذي في صدورهم أكبر من الذي أخرجوه، ومن ثَمّ لن يتركوك حتى يوصلوك إلى حال تكون فيها عبدًا لهم.

وانظروا لشيء الله يحفظنا كلنا وشبابنا والمسلمين والمسلمات مثل المخدرات التي أذهبت عقول الشباب، هذه كله له أسباب بدأت من عند أهل الكفر، وانتقلت إلى أهل النفاق، يبيع ويشتري في عقول المسلمين، وما همّه إلا المال، هذا لا يكون مؤمن في حال من الأحوال، الله يعيذنا

الآن على حال أتت أوصاف لهم في الآيات التي بعدها:

{هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ}[1] يعني أنتم تحبون لهم الإيمان، وهم لا يحبون لك الإيمان، يحبون لك الكفر، يحبون أن تكون كافرًا.

وهذه المقاييس مهمة جدًا، حتى وأنتم تختارون صاحباتكم، أو تجاورون أحد من الناس، ركّزي أنت تحبين لها الخير، تحبين لها مثلا أن تحفظ درسها، تكمل فرضها، تكمل واجبها الخ، وهي مستهترة! أنت تساعدينها، وهي ما هي راضية تساعد نفسها.

ما الذي يرضيها؟ أنك أنت تصيرين مثلها.

فمن أجل ذلك لما تُنْهون من والديكم أو من المرشدين أن تصحبوا أحد يظهر عليه علامات الاستهتار، لأنك أنت تحبين لها الخير، وهي تجلس معك لا تحب لك الخير.

والدليل على ذلك مثلاً تقولين لها: احفظي، وهي تقص عليك سوالف كلام، أو على الأقل تجيب لك إحباط أن ما لي نفس!

فلما تجلسين مع واحد عنده إحباط ما له نفس، تصير أنت مثله كمان ما لك نفس.

فمن أجل ذلك انظري الآية السابقة الله عزوجل يقول:

{قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ}[2]

الله بيّن الآيات؛ يعني لا تصاحب أحد أنت تحبه وهو ما يحبك.

ما مقياس تحبه ويحبك؟

[1] سورة آل عمران ١١٩
[2] سورة آل عمران ١١٨

المقياس هو: الرشاد، الصلاح، الوصول إلى المصالح.

فلا تصاحب قوم أنت تحب لهم الخير، وهم ما يحبون لك الخير.

في المسألة الكبيرة أنت تحب لهم الإيمان، وهُم ما يحبون لك الإيمان.

في المسائل التفصيلية التي نعيشها في الحياة، أنت تريدهم يكونون أحسن وهُمّ يردّوك إلى الوراء، فكن حذر ترى الله بيّن الآيات.

ولذلك في أحيان كثيرة لازم نأخذ قرار، أن نرحل ونترك أصحابنا، وهذا مُحصّلة سنين أنا أختصرها عليكم.

فأنتم يا بناتي بعد كل مرحلة تجدون أنفسكم قد تركتم وراءكم كثير من زميلاتكم؛ لأن هذه الصفة تظهر فيهم؛ وهي أنك تحبين لها أن تكون أحسن وأفضل، وهي ما تحب لك أن تكوني أحسن وأفضل وتردّك للوراء.

لا تؤخري وقت الاستفاقة؛ لأن الإنسان ليس شرطًا أن يستفيق من سحر هؤلاء وأثر هؤلاء، ما يستفيق مباشرة وإنما بعد فترة من الزمن يستفيق ويعلم أن هؤلاء ردّوه إلى الوراء.

لما يستفيق يكون أكيد خسر أشياء كثيرة، لا تؤخري وقت الاستفاقة بسرعة فكري، الذي يجلس معك يحب لك الخير، والخير والرشاد أمر واضح.

أنت تناديه للصلاح، وهو يناديك للدنيا! وطول الوقت يشعر بالملل، وطول الوقت يغوص في مشاكل لا قيمة لها! وطول الوقت سرحان، فسيردّك هذا للوراء مباشرة.

لا تتأخري في الاستفاقة، تلك هي النصيحة.

والذي يماثلك في حب الخير، فهذا سيستمر معك لزمن طويل.

على كل حال ليس شرطا أن يجد الإنسان دائما أحد يحب الخير معه، إلا سيتقدم عليك أزمنه، إلا ستتقدم وتتركون الأزمنة التالية والتالية، وبعد ذلك ستجد ناس آخرين ثم يكتشف أيضا إذا كانوا هم يحبونك أو ما يحبونك، وترحل وترحل إلى أن يوصلك الله عزّ وجل إلى بر الأمان.

لذلك الله عز وجل يبين للمؤمنين، هناك مَن يجاورك يُلبّخك في الرأي، ويجعلك ما تعرف الحق من الباطل.

وهذه الآيات وإن كانت نزلت في المنافقين، فهي منهج قويم للتفكير وللتواصل مع الناس.

هناك ناس يلبّخوك لا تعاشرهم، تحبهم وما يحبوك، بذلك فهمنا معنى تحبهم وما يحبوك..

ليس هذا الحب الذي هو المشاعر، يعني أنت تحبين الجلوس معها وتؤنسك، لا ليس هذا، لأنها بعد قليل سينتهي الأمر، ويبقى دائما في ناس يردونك للوراء وفي ناس يتقدمون معك.

تأتي **الصفة الثانية** وهي:

{وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ}

في الآية إضمار هنا إذا كان أنتم تؤمنون بالكتاب كله، هُمّ لا يؤمنون به.

إذًا هذا المقياس الثاني: لاحظوا هنا في الآيات واضح جدا أن هؤلاء كذّابين ما يؤمنون، أنتم تؤمنون بالكتاب كله.

ولو تكلمنا عن العلاقات، كل شوي تجد عقائد أساسية؛ مِن عقيدة التوكل على الله، وعقيدة الثقة بالله، والإيمان بالله، والخوف من الله، رجاء الله، عقائد موجودة عندك، والذي يصاحبك ضعيفة، ضعيفة عنده، وربما تكون غير موجودة، وممكن أحيانا يقول لك: أنت مصدقة الكلام؟!

كأنه كلام نظري من الصعب تطبيقه عمليًّا!

بذلك هذا سبب ثاني يجعلك تتركين وترحلين؛ أول ما تجدين أنه معك عقائد ثابتة، والذي معك ليس ذا عقيدة ثابتة.

إذًا بهذا صفتين:

- ✓ **الصفة الأولى: أنكم تحبونهم ولا يحبونكم.**
- ✓ **الصفة الثانية: تؤمنون بالكتاب كله، الإضمار: أنهم لا يؤمنون به**

كيف تقيسيها في علاقاتك الآن: الأمور التي تعتقدين فيها؛ إذا أنت وجدت الذي يصاحبك ضعيف في عقيدته، عليكِ أن ترحلي وتتركي هو هذا الذي سيحصل أصلا تلقائيا.

الصفة الثالثة:

{وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ}

هذه صفة أكيد ستجعلنا متأكدين مَنْ هؤلاء! نحن كنا نقول: كفار أو منافقين

لازم ستقابلين في حياتك ناس حاسدة، والمنافقين هذه صفة قوية جدا فيهم أنهم يحسدون الناس على ما آتاهم الله.

ولا تتصوري ما آتاهم الله يعني لا تقولي: ليس عندي مال، فسيحسدونني **على ماذا!**

ليس شرط الذين عندهم مال، ولا زيادة في الدنيا، كونك مستقر نفسيا بسبب ما تعتقده، كونك عندك دافعية تعمل، عندك أمل، عندك رجاء، هو واحد معقّد نفسيا محبط، والغد عنده لا شيء بالنسبة له، هو هذا يكفيه أن يحقد عليك.

إذا لقوكم كان لهم وجه، وإذا اختفوا عنكم أصبح لهم وجه آخر.

وهذا شيء ما يحتاج لأنه أصبح موجود جدا وواضح جدا في العلاقات.

ولذلك كل شيء يهون في العلاقات إلا الخيانة؛ أي أحد يطعنك من خلفك، فهذا لا تعيد معه علاقة أبدا، ولا تفكر تعيد معه علاقة أبدا.

طُعنت من الخلف يعني استأمنته وحكّيت له، وطبعًا هذه من الأخطاء أن الواحد يتكلم، ويتكلم مع ناس هو ما يدرك من هُمّ.

وأحيانا استشرته، وفي النهاية وجدت حتى لما يشيرك يشير عليك لمصالحه؛ يعني يشير عليك بكلام لأجل أن يحقق لنفسه مصلحة، أو يخرج يقول عنك: ترى هذا هزؤ ما عنده شخصية ولا شيء، ترى أنا أقويه، وأجعل له شخصية، وأنا حتى من اختار له ملابسه مثلا نفترض!

مثل هذا إذا قابلك قال كلام، وإذا غاب عنك طعن في ظهرك، فخلاص ربنا الله عز وجل يقول: {قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ}، لازم تفهم أنه في قوم تعيش معهم، من السهل جدا أن يطعنوك في ظهرك.

فلا تعيد معهم التجربة، لا تقول غلطة ما كان قصدهم، سيخبلونك هؤلاء.

لازم تعرف أنه في مقاييس واضحة ما تخطئ، إذا حصلت ما تخطئ.

طيب هذا إذا حصلت عليك، شيء مهم أنها لا تحصل منك؛ لأنها مشكلة كبيرة تكاد تشير إلى أن تكون قريب من النفاق؛ فكن حذرًا.

حب لنفسك الخير وكن عاقلًا، ولا تكن سبباً لتلبيخ غيرك، حب لنفسك الخير، وحبه لغيرك.

والخير ما هو الدنيا والجري وراءها، الخير أن تكون ساميًا، صالحاً، مساعد لنفسك أن تكون راقيًا.

{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}[١]

لازم تعرفين أن هذه علامتك الإنسانية، أن تكون مزكية لنفسك، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها.

انظروا الناس يحصلوا على درجات علمية، ويصير لهم مكانة، ويصير لهم وضع، في النهاية لو دسّوا أنفسهم، لو قابلتيهم بعد عشرين سنة وعندهم درجات العلمية، وبيتهم الفخم الجميل، لكن هي مدسّية نفسها من أول لقاء ما تحتملين أن تكمليه، لو زكّت نفسها ستجدين أثر هذا ولو كلمتها بالهاتف من بعيد.

<u>الشاهد</u> أن تحبي لغيرك ما تحبينه لنفسك من الإيمان، والتقوى، والصلاح، والرشاد.

الشيء الثاني:

تؤمنون بالكتاب كله:

---

(١) سورة الشمس ٧-١٠

تقوي نفسك كل حين في العقيدة، وتقوي صاحباتك، وما تكونين أنتِ الضعيفة، بالعكس إذا كانوا هم أقوى منك في شيء من الاعتقاد؛ تمر الأيام وتقولين: أنا تعلمت من فلانة حسن التوكل على الله، تعلمت من فلانة الرجاء وعدم اليأس، التفاؤل إنسانة متفائلة كلما دخلت عليّ انشرح صدري؛ فلما تجلسين مع أحد متفائل يجعل لك لون الدنيا خضراء مهما كانت المشاكل وأبشري وأبشري وما يصير إلا الخير.

وهذا صحيح لأن غدًا ربما الله يجعلكم في مكان تعالجون مشاكل الناس.

وأنا أحكي لكم موقف بسيط يحصل دائما معي في جمعية كفى؛ لأن غالب الذين يأتون أمهات المدمنين للمخدرات، وامرأة من ثلاث سنوات وهي تأتي تقول لي: يعني من أردى لأردى الابن - الله يشفي جميع المسلمين - وكلما كانت تأتيني فالله يرزقني أن أقول لها هذا الكلام، وأنا أستعجب من هذا الرزق، أنها تأتي في هذه الحال ويكون الكلام جاريًا على اللسان؛ أن أبشري وغدًا سيكون والله سيغيّره، لكن أنت فقط الزمي الدعاء.

فتقول: أنا ما في وقت إجابة، وما في جمعة إلا أذهب الحرم وأدعو لكنه من أردى لأردى.

ففي السنة هذه الماضية أتت، وقالت لي بدون أي سبب، بدون أي سبب استقام والتزم!

تقول حتى أنا أسأله ما الموقف الذي سبّب لك هذا؟ فما عنده موقف سبّب له هذا.

الآن تصوري لو قلتِ لها: خلاص ما في أمل، فماذا كان سيكون دعاءها، ورجاءها في رب العالمين؟!

فأنت لما تكونين مؤمنة معتقدة الله يجعلنا كذلك، المسألة هذه هي عطية من رب العالمين.

لكن ما قصدت بالحكاية إلا لتتصوروا أن لما يكون عندك أنت رجاء، وتنقله لغيرك فالله يجعل على يدك الخير؛ لأن بقاء رجائها سبّب قوة دعائها، وكان السؤال هذا الذي تمر به بمثابة السبب أنها تبقى راجية، وأنه لا تيأسي، لا تيأسي.

لكن تصوري لو من أول لقاء قلت لها الله يعينك، الله يحسن له الخاتمة، وإن شاء الله ما يموت إلا على الإسلام.. أسدْ لها نفسها.

فانتبهي أنت لازم تؤمنين بكل الكتاب، ومن آثار الإيمان بالكتاب أن تكوني مطمئنة، مستبشرة واثقة برب العالمين، وأن من يتوكل على الله ما يخذله الله.

ما تقولي هكذا لصاحباتك أو اكفي شرك الناس، وإذا لقيتي صاحبة بهذه الطريقة فلا تصاحبيها.

لو أنت تؤمني بالكتاب كله، وهي كل حين تزعزع في قلبك آثار هذا الكتاب فما يصلح تمشي معها، والقرآن للعمل به.

فلما ربنا قال: {قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ}[1] بيّن لنا الآيات، فلا تصاحب أحد تشعرين أن قلبه مليء عليك، بمعنى تشعرين أنها حاسدة، حاقدة وتشعر أنك أنت أحسن منها، لأن هؤلاء في الأخير لازم يطعنوك في ظهرك.

على كل حال مثل هؤلاء المنافقين، ومن يشبههم الله عز وجل يقول:

{قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ}[2] وسينتصر المسلمون ويصلون إلى ما يريده الله عزّ وجل.

كي تفهمي هذه الأخيرة {وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ}[3]

افهمي الآية التي بعدها: {إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا}[4]

إن تمسسكم حسنة ماذا يشعرون؟

تسؤهم ويشعروا أن هذا الشيء مضر لهم، وبالعكس إن مستكم السيئة يفرحوا بها.

وهذا ما يتعايش معك أنت تكون في حال وهي ما يهمها حالك؛ أهم شيء أنك تؤنسيها! وتنبسط بك!

(١) سورة آل عمران ١١٨
(٢) سورة آل عمران ١١٩
(٣) سورة آل عمران ١١٩
(٤) سورة آل عمران ١٢٠

وإذا وجدتك مزاجك ما هو تمام ودخلتِ في مشكلة إلخ مباشرة تركتك وذهبت؛ لأنك لست على الحال التي تناسبها.

هذا كلام معناه أن النفاق في داخل حياتنا، في أصحابنا الذين نعيش معهم، وممكن يكون فيهم هذه العلامات الخطيرة، ثم تنتقل هذه العلامات الخطيرة من موقفهم منك إلى موقفهم من المسلمين عموما، وتصير هذه حالتهم الدائمة ليس معك كشخص إنما مع المجتمع الإسلامي.

فكروا في هذه الصفات واعرفوا ماذا الحل؟

نفترض نحن مجاورين ناس من هذا النوع ماذا نفعل؟ أكملوا الآية:

{وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا}

أي ممكن يصلوا إلى حد الكيد، هذه الجملة القرآنية العظيمة هي التي ستكون معنا في الثمانين آية التي سنناقشها أو قريب ستين آية سنناقش فيها غزوة أحد، وبعد ذلك خاتمة السورة في العشرين آية الأخيرة.

يعني الباقين لنا إلى نهاية السورة ثمانين آية؛ ستون منها في غزوة أُحد؛ في الستين آية الجملة الأساسية التي سندور حولها: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا}

بسم الله الآن نبدأ في الآيات التي هي موضوعنا في هذا الفصل الدراسي.

أتى النموذج لأحوال المنافقين وتصرفاتهم مع المسلمين، والفرق بين العصاة، والمنافقين.

لازم تعرفي أنه في فرق بين العاصي والمنافق.

المقطع الأول من (١٢١-١٤٨):

لا تنسوا الشرط إن تصبروا وتتقوا

العنصر الأول في المقطع الأول: مقدمات معركة أحد وأن الأمر بيد الله (١٢١-١٢٩)

شرح الآيات (١٢١-١٢٣)

{وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [١]

الآيات بدأت بالكلام حول واقعة بدر، وكيف كان حال النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف كان حال فئة من المؤمنين.

فلما كان الشرط {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا}

---

(١) سورة آل عمران ١٢١-١٢٣

أتبعه الله بما يدل على سنته سبحانه وتعالى في باب النصرة والمعونة ودفع مضار العدو؛ إذا حقق المؤمنون الشرط وهو الصبر والتقوى.

وواضح كان خطأ الرماة عدم وجود الصبر؛ أي أن نقص الصبر سبّب الهزيمة.

{وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ} يعني اذكر هذه الحال: حال النبي صلى الله عليه وسلم لما غدا من أهله؛ يعني هذا في وقت الغدو الذي هو بعد الظهر.

غدا صلى الله عليه وسلم ماذا يفعل؟ {تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ} وهو صلى الله عليه وسلم. كان قائد الجيش، فجعل لكل مؤمن منهم مقعد للقتال، وهذه إشارة إلى جعله صلى الله عليه وسلم للرماة مكان، والذين كانوا في ساحة المعركة مكان، فالنبي صلى الله عليه وسلم بنفسه جعل لكل مقاتل من المؤمنين مقعد.

بدأت القصة بهذا الخبر ليُنظَر شؤم مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا الشؤم موجود في كل الحياة، إذا أنت خالفت سنة النبي صلى الله عليه وسلم، سيترتب عليها أمور في حياتك تكون منزوعة البركة، لأن البركة في طاعة النبي صلى الله عليه وسلم والشؤم يصيب الإنسان لما يخالف النبي صلى الله عليه وسلم.

احفظوا ثلاث غزوات بثلاثة مفاهيم:

١- **بدر**: فقد اجتمع فيها التوكل على الله، وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- **أُحد**: قد **تخلف فيها شرط طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

معناها لمَ حصل هزيمة في أحد؟ لأنهما شرطين يحصل فيهما النصرة؛ التوكل على الله، وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخلف شرط الطاعة في أُحد.

٣- **حُنين**: نحن عندنا شرطين للنصرة، **تخلف منهما التوكل على الله**، لكن ليس تخلفًا كاملا؛ بمعنى في بداية الغزوة حصل تخلف في هذا الشرط، بمعنى ما تحقق كاملا في نفوس المقاتلين، ثم حصل لهم ما حصل من الهزيمة، لكن الله عزّ وجل جمع عليهم قلوبهم وعاد التوكل فعادت النصرة للمسلمين.

فهذان الشرطان مهمان جدا الذي هُمّ:

1. **التوكل على الله.**
2. **طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

فكان في الآية السابقة {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا}

في الآية التالية: التي بدأت الكلام عن غزوة أحد، بدأت بالكلام عن موقف النبي صلى الله عليه وسلم، لأن هذا أبرز شيء في الغزوة، لأن حصل تخلف عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم.

طاعة الله، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بركة، والتخلف عنهما شؤم.

إذًا لا تنسي أبدًا، **لماذا بدأ الخبر عن غزوة أحد بالكلام عن النبي صلى الله عليه وسلم؟؟**

لبيان شؤم مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم.

الآن موقفهم في أحد لم يكن كما اتفق، إنما في هذه الغزوة عُرض المقاتلون، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يستبعد الذين هُمّ أصغر من السن؛ أي من لم يصلوا إلى البلوغ، واختار من يخرج معه، ووصل إلى المنطقة التي فيها القتال، وبوأهم مقاعدهم من القتال؛ أي أنت يا فلان هنا وأنت يا فلان هنا؛ فبرز في هذه الغزوة أن النبي صل الله عليه وسلم بوّأ المؤمنين مقاعدهم من القتال.

فكان الواجب أنهم يصبروا ويتقوا مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم ومخالفة الله؛ لأن مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف هي مخالفة لأمر الله.

أعيدي قراءة الآية ثانية:

{وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}

يعني اذكر هذه الحال أنك غدوت في وقت الغداء، أي وقت الظهيرة؛ غدوت فبوّأت المؤمنين مقاعدهم للقتال؛ فكانت هذه المقاعد أمر، مثلما لما نؤمر صل أربعة، مثلما لما نؤمر صم رمضان مثلها كانت بالضبط بالنسبة لهم.

هم ظنوا أن مقاعدهم هذه يمكن أن يتخلّفوا عنها وقتما أرادوا؛ فخالفوا بذلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

ختمت الآية بقوله تعالى: {وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} إشارة إلى أنه سبحانه سميع لقول النبي صلى الله عليه وسلم ولأقوالكم، عليم بضمائركم وأحوالكم.

{إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}

هنا الخبر عن: اسم الطائفتين بنو سلمه من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس.

همّت: بمعنى نفذّت، ولا ما نفذت؟ همّت يعني حصل العزم؛ هذا العزم جعلهم يستقبلون المدينة، ويستدبرون مكان القتال؛ يعني ليس مجرد تفكير، بل وصل الأمر إلى العزم الأكيد.

السؤال: ما الذي سبّب لهم هذا الهمّ؟

الإجابة: رجوع كثير من أهل النفاق، وتخلّيهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيادة عبد الله ابن أبيّ بن سلول المنافق.

إذا هذا الهم وقع منهم.

{مِنْكُمْ} منكم هذا يطمئن؛ من المؤمنين وليس من المنافقين.

وهذا إشارة إلى التأثر؛ لأن هؤلاء منكم مؤمنين وتأثروا بالمنافقين.

وهذا إشارة للكلام السابق الذي تناقشنا فيه، بجانبك أحد محبط، بجانبك أحد يجاوك يائس من الحياة، قليل الرجاء، ينقل لك العدوى مباشرة بدون مناقشة.

{أَنْ تَفْشَلَا} **أن تفشلا** بمعنى يحصل منها الفشل وهو الكسل والجبن والضعف.

معنى ذلك أن كل إنسان جبان، ما عنده قوة، ولا شجاعة، يعتبر فاشل.

فالفشل يأتي من ضعف الإرادة، الفشل يأتي من الجُبن عن مواجهة المواقف.

طبعا أنتم تعرفون أنه ما وقع منهم هذا الأمر، ولكنهم فقط همّوا، والهمّ وصل لحد العزم؛ بمعنى أنهم جمعوا أنفسهم على أساس أنهم يعودون.

ما الذي منعهم؟

أن {وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا} الله وليّهم: أي عصمهم (من العصمة)، حصل من أثر ولاية الله العصمة.

ختمت الآية: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} **لاحظي هذا الشرط في النصرة وهو التوكل على الله**

والثاني طاعة رسول الله.

فهذا الشرط في البداية كان سيسبب الفشل في غزوة أحد، نحن عندنا **شرطين عامين للنصرة** وهي **التوكل على الله وطاعة رسول الله**: ليبين الله لهم أن هذا العدد ليس شرطًا للنصرة، أهم شيء يحصل منكم التوكل.

الله عصم هاتان الطائفتان، وأمر الجميع أن يتوكلوا على الله **لماذا؟**

بعد ما أخبر عن عصمته لهما، أمر المؤمنين أن يتوكلوا على الله؟ ما السبب الذي جعلهم هم يريدون الفشل؟

الفشل ما معناه؟؟

قلنا الفشل هو معناه الكسل، والضعف، والجبن؛ لما تتوكل على الله ماذا يحصل؟

أنت ضعيف ربنا يقويك، أنت جبان ربنا يرزقك الشجاعة، أنت كسلان ربنا يعطيك النشاط.

يعني علاج الفشل التوكل على الله، وبذلك ما يحتاج تذهبون لدورات لعلاج الفشل ولا أي شيء، لكن افهموا معنى التوكل على الله ستنحل المشكلة، فتعرفين كيف تضعين هذا الدواء على الداء.

لأن التوكل على الله مثل القبة الكبيرة التي يعيش الإنسان تحتها، لكن كل مرة يعيش في زاوية من زوايا التوكل.

- ✓ فأنت الآن أنت شعر نفسك ضعيف، مثلا ما عندك قدرة تتكلم لتنتفع بالعلم الذي عندك؛ فتوكل على الله في هذه الزاوية.
- ✓ ضعيف ما أنت قادر تأخذ قرار؛ توكل على الله في هذه المسألة، يعني اعتمد على الله واسأل الله أن يعينك ستصل.

هذا يجعلك تفهمين السر وراء التعبير {أَنْ تَفْشَلَا} معنى الفشل الذي يمكن يصيب الإنسان في الحياة بسبب الجبن، بسبب الضعف، بسبب الخور، بسبب قلة الأدوات التي عندك تشعر بالفشل.

الحل: التوكل يعالج هذا كله {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}

هذا التوكل مثل الدواء ضعه على الداء.

في الأرزاق في نوع توكل، هل ممكن تُفرَّج غمتي، هل ممكن يُدفع ديني؟! نعم توكل على الله في هذه المسألة، واسأل الله.

و أنت تعلم «مَن تَعارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ، وهو علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وسُبْحَانَ اللَّهِ، ولَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، واللَّهُ أكْبَرُ، ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا

باللَّهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْلِي، أوْ دَعَا: اسْتُجِيبَ له، فإنْ تَوَضَّأَ وصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ» (١)

فأنت مهموم بماذا؟! مباشرة قل: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}

إذا جاءك الفشل فعالجه بالتوكل، فالتوكل يصبح مثل الدواء تضعه مكان الألم مكان حصول الفشل.

هذه الآيات مهمة جدا في حياتنا؛ لأن الكلام الذي قيل عن المعركة يحل مشاكل كثيرة في معركتنا مع الحياة، ومع الناس الذين حولنا. والناس علينا ونحن على الناس.

على كل حال حتى لا يحصل الفشل فالله ذكّرهم أيضًا بشيء مهم؛ وهذه سنّة يجب أن تتخذها في معاملة ربك:

{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (٢)

المعنى تذكّروا نعم الله السابقة.

ما نعم الله السابقة هنا في هذا الموقف؟ النصرة في بدر.

انتصروا وكان عددهم قليل، وفي غاية الضعف عددًا وعدّة، وحصل لكم النصر؛ فأنتم اليوم أقوى من أمس، تذكّروا نعمة الله السابقة.

---

(١) الراوي: عبادة بن الصامت | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١١٥٤

(٢) سورة آل عمران ١٢٣

لما ذكر الله التوكل والأمر به ذكّرهم نعمته السابقة، يوم بدر حيث كانوا في غاية الضعف عددًا وعُدّة، والكفار في غاية الشدة، والله نصر المسلمين على الكافرين، فكان ذلك أقوى الدلائل على أن ثمرة التوكل على الله والصبر والتقوى هو النصر والمعونة والتأييد.

إذًا وعلى الله فليتوكل المؤمنون، وليتذكروا نعمة بدر.

وهذا المفروض يكون سمت حياتك الدائم: أنت الآن في أزمة، تذكّر يوم نجّاك الله في الأزمة التي مضت، ولازم يكون عندك ذاكرة قوية حديدية.

المرة الماضية مرضت والله شفاني، المرة هذه المرض جاءني أقوى، أعظم، أقل، أكثر ما هو مشكلة، لكن ستفكر أن الذي شفاني المرة الماضية يشفيني هذه المرّة.

هذه المرة جاءتني أزمة مالية وقد أتت عليّ أزمة مالية سابقة، والحمد لله ربنا فرّجها عليّ، الآن يفرجها الله مرة أخرى.

هذه أزمة مرت بوالدي أو والدتي المرة الماضية، وكنت أدعو لهم ربنا يفرجها عليهم، وفرّجها ربنا عليهم ثم هذه المرة يمروا بأزمة أكبر، فما في شيء كبير على الله: الذي فرّجها المرة الأولى لهم يفرجها المرة الثانية.

إذًا كي تزداد توكلا تذكّر النعم السابقة.

ما مصيدة النعم التالية؟ تذكّر النعم السابقة وشكرها.

يعني أنت في الأزمة الجديدة فكّر في النعمة القديمة.

إذا دعيت بلسانك ما الذي تقوله بناءً على هذه القاعدة؟

كما رزقتني أولًا، كما شفيتني أولًا، اشفيني، ارزقني، فرجّها عليّ.

فتعترفِي أن هذه عادة الله معنا؛ أنه ما يخذلنا ما يتركنا.

وإذا كبرت المسألة في ذهنك، فناجي الله بما تعلمين عنه من قصص الأنبياء؛ كيف أخرج الله عزّ وجل يوسف عليه السلام من السجن؛ اسأليه أن يُخرجك من كل أزمة كما أخرج يوسف من السجن، وأخرج يونس من بطن الحوت، وأخرج إبراهيم عليه السلام من النار.

وكل هذا يدل على إيمانك، على يقينك، وأن ليس مجرد كلام سمعتيه، بل هذا يقين داخل نفسك.

بهذا تستحضرين أمرين:

- ✓ شدة يقينك بهذه الأمور.
- ✓ شدة رجائك.

وهذه لها أجور غير التفريج نفسه فهذه عقائد لها أجور بنفسها.

إذًا تعلمنا من الآيات شيء مهم جدا: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}، {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ}.

أي تذكّروا تلك النعمة، واعلموا أن الله المنعم، ولا تيأسوا أبدًا من روح الله.

ختمت الآية: {فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [١]

لا تيأسوا من روح الله، بل كلكم أمل بالله، وهذا من شكر الله.

من شكر الله تذكّر النعمة السابقة، وطلب اللاحقة.

لا تعاملي ربنا مثلما تعاملي الناس، وتقولي خلاص كفاية ربنا شفاني المرة الماضية، أو كفاية ربنا نجاني المرة الماضية، عيب عليّ كل شوي أسأله!!

لا، بل تصيري ما عرفت ربنا، لأن المفروض كل مرة تسألينه وتزيدين، وتقولي: فعلت لي سابقًا، افعل لي تاليًا.

ولذا تصوري أنتِ ذاهبة لسفر فيه مشقة لسبب ما، وقبل ما تسافرين حاملة همّ، وطول الطريق تقولي يا رب يسر السفر، يسره، يا رب يسره، والحمد لله يسره لك.

لما تكونين راجعة في مشقة ثانية قولي له: كما يسرت لي أول مرة، يسر لي تاليا.

فكل شوي تقولي له: أنا طمعانة أكثر فيك، أنا طمعانة أكثر فيك.

---

(١) سورة آل عمران ١٢٣

لازم تبينين لربنا أنك طمعانة فيه، وأن ما في أحد يحل لك مشاكلك إلا الله، فالشكر كله لله {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}

{إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ ۚ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ(١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (١٢٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[1]

سنرجع الآن إلى سياق الآيات التي تخبر عن أُحد.

آية (١٢٣) أتى الكلام فيها عن غزوة بدر تذكيرًا بالنعمة.

ننظر لآية (١٢٤) تتكلم عن إمداد الله للمؤمنين بالملائكة تقاتل معهم.

السؤال: هذا الخبر حصل في بدر أم حصل في أحد؟

الشيخ السعدي يرى أنها في بدر، لكن في رأي آخر.

([1]) سورة آل عمران ١٢٤-١٢٩

الرأي الأول: أن آية (١٢٤) و آية (١٢٥) خبر عن غزوة بدر وفيها امتنان الله عليهم بإمدادهم بالملائكة وسيأتيننا النقاش.

الرأي الثاني: أن هذا الوعد كان يوم أحد وأن الله قد وعدهم إن صبروا واتقوا أن يمددهم بخمسة آلاف.

معنى ذلك عندنا احتمالين:

- **تذكير بالنعمة** التي حصلت ببدر فقط بدون كلام عن أُحد.
- **أو يكون هذا التذكير** بما حصل في بدر **متضمن للوعد أن يحصل مثله في أحد.**

الآن إلى الأسبوع القادم ماذا ستفعلون؟

أنتم قرأتم كلام الشيخ السعدي أنها في بدر؛ ابحثوا مثلا في محاسن التأويل للقاسمي، أو انظروا غيره من ذكر القولين، وافهموا الآيات على أساس أنها في أُحد، ثم المرة القادمة إن شاء الله يبدأ نقاشنا من آية (١٢٤)

انتهى اللقاء بحمد الله ومنّه

اللقاء الثالث عشر(٥ جمادى الثاني١٤٤١ هـ)

الآيات (١٢٤-١٣٦)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلنا على الله.

سنكمل ما بدأنا الأسبوع الماضي في الكلام حول سورة آل عمران والآيات التي نتدارسها دائرة حول غزوة أحد.

وقد مرّ معنا أن هناك خلاف في الكلام حول نزول الملائكة، هل الخبر في السياق عن نزول الملائكة في غزوة بدر، أم على نزول الملائكة في غزوة أحد؟

نقرأ الآيات ثم نصل لموطن الخلاف ونكمل النقاش:

اقرئي من آية (١٢١) التي بداية عن غزوة أحد في السورة:

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗوَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ

لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ ۚ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (١٢٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[١]

الآن نحن في المقطع الأول من آية (١٢١-١٤٨) من بداية الكلام عن غزوة أحد؛ ثم تأتي مقدمة لهذه الغزوة، هذه الغزوة فيها مقدمة وإشارات للدروس المستفادة من الغزوة.

القرآن ليس كتاب تاريخي كما تعلمون، إنما كتاب إذا عرض شيء من التاريخ أُريدَ بهذا العرض أن تأتي من ورائه الاستفادة في مسلك الحياة.

بمعنى الذي تسمعه من الأحداث ليس سردًا تاريخيًّا، إنما يراد أن تخرج منه بدروس.

فلو بدأنا بآية (١٢١) الخبر هنا عن النبي صلى الله عليه وسلم. خرجنا من الآيات السابقة، خرجنا منها بنتيجة؛ أننا نحن لنا أعداء، والطريق لدفع عداوة هؤلاء الأعداء **أن نصبر ونتقي**.

---

(١) سورة آل عمران ١٢١-١٢٩

{وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} **ثم أتى هذا النموذج.**

الكلام عن غزوة بدر في سورة الأنفال، **كلام مختلف** عن غزوة أحد في سورة آل عمران.

غزوة أحد في آل عمران **تقول: الصراع حتمي بين أهل الخير وأهل الشر.**

كل الكلام التفصيلي في الغزوة- لأنه في نحو ستين آية- تقول: أن الصراع حتمي بين أهل الإيمان وأهل الكفر؛ بمعنى لا يمكنك أن تهرب منه؛ لازم يحصل صراع، لازم تحدث مجابهة بين أهل الإيمان وأهل الكفر.

كم نوع في أهل الكفر؟

- ✓ أهل الكفر الصريح.
- ✓ أهل الكفر المنافقين.

الآن في آية (١٢١) هناك عدة دروس مستفادة:

منها أن النبي صلى الله عليه وسلم بوأ المؤمنين مقاعد للقتال.

الآن هو القائد صلى الله عليه وسلم وهم الجنود، فما تركهم يفعلون ما يريدون إنما بوأ لكل واحد مقعد للقتال.

وهذا سيفيدنا جدا لما نأتي نفهم المخالفة التي حصلت من الرماة، وهي مخالفة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ثمّ أتت الهزيمة.

ولتتأكدي أنها مخالفة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بدأت الآيات (١٢١) بالخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي بوأهم مقاعدهم للقتال.

ما معنى بوّأ؟ نتذكر حديث للنبي صلى الله عليه وسلم وردت في كلمة بوأّ.

ونتذكر حديث قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**مَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[١]

يعني كأن الذي يكذب يختار مكانه من النار.

وهنا في آل عمران نفس المعنى: بوأهم أي يضعهم في أماكنهم؛ يعني كأن الرسول صلى الله عليه وسلم وضع كلٌ في مكانه؛ فأي مخالفة تكون مخالفة لوضع النبي صلى الله عليه وسلم.

طبعاً هُمّ لن يكونوا جالسين في مكانهم لا يتحركون، بل الحرب كرٌ وفر؛ لكن المقصود كل واحد سيكون له مساحة يتحرك فيها.

ومن أهم الذين كان لهم مساحة يتحركوا فيها، أو كأنهم تبوؤوا مكانهم هم الرماة، كأن الضوء مسلط عليهم.

---

(١) الراوي: المغيرة بن شعبة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١٢٩١

الجميع بُوئَ مكانه؛ الميمنة، والميسرة، والذين كانوا في جبل الرماة الذي خلف الرسول ﷺ.

الآن كلما رددت هذه الآية يتبين لك سبب ما وقع من هزيمة، ويتبين لك سبب ما يحصل في حياة الإنسان من فشلٍ، ومن ضيق، ومن عدم نجاح.

الشريعة بوأتّك مكان معيّن، وقالت: لك أنت في هذا الموقف كن كذا، وفي هذا كن كذا، **ولما تخالف الشريعة يأتيك الفشل**.

هم الآن بوأهم النبي صلى الله عليه وسلم مقاعد للقتال؛ هناك من امتثل، وهناك من خالف، رغم أننا نعرف أنهم ما قصدوا المخالفة، لكن وقع الفشل.

لاحظي خاتمة الآية {وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}

سميع: معنى عام يسمع كل شيء سبحانه وتعالى.

لكن سميع هنا في هذا السياق أنه سميع لكلام النبي ﷺ لما بوأهم مكانهم.

عليم بحاله وحالهم حال قبولهم لهذا الأمر وعدم رفضهم.

الصحابة لما بقي كل واحد في مكانه، ما كان في نفس أي واحد من المؤمنين أنه يريد أن يخالف النبي ﷺ.

الذين أرادوا المخالفة هم أتباع عبد الله ابن أُبيّ، عاد عبد الله ابن أُبيّ بثلث الجيش، وهذا قبل أن يبوئ النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين مقاعدهم للقتال.

إذن لاحظي الكلمة {تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ} يعني ما كان بينهم منافق وقت ما بوأهم النبي صلى الله عليه وسلم؛ والدليل كلمة المؤمنين.

يعني أن عبد الله ابن أُبيّ عاد بثلث الجيش، قبل أن يبوئ النبي صلى الله عليه وسلم مقاعد المؤمنين.

فالجيش خالص من المنافقين، خالص للمؤمنين.

هذه الكلمة تبوئ المؤمنين سيخرج منها الآية الثانية (١٢٢).

الآن انخذل ثلث الجيش ورجع، والنبي صلى الله عليه وسلم أخذ المؤمنين فقط وبوأهم مقاعدهم، **وهو يُبوؤهم مقاعدهم ماذا حصل؟** {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا} همت هاتان الطائفتان (بنو حارثة، وبنو سلمه) هُم من المؤمنين، لكن هذا لتفهمي أثر المنافقين في المجتمع؛ **ما أثرهم؟** أنهم يُضعّفون همة أو عزيمة المؤمنين في المجتمع، أو يضعفون عزيمة أهل الإيمان على الحق.

وما لازم يكونوا منافقين خُلّص، أحيانًا حتى لو نفاق أصغر؛ بمعنى أنك تجلسين في مجلس القرآن تعرفين أن الملائكة تحيط بك، وتحرصين على أن تكوني ممن يقال لهم قومي مغفورًا لك.

تُبتلي بأحد بجوارك ضعيف في إيمانه لسبب ما موجود، أنت تكتبين، تجتهدين، وهو يتفرج في الناس! **فماذا يفعل بك؟** لازم يسبب لك ضعفًا.

ولهذا هذه السورة الكريمة وهذا المقطع بالذات في السورة يجعلك تعرفين تجالسين من؟، تصاحبين من؟

مهم جدا أن تفهموا هذا المعنى.

القضية في الغزوة، والسورة في الغزوة، والمقطع في الغزوة، لكن لازم تأخذينها على أساس أنها أسلوب للتفكير.

انظري كيف همت الطائفتان من المؤمنين، ولكن كانوا سيسلكون سلوك المنافقين، **والسبب تأثرهم بالمنافقين.**

فأنت لا تتوقعي أنك تصاحبين أحد منافق أو له تصرفات نفاق وما تتأثرين به.

لذلك لما الإنسان ينضج، يندم على كثير من الفرص ضيعها بسبب أنه في حياته صاحب ناس منافقين سيطروا عليه.

لابد أن تعرفوا صفة مهمة في المنافقين هي التي ظهرت في عبد الله ابن أُبيّ؛ كيف تخالفون رأيي، كيف أقول لكم رأيي، وأنتم تخالفون رأيي!

ومن الخبث أنه يمشي معهم حتى يصلوا لقريب من المعركة ثم يعود، كي يضعضع صفوف المؤمنين.

لازم تعرفون أنكم ممكن تمرون بحياتكم بأشخاص عندهم ممارسة للسيطرة، يجعلونك تحت تفكيرهم حتى اللون الذي يشترونه لملبسهم يجعلونك ما تقتنع إلا بهذا اللون الذي يناسبهم؛ فتصير كأنك لعبة في أيديهم.

ولما يفوق الإنسان بعد هذه الصحبة يفوق على ندم عظيم، ألم فظيع، كره للنفس فوق المتصور؛ لأنه ترك نفسه في فترة مهمة في حياته يتخذ قراراته تحت يد المسيطرين.

إذًا في صفة مهمة عند **المنافقين وهي السيطرة**، وهذا موجود بكثرة ويكاد يكون أحد بدايات علامات النفاق.

الآن أنت لو حللتي شخصية عبد الله ابن أُبيّ سيتبين لك لكن هذا.

لكن هنا في السورة واضح ماذا كان عذره في أنه انخذل وعاد؟

كان له رأي في الغزوة أنهم يبقون في المدينة ولا يخرجون، وهذا رأيه يميل للجبن، وليس رأي من باب المكيدة والحرب، يريد أن يقعد في المدينة ولا يتحرك على أساس لو دخلوا يقاتلونهم في المدينة.

هو كذّاب كان لو كانوا دخلوا المدينة، كان هو أول من أدخلهم على ديار المسلمين.

الآن هو خولف وخرجوا، وأكيد هذا الخير في الخروج؛ لأن هذا الثلث من الجيش لو كانوا في المدينة وجاءوا عليهم، كانوا هؤلاء الثلث خذلوهم، وأدخلوا الكافرين على المسلمين في ديارهم، لكن ربنا اختار الخير وخرجوا.

هو هذا كان رأيه أن يبقوا في المدينة، وحصل من شباب الصحابة الذين ما حضروا غزوة بدر الشوق إلى الشهادة، هؤلاء صادقين.

ثم لما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم ولبس لأمة الحرب (يعني لباس الحرب) وخرج شعر شباب الصحابة أنهم كأنهم ضغطوا على النبي صلى الله عليه وسلم.

انظري الفرق الآن، انظري الأدب كيف شباب الصحابة تمنوا أمنية في سبيل الله من أجل الله، لكن لما وجدوا أنفسهم كأن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان مقتنع، وهم أعادوا وأعادوا، فاستحوا من نفوسهم أن يضغطوا على الرسول صلى الله عليه وسلم.

في مقابل عبد الله ابن أبي لما خالفوا رأيه قال كيف أنا تخالفوا رأيي؟! مادام قلت لكم رأي فلازم تقبلونه، وإذا ما قبلتموه تستحقون الذي يصير لكم، وكأنه يقول لهم أنا كنت سند لكم لكن ما تستحقوا أكون سندًا لكم!

فكروا بنفس الطريقة أنكم تمشون مع ناس تصاحبونهم، في ناس يعرضون عليكم آراءهم ويحمسّونكم لما يَرون من المصلحة وهمّ صادقين، لكن مع ذلك يشعرون بالحرج أنهم يفرضون ويضغطون عليك.

في جماعة آخرين لو خالفت رأيهم يقطعون علاقتهم بك، ويقولون لك إما تصيرين خاتم في إصبعنا، إما تصيرين حجر شطرنج في أيدينا، أو ما يكون لك نصيب!

وهذه أول ما يلوح لك في العلاقات من النفاق، مثل عبد الله ابن أُبيّ في هذا الموقف.

فلما نفهم المنافقين، نفهم الحاصل حولنا في المجتمع، ولذلك نجد جرائم كثيرة تحصل من الشباب والشابات، الذي يقوم بالجريمة نفسه ضحية لواحد كأنه مِن خلفه، يعني كأنه لعب به حجر الشطرنج ويغريه يغريه بالباطل، وهو جالس وراءه، والثاني مسكين ينفّذ!

متى يكون الأمر صعب جدًا على الإنسان؟ لما يفوق، ولو طالت مدة بقاءه رهينة لهؤلاء الأشخاص يكون الاستيقاظ صعب جدا.

لكن انظري كيف لما الله وليهما كما في آية (١٢٢) **{وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا}** هذه الآية تبين لك كيف لما يتولى الله عبدًا فينجيه.

{إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ}: وقع في قلبها الهم بسبب التأثر بهؤلاء.

همت الطائفتان {أَنْ تَفْشَلَا} وناقشناها في الأسبوع الماضي، وهذه الآيات مهمة جدا.

الفشل يعني الكسل، الجبن، الضعف، الخوَر عن إنجاز أعمال تنفع الإنسان.

ما الذي نجاهم؟ {وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا} بمعنى أن الله تولاهم، هنا يظهر اسم (الولي) **وهذه نسميها ولاية خاصة**.

الولاية عامة وخاصة:

- **الولاية العامة تكون لجميع الخلق**؛ فالله ولي الخلق يدبّرهم، ويقوم على شئونهم سبحانه وتعالى.

بذلك الاسم يقترب من معنى اسم (القيوم).

أثر الولاية العامة: أن الله يقوم على تدبير شؤون الناس.

- **والولاية الخاصة تكون للمؤمنين.**

وما أثره الولاية الخاصة؟

على الأقل من الآية نقول أثرها **(العصمة من الزلل)**.

ولذلك الإنسان لما يطلب من الله أن يتولاه في رحمته، **كأنه يقول: لربنا اعصمني من الزلل.**

لو كنت عاقلا تعرف أن فيه زلات تبقى وصمة عار عليك، طول الوقت تتذكرها، وطول حياتك تبقى تتذكرها، لكن لما تخاف من الزلل وتطلب اعصمني من الزلل، حتى لو حصل خطأ يمكن تداركه لأن الإنسان خطّاء.

كيف الولاية الخاصة تسبب العصمة؟

العصمة ليس معناها أن الإنسان ما يخطئ، لكن في أنواع من الأخطاء تفسدك، وتفسد ما حولك، وتبقى وصّمة عار عليك، هذا النوع من الزلل خطير جدا؛ فالله يعصمك من هذا النوع.

فإذا طلبت ولاية الله اقصُد هذا، يعني اجعل هذا المعنى في ذهنك، واعلم أن حياتك عبارة عن صفحات، لو اسودت واحدة من الصفحات سوادا عظيما صبغت ما بعدها.

من أجل ذلك دائما اشعر بتحمل المسئولية على نفسك؛ أن اعصمني من الزلل.

واعصمني هنا افهموها بالطريقة الصحيحة، ليست العصمة المطلقة.

لا يوجد عصمة مطلقة بالنسبة للخلق، هذا خاص بالرسل عليهم الصلاة والسلام، إنما المقصود العصمة من الزلل، أي الزلل الذي يكون سببا لعار على العبد يستمر عليه.

إذاً: {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا}

بهذا تفهمين أن الهمّ الذي في النفس الذي هو بمنزلة العزم، الله عزّ وجل ينظر إليه، ويكاد يكون مكتوبًا على العبد الذي هو في منزلة العزم؛ همت الطائفتان أن يحصل منهم هذا، والله تولاهم برحمته، فعصمهم من هذا الزلل.

بعدها أتى {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}.

ما المقصود؟ أن الذي سبّب لهم أن يفشلا شيء من الخوف.

يعني لما أنت تدخل على أمر مشروع، على أمر شرعي، على شيء الله عزّ وجل أمرك به، وهيأ لك الأسباب، لكن ما كل الأدوات موجودة في هذا السبب، يعني الآن في هذه الغزوة أمرهم الله بالجهاد لكن ما كل الأدوات موجودة، بمعنى أن عددهم أقل بكثير من عدد العدو، وأن جزء من الجيش انخذل، أدوات كثيرة فُقدت.

إذا فُقدت الأدوات هل هذا يعذرني في الفشل والتراجع؟

الجواب: لا. لا تخاف على الله توكل، {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}

ومادام أنت متوكل إذًا أنت مؤمن، ومادام أنت مؤمن إذًا لازم تتوكل على الله.

فعلامة الإيمان التوكل، بل فلتعلم أن التوكل هو قلب التوحيد.

يعني من يظهر منه التوكل على الله، والاعتماد، وما في قلبه خوف، ومطمئن أن الله سيدبّره، وسيعطيه سيغنيه، سيكفيه، وما يضيعه وما يخذله، إذا اعتمد على الله، فهذا دليل على وجود الإيمان.

ولهذا السبعون ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب **الصفة التي** حققوها؛ أنهم حققوا التوحيد بالتوكل {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}

الآن سنأتي إلى تذكيرهم بالشيء الماضي ليحصل لهم شجاعة في المستقبل: **أن الله نصرهم ببدر.**

{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[1]

يعني هذا حض على التوكل؛ يعني توكلوا وتذكّروا أن الله نصركم ببدر وأنتم أذلة.

ما معنى {وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ}؟ يعني بالنسبة لعدوكم أنتم قليلي العدد، ومن جهة العُدّة أيضًا قليل.

وأنتم تعرفون أسباب وقوع غزوة بدر وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج لعير قريش وليس لحرب قريش، ولما عرفوا أن النبي

---

(1) سورة آل عمران ١٢٣

صلى الله عليه وسلم خرج للعير استعدوا بجيش، لكن النبي صلى الله عليه وسلم ما خرج معه جيش، هُم معهم جيش، هو ما كان معه إلا فارسان فقط، ولم يلبس لأْمةِ الحرب، ولم يكن في حال حرب، لكن مع ذلك نصره الله.

وفي قصة نصر الله له شيء عجيب، سيأتي طرف منها هنا إِشارة، لكن تفصيلها في سورة الأنفال.

لذلك لن تنسي إن شاء الله:

- ✓ آل عمران ستون آية؛ بداية من آية ١٢١، ستون آية في الخبر عن أحد
- ✓ سورة الأنفال في الخبر عن بدر.
- ✓ سورة التوبة في الخبر عن تبوك. (عن الثلاثة الذين خُلفوا)

وبذلك فكري واذهبي للأحزاب واذهبي لسورة الفتح، كل سورة فيها خبر عن غزوة لازم تحفظين أن هذه السورة فيها هذا الخبر عن هذه الغزوة؛ لأنك تريد تصل أن تكون صاحب القرآن، الذي يقال له يوم القيامة اقرأ وارتق فإن منزلتك عند آخر آية.

من صحبتك للقرآن أن تعرف مثل هذا؛ تعرف كل سورة ماذا ناقشت إذا كان فيها مناقشة غزوة؛ لأن أكيد فيها دروس عظيمة مستفادة.

ذُكّروا المؤمنون من أجل أن يتوكلوا على الله؛ أن الله نصرهم في بدر وهم في حالة الذِلّة.

{فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} **يعني**: تقوى الله من العبد شُكر لله؛

لأن لما تأتي النعم يجد الإنسان حالة البطر والأشر، لكن لما يكون في حال ضعف يكون في حال انكسار وذُل، فلما يعطيك الله شكره أن تتقيه.

الآن آية (١٢٤و١٢٥) كان عليها السؤال:

{إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ}

هذه الآية هل هي في غزوة بدر أي تكون تابعة للسابقة، أم في غزوة أحد وكأننا نرجع مرة أخرى إلى {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ} {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ}؟

فيها قولان كما اتفقنا المرة الماضية:

١- القول الأول: الذي قال إنها غزوة بدر ألحقها بالآية السابقة.

٢- والقول الثاني: الذي قال إنها نزلت في أحد؛ يعني آية (١٢٣) تعتبر آية معترضة، وأن السياق في غزوة أحد، يعني أنت تصورها في السياق كي تفهمها، **وهي أقرب أن تكون إلى أُحد، أقرب أن تكون منها إلى بدر**؛ لأن السياق في أحد أولا، ولأن الجملة نفسها تشبه المطلع.

مطلع آية (١٢١): {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ}

مطلع آية (١٢٤): {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ}

بذلك تقدرين أن تفهمي أن الأقرب في غزوة أحد: لأن مطلع هذه الآية شبيه مطلع هذه الآية.

الآن لو كانت في أُحد هل نزلت الملائكة؟

إذا نزلت الملائكة ما كان في هزيمة في أحد.

إذًا كيف نفهم الآيات؟ الذي سيقول إنها في أُحد لازم الآية في الطريقة الصحيحة :

{إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ} المتكلم **هو الرسول صلى الله عليه وسلم.**

ماذا قال للمؤمنين؟ {أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ}

{أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ} كلام النبي صلى الله عليه وسلم، أي هذا يكفيكم في الثقة في النصر.

ما هو الذي يكفيهم في الثقة في النصر؟

أن يمدهم ربنا بثلاثة آلاف من الملائكة.

هؤلاء الملائكة من أين سيأتون؟ {مُنْزَلِينَ}

يعني سيكون لهم صفتان الآن:

١- آخر آية (١٢٤) أنهم {مُنْزَلِينَ}: يكونوا نزلوا من السماء لهذا المقصد الذي هو نصرة المؤمنين.

٢- وآخر آية (١٢٥) {مُسَوِّمِينَ}

ماذا تعتقدون في الملائكة عمومًا؟

- ✓ أن الله خلقهم من نور.
- ✓ أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.
- ✓ أنهم أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء.
- ✓ أن هؤلاء أولًا هم عالم غيبي؛ في الأصل أنهم غير منظورين، يتشكلون على صورة آدمي بدليل حديث جبريل.

وأنتم لو قرأتم في غزوة بدر ستعرفين أكثر من ذلك أدلة؛ أن الرجل المسلم يأتي معه الأسير ويقول (هذا أسيري)، فيقول: المأسور (لا، ما أنت الذي أسرتني، بل أسرني رجل صبيح لا مثال له في الخَلق) يكون الذي أسره المَلَك.

أنت لو قرأتِ في سورة بدر، ستعرفين كيف رأوهم، وكيف الصحابي يأتي يريد أن يهوي بسيفه، فيرى من أراد قتله قد قُتل، فيعلم أن سيفًا سبقت سيفه.

عالم غيبي لكن يمكن أن يتشكلوا بصورة الآدمي.

- ✓ من جهة القوة والشجاعة هؤلاء خلق الله عزّ وجل أعطاهم القوة، يعني ما في قلوبهم لا خوف ولا تردد.

قال تعالى: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}[١]

---

[١] سورة التحريم ٦

لا تردد، لا خوف، بل شجاعة وامتثال لأمر الله عزّ وجل.

لازم تعرفون هذا لتتصوروا كيف هم ذاقوه في بدر ثم الآن يُغرَوْن به في أحد.

يعني الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لهم هذا الكلام، فهم خائفون وهمت طائفة أن تفشلا.

<u>ما الذي يشجعهم؟</u>

قال لهم توكلوا على الله، ولا تنسوا أن الله نصركم ببدر، ولا تنسوا أن لما نصركم ببدر نصركم بالملائكة، فالآن ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بهؤلاء، بهذا العدد من الملائكة، كما مدّكم سابقًا ببدر؟ **الجواب نعم يكفينا.**

إذًا مَن هم الملائكة، وما حالهم؟ يحملون سيوف أم لا يحملون؟

<u>تقولين: نعم</u> هؤلاء خلق خلقهم الله غيبيين، لكن يمكن أن يُروَا.

وفي الحديث الصحابي الذي كان يقرأ القرآن وكانت خيله تصهل، وكان صغيره نائم، لما رفع رأسه للسماء رأى قناديل، يعني غيمة من المصابيح المضيئة، فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم لما أصبح، قال له الرسول صلى الله عليه وسلم أولئك الملائكة خلق من نور، ولو استمررت في القراءة لصافحت الناس في الطرق[1]

([1]) بيْنَما هو يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ، وفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إذْ جالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ وسَكَتَتِ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجالَتِ الفَرَسُ، فانْصَرَفَ، وكانَ ابنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْها، فأشْفَقَ أنْ تُصِيبَهُ، فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّماءِ، حتَّى ما يَراها، فَلَمَّا أصْبَحَ حَدَّثَ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقالَ: اقْرَأْ يا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يا ابْنَ حُضَيْرٍ، قالَ: فأشْفَقْتُ يا رَسولَ اللَّهِ أنْ تَطَأَ يَحْيَى، وكانَ مِنْها قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فانْصَرَفْتُ إلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إلى السَّماءِ، فإذا مِثْلُ الظُّلَّةِ فيها أمْثالُ المَصابِيحِ، فَخَرَجَتْ حتَّى لا أراها، قالَ: وتَدْرِي ما ذاكَ؟ قالَ: لا، قالَ: تِلكَ المَلائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، ولو قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إلَيْها، لا تَتَوارَى منهمْ.
الراوي: أسيد بن حضير | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٥٠١٨ | خلاصة حكم المحدث : [معلق]

فهم كانوا في هذه الحالة على خلقتهم الحقيقية؛ التي هي النور.

فكل هذا لما تفهمين، تعرفين أنت تجلسين مع من؟ مع الملائكة، أم مع الشياطين؟ كيف الفرق وأن الملائكة تؤيد المؤمنين.

هنا طبعا أيدتهم سابقا في غزوة بدر، وفي غزوة أحد كانت ستؤيدهم لو حققوا الشرط كما سيتبين.

وهم دائما مع المؤمنين، إذا أحسن المؤمنون في طريقهم، ودعوا ربهم أن يعصمهم، حتى لما يقبلون على الذنب أو المعصية يجدون الملائكة تعظهم في قلبهم ألا تسقط من نظر الله، لا ترجع للوراء، لا تفعل ما يغضب الله، لا يجدك الله في مكان لا يحبه، **وقد ورد في الحديث** «إنَّ للشيطانِ لَمَّةً وللمَلَكِ لَمَّةً»[1]

يُلمك، يمسك قلبك ويلمه، فإما الشيطان أو الملك، الله يجعلنا ممن لمتّهم الملائكة، الله يجعلنا ممن يقال لهم في لحظة القبض: يقولون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا، نحن كنا معكم نساعدكم وننصركم ونؤيدكم، وعندما تريدون أن تقترفوا ذنوبا نذكركم، ولما تنشغلون وتغفلون ننبهكم، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا، وأيضا أولياؤكم في الآخرة، المهم هذا العالم الغيبي من الضروري معرفة علاقتنا به.

{أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ}

---

(٢) الراوي :عبدالله بن مسعود |المحدث :ابن حبان |المصدر :صحيح ابن حبان
الصفحة أو الرقم | ٩٩٧ :خلاصة حكم المحدث : أخرجه في صحيحه
التخريج : أخرجه الترمذي (٢٩٨٨)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١١٠٥١)، وأبو يعلى (٤٩٩٩) باختلاف يسير

{أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ}: تقرير في صيغة سؤال، يعني أليس هذا كافيًا لكم أن يمدكم بثلاثة آلاف من الملائكة

صفتهم: {مُنْزَلِينَ} من السماء.

فهذا من عقيدتك (أن الملائكة مكانهم في السماء).

نزول الملائكة هذا خاص، وليس مثل الملائكة التي تتبدل علينا.

ستأتي الآية التالية تقرر الشرط لنزول الملائكة:

{بَلَىٰ} بلى هذه لإثبات، أو لتقرير الاستفهام؛ الاستفهام أتى في كلام النبي صلى الله عليه وسلم أنه سألهم ألن يكفيكم. **فكان الجواب (بلى) يكفيكم هذا الإمداد.**

بلى: جواب للاستفهام، معناها: نعم، يكفي هذا الإمداد.

ثم أتى الشرط:

{إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا}: هذا الشرط.

أصبح شرطين: الصبر، التقوى

وقد سمعنا عن الصبر والتقوى سابقًا في الآيات السابقة قبل في آية (١٢١)؛ ربنا بعد ما أخبرنا أن لا تجعلوا لكم إلا بطانة صالحة، لا تتخذوا من دونكم هؤلاء الذين ما يقصروا في خِبالكم إلى آخره، في الأخير أخبرنا سبحانه وتعالى: **{وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا}**

إذًا الآن ما شرط نزول الملائكة؟

الصبر، والتقوى.

هل تحقق الصبر والتقوى؟

لا، لم يتحقق في هذه الغزوة من الجميع ولا بالدرجة الكافية.

إذا لم يتحقق إذًا ما نزلت الملائكة طبعا؛ لأن نزول الملائكة مرتبط بتحقيق الشرط، والشرط ما تحقق، إذًا ما نزلت.

وهذا والله أعلم هو الرأي الصائب في تفسير الآيتين، خلافًا لما ذكر الشيخ السعدي من أنها في بدر.

- ✓ الشيخ السعدي قد رأى رأيٌ قد رآه كثير من المفسرين أنها في بدر، هو لا مانع أن تكون في بدر. لأنه أيضا يمكن أن تكون الجملة الاعتراضية من ثلاث آيات، **فهذا معنى**.
- ✓ **وهناك معنى آخر هي أنسب أن تكون في أُحد**، وأن هذا كان عرض عليهم من أجل أن يحصل منهم التوكل على الله؛ أن ربنا كما في بدر أنزل الملائكة وقاتلوا معنا، كذلك في أحد سيكون بشرط أن تصبروا وتتقوا.

وهناك شرط ثالث وهو:

{**وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا**} وهو أن الكفار يأتوكم من فورهم، يعني إذا أتوكم وهاجموكم، وباغتوكم، يمددكم ربكم ليس بثلاثة، بل بخمسة آلاف إذا حصلت المباغتة من العدو.

{يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ} معنى ذلك ممكن يكونوا شرطين، وممكن أن يكونوا ثلاثة شروط.

{بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ} **ما صفتهم؟**

{مُسَوِّمِينَ} يعني مُعلَّمين بعلامة الشجاعة.

شديدي الشجاعة في الحرب يضعون علامة كأنها تقول للعدو: تعال أنا أريد أقاتلك؛ ومن أمثلتهم في هذه الغزوة غزوة أحد، **أبو دجانة** لما النبي صلى الله عليه وسلم قال **من يأخذ سيفي بحقه، فكان حقه ألا يقف عن القتال حتى يموت.**

فأبو دجانة رجل شجاع جدا، ويضع عصبة حمراء في الحرب؛ يعني سيتميز، ونحن نريد في الحرب أن نخدع ونتخفى، فكأنه يقول لهم: ما تهموني، أنا أقتلكم حتى أموت، أو يضع ريشة يكون بها مميز.

فيقال إن الملائكة لما نزلت بدر كان لها ريشة بحيث أن يُقبل العدو على قتالها؛ يعني تصوري أبو دجانة يلبس عصبة حمراء وهو في الصف الثاني ولما يروه يتابعونه؛ لأنهم لما يقاتلون تختلط الصفوف، فلازم أول شيء الذي يقاتل يركز أن هذا عدو، ثم يبدأ في قتاله، لكن لما يكون لابس مثل هذه العلامات فالعدو يعرف مباشرة أنه عدو فيتابعه ليقتله.

فكانت الملائكة في بدر لها علامة بحيث أن الرجل من قريش يجري، يأتي يجري ليقتله فيقتله الملَك.

فالله أخبر أنه سينزل لكم خمسة آلاف من الملائكة، وعليهم علامات شجاعة، وهذه العلامات بالنسبة للملائكة ممكن تكون حسية بناءً على أن المسألة كلها أصبحت حسية الآن، فسيتمثل الملك بصورة إنسان، وأنه سيكون معه سيف، ويكون معه دابة، وتابع لذلك أن يكون الوسم له، مثل الوسم المعروف إن كان ريشة، أو عصبة، مثل الوسم المعروف، أو لا، كأن هذا زيادة في بيان صفتهم.

فكما فيكم أنتم أيها البشر شجعان يوسمون بوسم معيّن، فهؤلاء شجعان كأنهم موسمين بهذا الوسم؛ هذا كله ستركبينه على اعتقادك في الملائكة.

الآن هذا كله من أجل أن يحصل في قلب المؤمنين التوكل، والشجاعة على الله.

بقي السؤال: وقع هذا أم لم يقع؟ نزلت الملائكة أم لم تنزل؟

الجواب: ما نزلت الملائكة، لأنه لم يتحقق الشرط.

لو تحقق الشرط كان حصل النزول، مثل بدر، هذا أقرب والله أعلم، أن هذا الوعد في أحد.

عقيدتنا في نزول الملائكة:

الآن تأتي عقيدتنا في نزول الملائكة:

{وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِۦۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}[1]

ما عقيدتنا في نزول الملائكة؟

{وَمَا جَعَلَهُ} الضمير عائدا على إنزال الملائكة.

من الذي جعله؟ {اللَّهُ}

ما جعل إنزال الملائكة إلا بشرى، أي أنتم بني آدم الأسباب لها منزلتها في نفوسكم، فجعل إنزال الملائكة بشرى الله ، لتستبشروا أن معكم أحدا ، وأنت تعرفين لما تقدمين على أمر صعب، وأنت عندك قدرة على أنك تتكلمين ، عندك قدرة أن تدافعي عن نفسك ، عندك قدرة على أنك تنجزين ، لكن لا مانع في طبيعتنا البشرية أن نأخذ معنا أحد يشد من أزرنا ، بالرغم لما نذهب هو لا يتكلم ولا كلمة؛ لأن هذه طبيعتنا البشرية ، فوجودك معي تؤازرني لسبب طبيعةٍ نفسية، نفس الأمر نزول الملائكة لأن طبيعتكم النفسية تحتاج أن يكون معكم أحد.

إذًا ما جعل الله نزول الملائكة إلا بشرى، بسبب طبيعتكم النفسية.

---

[1] سورة آل عمران ١٢٦

{وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ} ليحصل الطمأنينة في قلوبكم بنزول الملائكة، وأن الله معكم؛ أي أصبح نزول الملائكة دليلا على أن الله معكم.

والحقيقة أن وقوع النصر إنما هو من عند الله {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} **الذي وصفه أنه:**

{الْعَزِيزِ} الذي يعز من شاء من عباده.

{الْحَكِيمِ} في إنزال النصر في الوقت المناسب.

إذًا هذه الآية اسمها عقيدتنا في نزول الملائكة.

الآن الآية (١٢٧)

{لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا}[١]

يعني هذا النصر لكم كي تحصل هذه الأمور البشرى والطمأنينة، وفي مقابل ذلك الله عزّ وجل بهذه الأمور يقطع طرفًا من الذين كفروا، يعني بهذه الغزوة يحصل هذه المصلحة التي هي ردّ أهل الكفر

{أَوْ يَكْبِتَهُمْ} ما معنى أن يكبتهم؟ هذه الكلمة تكليف للدرس القادم.

لاحظي لما تحفظين المجمل لازم تفهمينه كلمة كلمة، لازم تعرفين تعبرين عنها لما أحد يريد يسألك عن هذه الكلمة؛ العلم أنك

(١) سورة آل عمران ١٢٧

تستطيعين أن تعبري عن معناها، حتى لو كنت فهماها إجمالًا في السياق هذه مرحلة.

في مرحلة مهمة جدا هي تقدرين أن تعبري عن المعلومة، العلم درجات؛ **الأول أن أفهم، الثاني أستطيع أن أعبّر**؛ يعني تعبّروا عما فهمتموه.

ففي آية (١٢٧) ما معنى يقطع طرفًا من الذين كفروا؟

يقطع جانبًا منهم إما بأسرهم، أو قتلهم، أو الاستيلاء على ممتلكاتهم؛ يعني الغنائم.

عقيدتنا في الرسول صلى الله عليه وسلم

ستأتي الآية الثالثة التي فيها عقيدتنا في الرسول صلى الله عليه وسلم:

{لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ}[1]

وهذه من عجائب الأخبار؛ السياق في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم، والملائكة ستنزل من أجل نصرته، ومع ذلك الله عزّ وجل يقول له: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}

كيف سيعامل الله أهل الكفر؟ نرجع للآية (١٢٧)

- إما يقطع طرفاً من الذين كفروا، بالقتل، بالأسر، بالسلب.

(١) سورة آل عمران ١٢٨ - ١٢٩

- أو يكبتهم كما سنعرف، فينقلبوا خائبين؛ أي على الأقل يشعرون بأن المؤمنين أقوياء، فهم يرجعون، يسكتون، يشعرون بقوة المؤمنين.
- أو يتوب عليهم
- أو يعذبهم فإنهم ظالمون.

يعني هؤلاء أهل الكفر أنت دورك معهم أنك تقاتلهم فقط، لكن ماذا يُفعلْ بهم بعد ذلك، فالأمر لله عزّ وجل.

من أجل أن تتصوري المسألة، لو قرأتِ مثلا الأخبار التي جاءت في السير عن هذه الغزوة ستقرئين أن ميمنة وميسرة الكفار كان عليها خالد ابن الوليد، وعِكرمة ابن أبي جهل.

لما تقرئين الخبر خالد بن الوليد، وعكرمة، ستقولين بعد ذلك رضي الله عنهما، رغم أنك تتكلمين عنهم في السياق على أنهم مشركين وتقولين عنهم رضي الله عنهم.

لك من الأمر شيء؟ {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}

يعني الأسماء التي قاتلتك وبقيت في التاريخ التي هي سبب الهزيمة، هي التي سيدور الأمر عليها، ولما نأتي نخبر عنهم سنقول رضي الله عنهم رغم أنهم كانوا في صف الشرك؛ وهذا يعني أنه ليس أنت الذي تحكم على الناس، هذا الكلام يقال للرسول صلى الله عليه وسلم {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}

فلازم تتصورين هذه الآية، وتصوري حال الجهل الذي وصل به المسلمون أن يذهبوا للروضة الشريفة ويكتبوا حاجاتهم ويرموها في قبر النبي صلى الله عليه وسلم على أساس أن النبي صلى الله عليه وسلم يقضي لهم الحاجات! والله عزّ وجل يقول: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}، أو يطلعوا لنا مخرفين أكثر تخريفًا أن الرسول صلى الله عليه وسلم، لما تناديه يخرج من قبره، ويقدم لك المساعدة! فلما قيل له: المتعلقين بالنبي صلى الله عليه وسلم، كُثُر في الشرق، في الغرب، في الشمال، في الجنوب، فلمن سيذهب؟!

قالوا: يذهب للجميع!!

<u>بذلك أخرجوه من مرتبة البشرية، إلى مرتبة الألوهية وصبغ عليها صفاتها.</u>

والله يقول لرسوله {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}.

أنت لازم تكونين واثقة في عقيدتك في النبي صلى الله عليه وسلم، ما يكون عندك أي اهتزاز، **لازم تعرفين أن هذه العقيدة بسبب النصوص**، وليس بسبب أنك تربيت، أو ألفت أن تفهمي عن الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الفهم، لا؛ بسبب النصوص، هذه النصوص تقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}؛ **يعني** يؤمنوا، يكفروا، يهتدوا، يأمركم بقتلهم، يأمركم بسلمهم، يفعل بهم ما شاء ، أنت يا رسول الله ليس لك في أقدارهم شيء ،ولا في الحكم عليهم شيء ، أو في هدايتهم شيء.

وهذا معنى يؤيد معنى تعرفونه؛ لما نزلت الآيات في حق عم النبي صلى الله عليه وسلم قيل له: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}[1].

وهذا مع المحافظة على الجناب النبوي توقيرا، واحتراما، ومتابعةً، بل والشرف بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم، والفرح بأننا من أمته صلى الله عليه وسلم، وعبادة الله بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عقيدتنا في الله عزوجل

الآن تأتي عقيدتنا في الله:

{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[2]

هذه العقيدة واضحة ستقابلينها، {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} يا رسول الله، إنما الأمر بيد الله، الذي له ما في السماوات وما في الأرض.

هل يموتوا على الكفر؟ هل يسلمون؟ هل يحصل لهم كذا؟

ستقولين: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}

{يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ} مناسب جدًا لموقف هؤلاء في كونهم يؤمنون أولا يؤمنون.

---

(١) القصص ٥٦

(٢) سورة آل عمران ١٢٩

{وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} يعني هذه فيها ترجية أكثر؛ أي رجاء أن يحصل لهم الإيمان.

ولا تنسوا أن خالد ابن الوليد، وعكرمة سمعوا هذه الآيات وهم لازالوا كافرين، ثم ينقلب الأمر ويتيقنون أن الله يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، وظهر أن الله غفور رحيم؛ لأن أكثرهم عادوا إلى الإيمان، أكثر من بقي من هذه الغزوة عاد إلى الإسلام، على رأسهم طبعا الذين كانوا قادة لهم مثل خالد وعكرمة رضي الله عنهما.

نحن قلنا إن المقطع الأول من آية (١٢١) إلى آية (١٤٨)

من (١٢١-١٢٩) هذا العنصر الأول (مقدمات معركة أحد وأن الأمر بيد الله.)

العنصر الثاني: الإرشاد إلى مِلاك الأمر في كل باب من الصبر والتقوى. (١٣٠-١٣٨)

سنبدأ العنصر الثاني من آية (١٣٠-١٣٨): ستكون هذه الآيات الإرشاد إلى مِلاك الأمر، في كل باب، لا سيما باب الجهاد من الصبر والتقوى.

وسننتقل الآن لشيء بعيد تماما عن الغزوة، ويُتصور أنه غريب في السياق، لكنه هو ليس غريبا في السياق، إنما هو جزء واضح في السياق، ملاحظين الانتقالة كل الكلام عن غزوة أحد، نحن نقول

ستين آية، من بداية آية (١٢١) في غزوة أحد، لكن لما نقرأ الآيات سنرى كأن الكلام بَعُدَ عن الغزوة؟

الجواب واضح في العنوان، أنه هنا يُرشدْ إلى مِلاك الأمر، وكيف أنت تصل إلى أن تنتصر، وليس أنك تجمع القوى العسكرية، لا

في شيء في الباطن أولا لازم يحصل، كي يحصل النصر في الظاهر.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةًۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[1]

الآية (١٣٠) تتكلم عن الربا، ونحن نتكلم عن الجهاد.

فما الصلة؟ المال ما علاقته بالقتال؟

هو عَصَبَه؛ على المال يدور فلك الجهاد.

فما المطلوب منا في الآية؟

أموالنا يجب أن تكون حلالا.

طيب أنا ذاهبة أقاتل في سبيل الله فهل آخذ من اليهود ربا؛ لأمشي حالي، و أقترض ربويا؟

أنت لا يمكنك أن تطلب ما عند الله بمعصية الله أبدًا.

بمعنى لو واحدة ذاهبة تبحث عن وظيفة، فقالوا لها يوجد وظيفة بشرط تفعلي كذا وكذا من المنكرات، تقول أنا محتاجة

---

(١) سورة آل عمران ١٣٠

الوظيفة، نقول لها هذه الوظيفة رزق، والرزق من عند الله، فهل تطلبين ما عند الله بمعصية الله؟

هذا إذا كنت مؤمنة بأن الرزق بيد الله، أما إذا كنت تشعرين أن الرزق بيد فلان وفلان فالله سيتركك عبدًا لهم.

إذا كنت مؤمنة بأن الرزق من عند الله، تعرفين أنه لا يمكنك أن تطلب ما عند الله بمعصية الله أبدًا.

مثال نسائي أقرب:

الآن النساء من الطبيعي أنهن يبحثن عن الجمال، فيذهبن يرتكبن منكرات، ابتداءً بالنمص، وانتهاءً بأشد من ذلك في تغيير ما خلق الله **بعمليات التجميل غير العلاجية**، يفعلن هذا ليأتوا بالجمال، والجمال الله هو الذي يهبه؛ فيطلبوا ما عند الله، بمعصية الله.

هل سيصلون؟ لا، ما يصلون مهما كانت تتجمل وتتصلح وتصير روحها ثقيلة على من هو جالس معها، يتمناها فقط أن تقوم من جنبه، وهي شاعرة نفسها أنها عملت كل الأشياء التي ممكن تغري الناس كي يصاحبوها ويحبوها ويمشوا معها، وما تدري المسكينة أن روحها هي التي تبقى عند الناس.

أنت فكري في الناس الذين يحيطون بك؛ هناك أحيانا ناس ما نتذكر شكلهم؛ أكثر شيء نتذكره أن روحهم خفيفة علينا ولطيفة

أم ثقيلة، وأيضا لما يأتي الجمال الزائد يأتي الغرور، يأتي الكبر، يأتي ثُقل الروح الحقيقي.

الشاهد هنا أن هذه الآية، وارتباطها بما سبق عجيب جدا أن يقال لك: لا تطلب ما عند الله بمعصية الله.

ما علاقة قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً} بما قبلها من الجهاد؟

أن الجهاد يحتاج إلى مال، عصب الجهاد، الجهاد فلكه يدور على المال.

هل يمكن أن أطلب مال حرام من أجل أن أنصر الجهاد؟

الجواب: لا

ما يُطلب ما عند الله بمعصية الله، إنما يُطلب بطاعة الله.

ولذلك كان أول شيء ذُكر في السورة؛ لأنهم الآن لما يقارنون عَددهم وعُددهم بالمشركين سيجدون أن عَددهم وعُددهم أقل.

وفي الرواية كما ذكر المؤرخون أن نفرًا من الصحابة لما انخذل عبد الله ابن أُبيّ عن الجيش، قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم نطلب اليهود أحلافنا يساعدونا فامتنع النبي صلى الله عليه وسلم.

فاليهود لو جاءوا سيأتون بأموالهم التي من الحرام والربا، ومثل هؤلاء شؤم على أهل الطاعة.

{وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} **نرجع** مرة ثانية للأمر الأساسي الذي هو التقوى.

{وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}[1] **يعني زيادة تخويف من الربا**، يعني ما في حال يُسمح لك في استعماله.

١- **إذا الأمر الأول:** {لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا}.

٢- **الأمر الثاني:** {اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}.

٣- **الأمر الثالث:** {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[2]

الذي به يحصل النصرة أن تطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون،

فلو حققه الصحابة كلهم كان حصل النصر في أحد.

٤- **ثم الصفة الرابعة التي يحصل بها النصر:**

{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}[3]

إذا الصفة الرابعة التي بها يحصل لكم النصر، أنكم تسارعون إلى مغفرة من ربكم، وجنة عرضها السماوات والأرض.

وهذا مناسب جدا لموضوع الجهاد، ممكن يحصل في الجهاد من التلكؤ، كما حصل للطائفتين {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ

---

(١) سورة آل عمران ١٣٠- ١٣١

(٢) سورة آل عمران ١٣٢

(٣) سورة آل عمران ١٣٣

تَفْشَلَا} فأمام التردد والتراجع، قيل: {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ}.

والمطلوب مننا دائما:

الأمر الأول: ألا ندخل علينا أموالًا ربوية، وبكلام **عام** ألا نطلب ما عند الله بمعصية الله

والأمر الثاني: أن نتقي النار فلا نأخذ قرارات توصلنا للنار في النهاية.

والأمر الثالث: طاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثم الأمر الرابع: المسارعة في هذه الطاعة.

والأمر الخامس: تحقيق صفات المتقين:

{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[1]

١- الصفة الأولى للمتقين: الذين ينفقون في السراء والضراء.

٢- الصفة الثانية للمتقين: الكاظمين الغيظ.

٣- الصفة الثالثة لهم: العافين عن الناس.

٤- الصفة الرابعة: المحسنين.

هذه الأخلاق مهمة جدا في القتال:

✓ {يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ} خارجين للقتال، لا نريد أموالا ربوية، نريد ناس يعطونا من عندهم، ما نريد ربوي.

---

(١) سورة آل عمران ١٣٤

✓ لما تجيّش الجيوش ويحصل بين الناس ما يحصل، ويجتمع المؤمنين، ممكن الشيطان يحرش بينهم هؤلاء الذين هُمّ صف واحد، فلازم يتعاملون مع بعض بصورة {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}

لاحظي هذه الأخلاق هي التي تصلح لأن يكون جيش واحد من أجل ما يتقاتل هو بنفسه؛ ولاحظوا أن من علامات الخوارج الذين يخرجون أنهم يروا مرتكب الكبيرة كافر، فلما يخرجون مع بعض جيش واحد ويحصل من صاحبه شيء، ممكن اعتداء عليه، أو على دين الله، ما يفكر في الموضوع، يقتله مباشرة، أي يقتل الذي هو معه في الصف!! طبعا هذا مبني على عقيدة خاطئة، وعلى أخلاق خاطئة.

إذًا نحن نحتاج هذه الأخلاق في نفس الحرب، ونحتاجها في الحياة عموما.

والذي ما درس آل عمران سابقًا، دائماً يستشهد بهذه الآيات بعيدًا عن سياقها.

هذه الآيات من الآيات المتداولة، أنت تربطيها بالسياق، وتفصليها عن السياق، إذا صَلُحَ فصلها عن السياق، والعجيب أنت تعرفين أن هذه الآيات إنما أنزلت في قصة أحد، ولم تنزل في سياق الكلام الأخلاقي؛ دليل على أن المقاتلين يحتاجون هذه الأخلاق.

٥- الصفة الخامسة:

{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ}[١]

صفة الخارجين في سبيل الله لازم يكونوا تائبين عن الذنب لينزل عليهم النصر.

٦- الصفة السادسة ستأتي مكملة للصفة الخامسة:

{وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}

صفة الخارجين في سبيل الله أنهم ما هم من أصحاب المعاصي، التي يصرون عليها؛ يعني إذا عرفوا نفسهم أنهم أصحاب معاصي قبل ما يخرجوا إلى الحرب يتوبون ويستغفرون ولا يكونوا من أصحاب المعاصي المصرّين عليها.

{أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}[٢]

إذا هذه الآيات لوحدها منفصلة عن السياق؛ فيها من الفوائد الشيء العظيم في تنظيم سلوك الناس وهي متصلة بالسياق تكون أعجب في المعنى؛ كأنه يقال: إذا أردتم نصرة الله، فكونوا من هؤلاء. **لأنه لا يُطلب ما عند الله، بمعصية الله**.. انتهى اللقاء بحمد الله وفضله ومنه وكرمه وجوده

(١) سورة آل عمران ١٣٥

(٢) سورة آل عمران ١٣٦

اللقاء الرابع عشر (١٢ جمادى الثاني١٤٤١ هـ)

الآيات (١٣٧-١٤٨)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكلنا على الله.

نكمل دراسة سورة آل عمران وقد بدأنا في القسم الثاني من السورة، كما هو متبيّن لكم أن السورة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: كان فيه رد شبهات النصارى، ونزل في وفد نجران.

القسم الثاني: رد شبهات المنافقين، ونزل في غزوة أحد.

سورة البقرة **أسست الإيمان**، وسورة آل عمران **ردت الشبهات**.

هناك نوعين من الشبهات:

- شبهات أعداء الإسلام من الخارج.
- شبهات أعداء الإسلام من الداخل.

من هم أعداء الإسلام من الداخل؟ **المنافقين.**

ومن هم أعداء الإسلام من الخارج؟ **الكفارعمومًا.**

هؤلاء المنافقين والكفار، الله ذكرهم في بداية سورة البقرة:

أول صنف هم المتقون الذين استجابوا للكتاب، وفي نهاية الصفات قال الله:

{أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[1]

ثم جاءنا {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا}[2]

ثم {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}[3]

ثم انتهى هذا السياق بقوله {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}[4] ، أما الصنف الأول كان وصفهم {أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ}.

إذاً الذين ما كانوا مهتدين، كم قسم؟

قسمين: الكفار، والمنافقين.

اجتمعوا جميعًا في سورة آل عمران.

بذلك واضح الارتباط بين آل عمران وسورة البقرة

الجزء الأول من آل عمران انتهى بأنه لابد أن يكون لكم أعداء، وهؤلاء الأعداء إن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا.

وبدأ الكلام عن الأعداء الذين وقع منهم في غزوة أحد ما وقع.

بدأت الآيات بوصف النبي صلى الله عليه وسلم وموقفه، ثم مسألة الطائفتين من المؤمنين التي كادتا أن تفشلا، ثم نزول الملائكة.. إلى هنا كانت كلها مقدمات لمعركة أحد.

---

(1) سورة البقرة ٥
(2) سورة البقرة ٦
(3) سورة البقرة ٨
(4) سورة البقرة ١٦

بعد ذلك انتقلنا انتقالة تكون في الظاهر كأنها بعيدة، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً}.

ظاهرها أنها بعيدة لكنها قريبة، فإذا قلنا {لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً} فهذا عن المال.

فهذه الآيات: عُدّوا ماذا ورد فيها من أوامر؟

{لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً}.

{وَاتَّقُوا اللَّهَ} {وَاتَّقُوا النَّارَ}.

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ}.

{وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ}.

ثم أتت صفات المتقين.. ما هي؟

{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (١)

فصفات المتقين أتت مع السياق الذي فيه يقول لهم، أنكم لن تنتصروا إلا إذا كنتم مستقيمين، النصر ما يكون إلا للمتقين.

ما مظاهر التقوى؟

{لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً}.

---

(١) سورة آل عمران ١٣٤-١٣٥

{وَ اتَّقُوا اللَّهَ} {وَ اتَّقُوا النَّارَ}.

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ}.

{وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ}.

فهذه صفات المتقين الذين ينصرهم الله، {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا}

ولذلك الكلام عن الغزوة ما هي التقوى التي ينصر الله أصحابها.

كان بقي لنا آيتين في هذا المقطع:

{قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ}[١]

هاتان الآيتان ختام لهذا المقطع الذي فيه يدلهم الله كيف تكون التقوى؛ **لأن التقوى شرط للنصر.**

قبل أن ندخل في غزوة أحد، وصف الله البطانة وقال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ}[٢] .

(٢) سورة آل عمران ١٣٧ - ١٣٨

(١) سورة آل عمران ١١٨

الآيات واضحة فتعرفون من تتخذونه بطانة.

ولما فهمنا هذا، وصف الله لنا الأعداء:

{هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}[1]

ثم وصف لنا رب العالمين ماذا نفعل.. **يعني هذا الغيظ وكل هذا العداء كيف أقابله؟**

{وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}[2]

فهذا الكلام كان قبل الغزوة.

ثم في وسط الكلام عن المقدمة، أتى الكلام عن الملائكة ونزولها.

والشاهد أن نزول الملائكة مرتبط بالصبر والتقوى.

{بَلَىٰ ۚ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ}[3]

([2]) سورة آل عمران ١١٩-١٢٠

([3]) سورة آل عمران ١٢٠

([1]) سورة آل عمران ١٢٥

✓ إذًا شرط نزول الملائكة: الصبروالتقوى.

✓ وما الوصية مع أعدائنا؟ الصبروالتقوى.

الصبر معناه مفهوم، والتقوى أتت الآيات وشرحته، ابتدأت بالربا لماذا؟ لأن المسلمون لما رأوا الكافرين يمد بعضهم بعضًا بالأموال وأموالهم من الربا، فظنوا أنه لا مانع أن يجعلوا الربا في تجهيز هذا الجيش.

فماذا قيل لهم؟ ما نصل إلى ما عند الله بمعصية الله.

لا يُطلب ما عند الله بمعصية الله، وأعظم معصية هي الربا لأنها متصلة بظلم الناس وفي نفس الوقت يطمع فيها الطامع فيظن أن هذه ستنفعه... إلى آخر كل هذه الوصايا في بيان التقوى.

بعد بيان التقوى قال الله عز وجل:

{قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ}(١)

---

(١) سورة آل عمران ١٣٧ - ١٣٨

{قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ} يعني أنتم لستم أول المؤمنين الذين لكم أعداء، قد خلت من قبلكم أمم سابقة نصروا الحق وكان لهم أعداء.

{فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} سيروا في الأرض بأبدانكم، أو سيروا في الأرض بقراءتكم التاريخ؛ فالسير في الأرض إما بالبدن فسافروا في رحلتكم وسترون أنه كان هناك أقوام جاءهم الحق فرفضوه فوقعت عليهم العقوبة، أو اقرؤوا التاريخ.

{فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} إذاً فائدة السير في الأرض لنرى نتيجة الصراع الحتمية، الحق والباطل يتصارعان والنتيجة الحتمية أن الحق يظهر على الباطل، لكن متى وكيف؟ هذا شأن الله.

{هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ} هذا: اسم إشارة عائد على كل الوصايا التي تعرفون بها التقوى.

فالتقوى اسم جامع لمعاملات كثيرة:

- فأنت الآن مع والديك **ما هي التقوى؟ البر.**
- في وقت الصلاة **ما هي التقوى؟** المسارعة للصلاة وأن تتوضأ بإتقان.

فكل وقت التقوى لها صورة.

{وَهُدًى} ما مضى في بيان التقوى، هذا بيان، ويهديك كيف تتصرف في كل موقف {وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} لكي تصل إلى التقوى

يعني الآن وأنتم جالسين في مجلس العلم تجلس فيه الملائكة، ما تنشغلوا بأي شيء، **لأن التقوى هي احترام الملائكة التي تحيط بكم وقت الدرس**؛ التقوى أنكم في درس تسمعون فيه القرآن، فالتقي يعظّم الله، ويعظّم كتاب الله.

ففي كل شأن في نوع أو صورة من صور التقوى.

هذا الذي سمعتموه بيان للناس، إذا بانَ لكم عليكم أن تلزموه، فتهتدوا، وهذه موعظة لكم من أجل أن تكونوا متقين.

بهذا انتهى الكلام عن بيان التقوى.

إذا **المقطع من آية (١٣١ – ١٣٨) فيه بيان ما هي التقوى؛ لأن شرط النصر التقوى.**

العنصر الثالث: تقوية المسلمين والنهي عن الهوان والهزيمة النفسية من (١٣٩-١٤٨):

الآن نبتدئ بالعنصر الثالث من (١٣٩-١٤٨)

{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ

النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (١٤٣) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًاۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًاۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَاۚ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (١٤٥) وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُواۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[1]

هذا كله نحن في المقطع الأول من آية ١٢١- ١٤٨

كم عنصر الآن تدارسنا؟؟

تدارسنا عنصرين:

١- العنصر الأول: مقدمة المعركة

(١) سورة آل عمران ١٣٩ - ١٤٨

٢- **العنصر الثاني: الدلالة على مِلاك الأمر، أو بيان معنى التقوى، لأن شرط النصر التقوى.**

٣- **الآن نحن في العنصر الثالث:** الذي يبدأ من آية ١٣٩ وينتهي في آية ١٤٨، **ما موضوع هذا العنصر؟**

تقوية المسلمين، والنهي عن الهوان والهزيمة النفسية.

يعني حتى لو حصلت الهزيمة الحسية فالممنوع الهزيمة النفسية.

سنبدأ من آية (١٣٩) وسيظهر لنا النهي عن الهزيمة النفسية.

وهذه الأجيال سواء نحن أو أنتم فكل جيل يأتي يكون أكثر هزيمة نفسية من الذي قبله، فالمفروض أننا نطلب لذلك علاجًا.

وأنتم أولى الناس أن تفهموا ما معنى الهزيمة النفسية، حتى تخرجوا أنتم منها كأشخاص وتُخرجون مَن وراءكم.

بدأت الآية بالنهي:

{**وَلَا تَهِنُوا**}

مهما حصل من ضعف دنيوي يعني سواء حصلت هزيمة حسية أو نقص أدوات؛ يعني غيركم متقدم وأنتم متأخرين في الدنيا، فلا يقع منكم الهوان.

وهذا هو النهي الأول، وسيتبين في ختام الآية لماذا لا ترون أنفسكم أقل من الناس، حتى لو حسيًّا أنتم متأخرون، وحتى لو الناس في الدنيا متقدمون، وأنتم متأخرون.

فَقِيسي الآن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته في المدينة، والفرس والروم في ديارهم، كانوا أكثر تطورًا من التطور الذي نحن نعيشه؛ بمعنى أن عندهم من الأدوات والعلوم والحضارة سواء في الهندسة أو في الاستفادة من الكون، أو الاستفادة حتى من الأجواء يعني من السماء؛ علوم متقدمة جدًا.

وأهل المدينة في مكانهم من جهة هذه الحضارة، ومع ذلك الله عز وجل يقول للمسلمين

{وَلَا تَهِنُوا} أمام أعدائكم الذين هزموكم حسيًّا.

{وَلَا تَهِنُوا} أمام المتقدمين حضاريًّا.

ثم النهي الثاني:

{وَلَا تَحْزَنُوا}

لا تحزنوا لفوات شأن، لا تحزنوا لفوات نصر، لأن الحق سينتصر، سينتصر، فإذا ما انتصر اليوم، سينتصر غدًا، وإذا ما

انتصر على أيدينا، فسينتصر على أيدي غيرنا، وهزيمة اليوم تمهيد لنُصرة غد.

ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما عاد من موقفه من أُحُد قال لعليّ رضي الله عنه: هذا آخر ما ينتصرون علينا إلى فتح مكة، وهذا وعد الله له وقد وقع؛ تجمعوا عليه في الأحزاب وفعلوا، وفعلوا لكن ما انتصروا.

فكانت هذه آخر هزيمة، وكانت تمهيد للفتح، تمهيد لنصرتهم بعدها.

ويجب أن تشعروا بماذا؟

{وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ}

لكن هذا ليس مرض العلو الذي عند فرعون وقارون، يعني لستم الأعلون لأن عندكم دنيا زائدة مثلما علا فرعون في الأرض وجعل أهلها شيعًا، ولا مثل ما علا قارون، **إنما أنتم الأعلون بتقواكم، بمبادئكم، وبما عندكم من قيم.**

ولهذا انظروا هذا الطريق؛ طريق الاستقامة والقيم العليا تأتي الفتن عليه من أجل أن تطرد الذين ليس من أهله، الذين ما يستحقون أن يكونوا الأعلون، تأتي الفتن وتطرد الذين ليس من أهل (الأعلون)، ثم لما يتمحص المؤمنون وحدهم فهؤلاء الذين يرفعهم الله عزّ وجل.

ولذلك كان لازم تصير هذه الهزيمة ليخرج المنافقون من الموضوع ثم يرفع الله أهل الإيمان.

إذًا أنتم الأعلون بالدنيا؟ بثقافاتكم؟ بفلسفتكم؟ بالحضارة؟

لا، بل: **{إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}**

هذا هو الشرط {وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ}

فأتى نهيان **{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا}** وليتحقق هذين النهيين **تذكّر أنك أنت الأعلى إذا كنت مؤمنًا.**

وهنا سيتبين لكم أن أي حزن على الهزيمة، وأي فرح بالنصر، كان عند الأصحاب الكرام ليس لنصرة أنفسهم، إنما لنصرة الدين.

يعني معنى ذلك هم ما قصدوا بالبحث عن النصرة والاجتهاد فيها أن ينصروا أنفسهم، وإلا ما تعرّضوا للموت لأنه لما يموت سينصر نفسه بماذا؟!! فهو ميت ولن يشعر بلذة النصر.

لكنهم كانوا مخلصين غاية الإخلاص، أرادوا أن يُقتلوا في سبيل أن يزيلوا أهل الكفر المانعين لنشر الحق؛ **فقصدهم بطلب النصر التمهيد لنشر الحق.**

فلذلك مادام أنت تنشر الحق وتبذل جهدك لأجله، لا تهن ولا تحزن، واعلم أنك أنت صاحب الحق الأعلى إذا كنت مؤمنًا.

لما تنتشر الهزيمة النفسية، ويحصل بين الناس الهوان؛ **ما هو الشيء الذي تخلّف؟ الشرط الذي هو الإيمان.**

إذا ضعُف الإيمان ظهرت الهزيمة النفسية.

ما هو تعريف الهزيمة النفسية؟

ما يصير الإنسان مهزوم إلا إذا ما كان في نفسه عِزة.. **الاعتزاز بالدين.**

الهزيمة النفسية: يقابلها الاعتزاز بالدين

الذي ما عنده عزة بالدين فبماذا سيعتز؟

بالحسب والنسب، وطبعا هذه جاهلية، ولأجل أن نحل مشكلة الهزيمة النفسية لازم نأتي بكل شيء الناس يعتزون به ولا قيمة له ونعالجه.

أنت الآن لتكوني من أهل هذا الشرط {وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} لازم يكون عندك الاعتزاز بالدين؛ يعني: قيمة العزة.

إذا ما فيه اعتزاز بالدين، سيكون الاعتزاز بأشياء أخرى، ومن أشهرها الاعتزاز بالحسب والنسب، وعند النساء أشياء أخرى يعتزوا بها جمالهم، شعرهم الطويل، فكري في عقلك الأشياء التي مادام هي موجودة فأنت فرحانة بها وتحسين كأنها ترفعك فوق.

فكل شيء غير الإيمان هو الاعتزاز بالباطل، وهذا هو الهزيمة النفسية.

الإنسان واحد من اثنين: إما معتز بدينه، أو معتز بالباطل، والمعتز بالباطل هو مهزوم نفسيًّا

فالإنسان لازم يكون معتز، وما يقدر الإنسان أن يعيش بدون العزة؛ لأنها من القيم الأساسية التي يقوم الإنسان بها، بل تقوم بها المجتمعات.

ولذا المهزوم نفسيا إذا كان عنده لغة ثانية غير اللغة العربية، فعقله ركّز أن يكون معتز باللغة الثانية، فالآن كلنا عرب في المجلس، وهو يكلمنا كلمة عربي وكلمة أجنبي!

بناءً على ماذا؟ على أنه مهزوم نفسيًّا.

فهذه التصرفات بها كأنك تقيس درجة حرارة العزة عند الإنسان أو درجة حرارة الهزيمة.

تجلسين مجلسًا وتجدين واحد يتكلم كلمة عربي وكلمة أجنبية على طول درجة الحرارة معروفة!

وطبعًا أنا لا أتكلم عن الناس الذين ابتلاهم ربنا، وذهبوا وعاشوا ونشئوا هناك وأتوا ما يعرفوا العربية، هذا ابتلاء، ربنا يعينهم.

لكني أتكلم عن العربي الذي يعرف العربية وبعد ذلك يسوي هذه التصرفات.

أنت تجلسين في مجلس وطول الوقت هي تصلح شعرها! هؤلاء مساكين معتزة بشعرها.

وهكذا لتعرفي أن الإنسان ما يقدر يعيش إلا معتزا؛ فماذا يفعل؟

يتحسس، يتحسس.. وهذا كله ما له قيمة.

{وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} **وليس** عندكم مال أو حسب أو نسب.

ولنبدأ نحل هذه المشكلة لأن هذه مشكلة حقيقية، وقراءة القرآن لتعتدل أفكارنا، وليس لنسمّع كل أسبوع وكل واحد يذهب لطريقه! بل لتعتدل أفكارهم.

ولنحل هذه المشكلة سنبتدئ بمشكلة، مشكلة في الهزيمة النفسية ونقرأ سوياً كتب في ذلك:

سأبدأ بمشكلة ممكن ليست منتشرة كثير عندكم، مشكلة الجاهلية وهي الافتخار بالأحساب والأنساب.

فواحد من أهداف دراسة آل عمران: الوصول للعزة الإيمانية، وإزالة الهزيمة النفسية.

وهذا كله واضح في آية (١٣٩):

{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}

سيتبين في آية (١٤٠) **مهما حصل لكم أيها المؤمنون: الإيمان يجعلكم أهل عزة.**

ركزوا في آية (١٤٠) لأنها بيان لآية (١٣٩):

{إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ}

تصوروا هذه الحالة أن يحصل لكم قرح.

والمقصود بالقرح: هي في الأصل جُرح، وكأنها جرح الكرامة بأن تحصل لكم الهزيمة، أنتم كمجتمع يمسسكم القرح، كأنه جُرح الهزيمة جُرح الكرامة، فانظروا للتعبير القرآني.

{فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ}

يعني أنتم لستم أول المدافعين عن الحق، وإذا حصل لكم هزيمة فلابد أن تعرفوا أن المدافعين عن الحق قبلكم أيضا حصل لهم هزيمة، لكن ما انسحبوا من الساحة، وما قالوا إذا لم ننتصر دائمًا لن ندافع عن الدين.

لا، بل إن تصبروا وتتقوا، وأؤكد عليكم هم الآن مخلصون لأنهم لو ما كانوا مخلصين، إذا حصلت هزيمة تخلّوا عن الدين، لكنهم هم يريدون نصرة دين الله فبقوا صابرين مهما حصل لهم هزيمة.

{إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ} فهذا ليس شأنا غريبا، {فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ}، وسُنة الله: {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} هذه سنّة الله أن يداول الأيام بين الناس.

لكن أكيد هذه السنة لها حكمة، **فستظهر في الآية على الأقل حكمتان:**

الحكمة الأولى: {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا}

أليس الله عالم بكل شيء قبل أن يكون؟ بلى.

كيف تفهمين الآية؟

هذا هو علم الظهور، فالله عالم بأحوال الخلق، لكن الخلق بنفسهم ما يُخفونه في أنفسهم، تأتي المواقف تُظهره.

فالله ما يحاسبك إلا لما يبتليك ويظهر منك **الأمر؛ فهذا اسمه علم الظهور.**

الحكمة الثانية: {وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ}

- ✓ إذًا يصيب المؤمنين قرح ليظهر المؤمنون الثابتون على الحق، الذين مع الحق سواء منتصرين أو مهزومين.
- ✓ وأيضًا يتخذ منكم شهداء، يعني هؤلاء الذين لما وقعت الهزيمة وقُتلوا في سبيل الله فسيأتون يوم القيامة ويشهدون على أهل الكفر.

أو يتخذ منكم شهداء على أهل عصركم أنكم بذلتم في نشر الحق وأنهم لم يقبلوه.

الحكمة الثالثة ستأتي بطريقة مختلفة: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}

ما هي صفة الله هنا؟ ننفي عن الله هنا حب الظلم.

الآية معناها فوق معنى أنه سبحانه وتعالى لا يظلم، بل لا يحب الظلم.

هذه صفة الله أنه سبحانه وتعالى لا يحب الظلم.

لكن ما دلالتها هنا؟

{إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} وبعد ذلك هناك غايات:

الغاية الأولى: {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا}

الغاية الثانية: {وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ}.

الغاية الثالثة: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} **ما دلالتها؟**

معنى ذلك لازم الأمور ترجع في مواطنها، الله لا يحب الظلم، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، فالله عزّ وجل إذا مسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، والأيام تُتداول لمصالح لأنه عند حصول الهزيمة، يعلم الله الذين آمنوا، وكي يتخذ منكم شهداء، ولأجل أن أي ظلم هذه المعارك تبينه، فالله عزّ وجل يضع كل شيء في موضعه.

لو أتينا لمعركة أحد، من الذي وقع منه الظلم؟

الكفار لا كلام في ذلك، لأنهم وقع منهم الظلم.

لكن في أحد **لما حدثت الهزيمة؟**

لأنه وقعت المعصية.

فالله عزّ وجل أدّب الأصحاب بهذه الهزيمة، لأنه سبحانه لا يحب الظلم، لا يحب أن نضع نفسنا في موقع غير صحيح، سواء كان المسلمون أو الكافرون.

فليس لأنك مسلم تخطئ وتعتمد على أنك مسلم مؤمن وأن الله سينصرك! لا بل أنت لما تخطئ ستأخذ نصيبك من الهزيمة.

ستأتي الغاية الرابعة الآن: {وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا}

التمحيص: بمعنى التطهير فيطهر الذين آمنوا من ذنوبهم.

{وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} يستأصلهم بالهلاك ويعذبهم؛ **المَحق بمعنى الإذهاب.**

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ} **الخطاب للمؤمنين،** {وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}[1]

(1) سورة آل عمران ١٤٢

نرجع مرة أخرى لـ {يَعْلَمِ}: يعلم هنا تشبه ماذا؟ تشبه وليعلم الأولى بمقصد: علم الظهور: يعني لن تدخلوا الجنة إلا وقد ظهر المجاهدون منكم، وقد ظهر الصابرون منكم.

يعني قد اختُبرتم فظهر منكم المجاهدون، واختبرتم فظهر منكم الصابرون.

{يَعْلَمِ} هنا بمعنى: ليَظْهر منكم، أو ليُظهر منكم، الله يختبركم كي يظهر منكم؛ لأننا ممكن نكون جالسين في صف واحد، ومظهرنا أننا نحب الإيمان ونحب نصرة دين الله، لكن لأننا جالسين على الكراسي وهادئين فظاهر علينا! لكن متى تظهر الحقيقة؟

لما يبتلينا الله بابتلاء وتظهر حقائق الناس؛ **فهذا هو علم الظهور.**

كلهم في المدينة؛ المؤمنون والمنافقون كانوا يدّعون الإيمان، والمؤمنون صادقون أما المنافقون كاذبون.

كيف تظهر الحقيقة؟

يُبتلى المؤمنون فتظهر حقائقهم.

{وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ}[١]

هذه حالة للمؤمنين أنهم كانوا يتمنون الموت، يتمنون الجهاد.

---

(١) سورة آل عمران ١٤٣

ولما تناقشنا في بداية الغزوة قلنا إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى أن يبقى بالمدينة، والذين ما حضروا بدر كانوا يتمنون أن يخرجوا للقتال، فكانوا يتمنون الشهادة، فقيل لهؤلاء ولمن شاركهم هذه الأمنية، الآن لما يتمنى الصحابة الصادقون، جاء الكاذبين فقالوا نفس الكلام أنه نحن نتمنى نقاتل في سبيل الله، فقال لهم الله: **{وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ} من قبل أن يأتي الجهاد**

ثم أتت الحقيقة:

{فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ} يعني رأيتم الموت، لكن هم لم يروا الموت بعينه، بل رأوا أسباب **الموت** **{وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ}**

إذًا آية (١٤٣) كأنها بيان لآية (١٤٢):

كيف {يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}؟

هُم في المدينة قالوا نتمنى أن تأتي موقعة، فنجاهد في سبيل الله، فجاءت الموقعة، وجاء الجهاد في سبيل الله بانت حقائق الناس.

آية (١٤٤):

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}[١]

---

(١) سورة آل عمران ١٤٤

وقت ما حصلت الهزيمة صرخ الصارخ بأن محمد صلى الله عليه وسلم قد مات!

ففي معالجة لعقيدتنا في الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلاقة الرسول صلى الله عليه وسلم بانتصار الأمة.

فالله قال في حق الرسول صلى الله عليه وسلم {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ} معنى ذلك هو من البشر أرسله الله يوصل الرسالة، لكن هذا لا يدرأ الموت عنه صلى الله عليه وسلم.

يعني هل النبوة تمنع الموت؟

لا. لا تمنع الموت

الآن على فرضية أن الرسول صلى الله عليه وسلم مات، والأديان لا تزول بموت الأنبياء.

{قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} وقد مات قبله الرسل، فالرسل قبله جاءت وأُرسلت، وعاشت، وماتت.

{أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ}

هذا استفهام استنكاري، يستنكر عليهم أنه لو مات الرسول، أو قُتل، ينقلبون على أعقابهم.

هو رسول أبلغكم الرسالة، وأنتم لما وصلتكم الرسالة فأنتم حاملين للرسالة، فإذا مات من أوصلها لكم فلا تنقلبوا على أعقابكم؛ لأن الرسالة انتقلت منه إليكم.

{وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا} أكيد أن دين الله لن يتأثر بالمنهزمين.

{وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}

دين الله لا يتأثر لا بالمنهزمين، ولا يتأثر دين الله بالشاكرين، لكن الله سيجزي الشاكرين.

والشاكرين هنا ما حالهم؟ أين وجه الشكر؟ شكر على ماذا؟

شكر على وصول الرسالة؛ يعني شكر أن الله أرسل إليهم الرسول وأن هذا دينهم، ولأن هذا دينهم جاهَدوا لإبقائه، وللدفاع عنه.

فشكرا على الدين جاهَدوا؛ **فالجهاد في سبيل الله شكرا على الدين.**

{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ۗ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ}[1]

هنا تقرير بأن الآجال بيده سبحانه، ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها.

فلابد يكون عندكم عقيدة واضحة تجعلكم في حال الشجاعة.

---

(١) سورة آل عمران ١٤٥

ما الذي يسبب للإنسان الشجاعة؟

لما يعرف أن الأمر بيد الله، والآجال بيد الله، ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها.

من هو الجبان الخائف، وطول الوقت في حالة من العنف مع الناس، ويأخذ المواقف بعنف ويضارب على أشيائه، **ولما تأتي مو اقف الشجاعة تجده مهزومًا؟**

الذي يتصور أنه في أحد من الخلق يمكنه أن يمسك عنه رزقه!

يتصور عمره بيد الناس ومتى ما أرادوا إذهاب عمره أذهبوه!

يتصور أن رزقه بيد الناس ومتى ما أرادوا أخذ رزقه أخذوه.!

وهذا يأتي بالجبناء.

واليوم التربية على الجبن تربية معتمَدة! فالناس معتمدين في حياتهم على أن يربّوا جبناء!

والشجاعة والإقدام ما هي فقط في الحروب، بل في كل الحياة.

يعني إذا ما كنت جسورا شجاعًا، ستكون خائبا خاسرا.

وما الذي يأتي بالشجاعة؟

أظن أن كلمة الشجاعة ما تمر على خاطرنا ولا تدور في عقلنا!

قيمة كأنها ما هي موجودة في التفكير ولا التربية!

الإنسان الشجاع هو الذي يشعر أنه في حمى الله، مكفيّ كل شر.

لكن الجبان الذي يشعر نفسه وحده يصارع في الحياة.

من قال لك أنك وحدك تصارع في الحياة؟! فأنت معك الله.

لكن لذلك أنت ترى الناس يحرصون على أمور تافهة، ويخافون من أمور تافهة، والسبب أنهم يظنون أن أرزاقهم، أو آجالهم بيد الناس.

فمن أجل ذلك حتى الكلام بذوق وأدب مع الناس ما يسوّيه! لماذا؟

لا تتوقع من العنيف في كلامه وتصرفاته يكون شجاعا؛ لأن غالبًا هذا من داخله غاية في الجبن لأنه لا يحس أن الأمر بيد الله، وما أحد يستطيع يعتدي عليه، وأنه في حمى الله، فيشعر أن مسئوليته أنه يهاجم الناس!

حتى هذا لما يأتي يكلمك أو يطلب شيء بسيط، فهو في باله أنك سترد عليه تقول له: لا ما أعطيك.

يعني يسوي أولا قصة في عقله أنه سيقول لي ما أعطيك، وأنا سأريه شغله، ثم بعدما انتهى من القصة، يأتي ويهجم عليك.

وأنت تقول له لماذا تتكلم بهذه الطريقة؟! هذا لأنه جبان.

ما هو الجبن الآن؟

إحساس أن رزقك في يد الناس فتذهب تضاربهم، إحساس أن أجلك في يد الناس فتذهب تدافع عن نفسك!

وهذا لازم يتعالج لأنها هذه مشكلة في الاعتقاد؛ وهذه مشكلة مما عمت بها البلوى في الصغار والكبار، وكل الناس خائفون طول الوقت.

إذًا أين الإيمان، والتوكل على الله، ومعرفة أن الآجال بيد الله؟

فأي أحد يقدر يخوّفنا بأي شيء، نتيجة أن الإنسان ليس شجاعا.

وانظروا للأمراض لما تهجم وهذا شيء معروف في العالم، وأزمنة كثيرة يأتي فيها الذي تسمعون وتقرؤون فيها في السُّنة بما يسمى بالطاعون، الطاعون يعني داء ينتشر بسرعة وليس له دواء.

فالآن العالم ممكن يشتكي من شيء مثل هذا، وأنت لست في حمى الأدوية، ولا لأنك بعيد بمسافات فأنت في حمى، ولا أحد كل حين يفتح يسمع وزارة الصحة أعلنت عندنا حالة أم لا؟ لا، ما هكذا، **بل أنت في حمى الله، لا تكن جبانًا.**

ففي جماعة جالسين هادئين، ومجرد ما يسمعوا صوت إسعاف يرتجفون! كيف هذا؟!فأنت في حمى الله.

على كل حال عدم مناقشة الشجاعة، نقص في التوكل.

يعني المجتمع الآن لما ما يناقش مسألة الشجاعة، لأنه لا يفهم ما هو التوكل على الله، لأن الإنسان الشجاع هو الذي يتوكل على الله.

ولذلك انظروا {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} ما أحد يميتك قبل أجلك، {كِتَابًا مُؤَجَّلًا} فكن شجاعا، ولن يأتيك الموت

قبل، ولا أحد يستطيع أحد أن يمنعك أشياءك التي قد كُتبت لك ولا أرزاقك.

لا تعيش بهذه الطريقة طول الوقت، أنت خائف، خائف، كن في حمى الله.

التخاذل والنكوص هل سيمد في عمرك؟! لا.

الجسارة والشجاعة هل ستنقص من عمرك؟ لا.

ولذلك القول المشهور لخالد ابن الوليد رضي الله عنه، نموذج الشجاعة، مات في المعركة أم مات على فراشه؟ مات على فراشه.

لماذا مات على فراشه؟ لأن هذا هو المكتوب له.

ولذلك لما مات على فراشه قال:(**لا نامت عيون الجبناء**).

لماذا لا نامت عيون الجبناء؟

كأنه يقول كنت شجاعاً، خرجت للقتال أقاتل، أقاتل ومع ذلك لم أمت في القتال، والجبان مسكين يحس أنه لو خرج للقتال سيُقتل.

وها هو الرجل الشجاع الجسور قاتل، قاتل إلى لدرجة أن عُمر رضي الله عنه منعه من القتال خوفا من أن يُفتن المؤمنون، ويظنون أن كل معركة دخلها خالد ابن الوليد فازوا بسبب خالد ابن الوليد؛ فمنعه من القتال لهذا السبب. ومع ذلك مات على فراشه، وحق له أن يقول: **(لا نامت عيون الجبناء)**.

وهكذا فكّري: الجبن صفة نقص في التوكل.

{وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ}[1]

هذه الآيات تعريض لمن اشتغل بالغنائم في الغزوة.

ولاحظوا في نهاية (١٤٥) قال الله عزّ وجل: {وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ}

وفي آية (١٤٤): {وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}

يعني تكرر الكلام عن الشكر.

فهناك في آية (١٤٤): **المقاتل هو الشاكر** شَكَر نعمة الله على الإيمان بالصبر والقتال في سبيل الله.

أما هنا في آية (١٤٥): **الشاكرين هم الصادقون في مقاصدهم**، فالشاكر هو الذي أراد ثواب الآخرة.

{وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ}[2]

الآن الله عز وجل في كل الآيات ينبهنا، أنكم لستم بدعًا من الأمم، بل قبلكم حصل مثل هذا،

{قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ}[3]، هنا {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ} من الأنبياء الذين مضوا، {قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} **يعني جماعات كثيرة.**

---

(١) سورة آل عمران ١٤٥

(٢) سورة آل عمران١٤٦

(٣) سورة آل عمران ١٣٧

وهؤلاء الذين قاتلوا كانوا مخلصين ولذلك قال:

{فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} يعني أصابهم قرح في سبيل الله، لكن ما وهنوا، {وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا}

يصير منفي عنهم ثلاثة أمور وهي:

١- {فَمَا وَهَنُوا}

٢- {وَمَا ضَعُفُوا}

٣- {وَمَا اسْتَكَانُوا}

ما الفرق بين الثلاثة؟

الوهن: نفسي.

الضعف: في أجسادهم.

الاستكانة: نتيجة الأمرين: الاستسلام.

إذًا ما وهنوا في نفوسهم، ولا ضعفوا في أبدانهم، ولا استكانوا بمعنى وقوع الذل بسبب الضعف المعنوي والضعف الحسي أو البدني.

الاستكانة تكون بسبب وقوع هزيمة في النفوس، أثرت على الأبدان.

فالترتيب واضح أول شيء يُذهب قوة الجيش هو الوهن، الضعف النفسي؛ لأن لما يكون فيه قوة نفس حتى البدن يستجيب لقوة النفس، ربنا خلقنا بهذه الطريقة.

ولما تسمعين عند من يعلمون طب الأبدان يفهّمك جيدًا أن كثير من الأمراض البدنية سببها أمراض نفسية.

وبالعكس كثير من الحالات التي يكون فيها الإنسان ضعيف بدنيًّا فلما تقوى روحه تحمل بدنه.

ولهذا الله عز وجل في هذه الآية بيّن ذلك بوضوح؛ الربيون الكثير الذين قاتلوا نفى عنهم أولًا أنهم وهنوا، ثم نفى عنهم أنهم ضعفوا، ثم نتيجة لذلك لم تحصل لهم هزيمة نفسية، حتى لو وقع عليهم أمراض أو جروح أو قروح فباقي عندهم قوة؛ ولذا لا ينذلّون ولا يستكينون، ولا يتراجعون عن القتال في سبيل الله.

ثم هناك قيمة غاية في الأهمية ظاهرة في ختام الآية تجعل الإنسان صاحب عزة، وليس مهزوما نفسيا: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}

الصبر، عدم التعجل لأن مشكلة الناس أنهم يجمعون بين الجبن وعدم الصبر.

دائما مستعجلين، ويريدون النتائج مباشرة، حتى لما نقول الرزق بيد الله، توكل على الله، نقول له اصبر وتوكل على الله، لازم تصبر لأن الله يقضي شأنه سبحانه وتعالى على مهل.

ولو درستم آيات سورة الطلاق سيتبين لكم هذا بوضوح كيف الله عز وجل جعل لكل شيء قدرا.

يعني، حتى لو دعوت، وسألت الله، وتوكلت على الله، الله يدبّر لك أمورا إلى أن يأتي هذا الذي تريده في أحسن حال.

لكن الناس يجمعون بين الهزيمة النفسية، والعجلة؛ يفتقدون التوكل والصبر.

وأصل التوكل، بل كل الأعمال قاعدتها الصبر.

{وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}[١] في مقابل {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}[٢].

الآن الكلام عن هؤلاء الجماعات الذين قاتلوا مع الأنبياء.

لماذا ربنا يكلمنا عنهم؟

انظري آية (١٤٦):

{وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ} الله عزّ وجل يصفهم لنا بثلاث صفات:

١- {فَمَا وَهَنُوا}

٢- {وَمَا ضَعُفُوا}

٣- {وَمَا اسْتَكَانُوا}

٤- {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}

صارت أربع صفات؛ يكلمنا عن صفاتهم **كي نقتدي بهم**، يعني هُمّ بالنسبة لنا قدوة.

فلابد من نموذج يكون أمامك لتقتدي به، فلما تقرؤون لا تقرؤوا عن النماذج التافهة فلانة وعلانة وراحت وأحبت...! فهذه

---

(١) سورة آل عمران١٤٦

(٢) سورة آل عمران١٤٠

النماذج التافهة تتعلق في ذهنكم وتصير هي كأنها الصورة النموذجية، ومن ثَمّ تزدادوا جبنًا وحبًّا للدنيا نتيجة أن أكيد القصة التي أنت تقرئينها تجعلك تجري على الدنيا.

لكن لما تقرئين في سير الأكابر، نفسك تتوق لأن تكون من الأكابر.

ولما تقرئين في سير الأصاغر، والحقيرين، إلا أن تتدنى نفسك وتريد تكون مثل الحقيرين.

فلا تقولي لا بل لي قيمي الخاصة!

فالقيم هذه تتسرب مثل الهواء،، بين الحروف و من وراء السطور تدخل القيم إلى نفسك غصبا عنك، من تصرفات محيطة بك بعد زمن تكتشفين أنك تأثرت بفلان وتأثرت بموقف علان.

أما القراءة فهي بمثابة السِّحر، إذا قرأ الإنسان عن الأكابر تاقت نفسه لأن يكون من الأكابر، وإذا قرأ للحقيرين فلابد تتوق نفسه للحقارة غصبًا عنه.

فانتبه لئلا تصير في علاقة مسممة من الشخصيات التافهة التي تقرؤون عنها، علاقات تسممك على المدى الطويل.

فهي لما تُظهر لك إعجابها بشيء، فأنت غصبًا عنك ستُعجبين به.

على كل حال نفوسكم أمانة عندكم فلا تعبثوا بها، {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}[١] فكونوا حذرين من أن تدسوا أنفسكم.

ولهذا الله عزّ وجل يقول للصحابة الكرام:

{وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}

{وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا}[٢]

يعني مع قوّتهم هذه لكن ما كانوا يخافون إلا من ذنوبهم؛ يعني ما وقع عندهم شعور بالطمأنينة بأنهم من أهل الله وخاصته، إنما كانوا يخافون من ذنوبهم.

{وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}

<u>كم طلب لهم؟</u>

١- {اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا}

٢- واغفر لنا {إِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا}

٣- {وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا}

٤- {وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}

---

(١) سورة الشمس ٧: ١٠

(٢) سورة آل عمران ١٤٧

أربع طلبات، كأن الله يقول لنا كونوا مثلهم بدليل أنه قال لنا ماذا فعل لهم:

{فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا}[1] ثواب الدنيا بالنصر.

{وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ} بالشهادة أو الأجور المرتبة على نصرة الدين.

{وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} وصفهم أنهم أحسنوا.

على كل حال هذا النموذج وضعه الله للرسول صلى الله عليه وسلم وللصحابة الكرام، وهذا دليل على أن النماذج مؤثرة جدا في تفكير الإنسان.

أسأل الله عز وجل أن يقبل مني ومنكم وإن شاء الله ألقاكم في الأسبوع القادم.

---

(١) سورة آل عمران١٤٨

اللقاء الخامس عشر(١٩ جمادى الثاني١٤٤١ هـ)

الآيات (١٤٩-١٥٨)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكلنا على الله

نبدأ من مكان ما انتهينا المرة الماضية في آل عمران، وكنا اتفقنا سابقًا أن هذه الآيات ابتداءً من آية (١٢١) إلى ثمانين آية في السورة تتكلم عن غزوة أحد.

وبدأنا بالمقطع الأول من المقصد الثاني من السورة (١٢١-١٤٨) وكان فيه ثلاثة عناصر:

١/- مقدمات غزوة أحد.

٢/- الإرشاد إلى مِلاك الأمر في كل باب وخاصة في باب الجهاد.

٣/ - تقوية المسلمين والنهي عن الهوان والهزيمة النفسية.

المقطع الثاني من المقصد الثاني في السورة (١٤٩-١٩٠): نهاية الكلام عن الغزوة (دروس مستفادة من المعركة):

الجزء الثاني من المقصد الثاني من السورة من آية (١٤٩-١٩٠) وهي نهاية الكلام عن الغزوة؛ **كل هذا المقطع دروس مستفادة من المعركة.**

الدرس الأول من الدروس المستفادة من الهزيمة (١٤٩-١٥٨)

التحذير من طاعة الأعداء التي تؤدي بالتأكيد إلى التنازع والتخاذل.

سنقسمه لمجموعة عناصر (دروس مستفادة من الغزوة):

العنصر الأول من (١٤٩-١٥٨) التحذير من طاعة الأعداء التي تؤدي بالتأكيد إلى التنازع والتخاذل.

بسم الله نقرأ الآيات ونرى المعنى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (١٥١) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ

الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ
أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ
الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا
يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُل
لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ
وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ
إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا
مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي
وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ
مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ
قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ}[١]

بسم الله سنبدأ من آية (١٤٩):

لاحظوا أن هذه دروس مستفادة من الغزوة، وكأنني سأقول **دروس مستفادة من الهزيمة**، فكل أقدار الله خير، والأصل في هذه الأقدار أنها تربية للمؤمنين.

---

(١) سورة آل عمران١٤٩-١٥٨

هذه أهم فائدة إجمالية أنه أي قدر على الإنسان سواء رأيناه خير أو شر في ميزانه، إنما هو خير من جهة أنه تربية من الله.

الآن في برامج التنمية البشرية دائمًا يكلموك عن الخطأ هو بداية النجاح، وأن الفشل يجعلك تتعلمين!

أفضل من هذا الكلام كله أن تعرفي أن الله يربي عباده، كيف يربيهم؟

<u>أولًا</u> كلمة التربية جاءت من اسم الرب.

وهل كل الخلق يربيهم الله نفس التربية؟ لا.

١- **التربية العامة: تشمل جميع الناس**، يربيهم الله بأن يطعمهم ويسقيهم، ويقرب لهم أسباب الهدى.

٢- **تربية خاصة للمؤمنين:**

ما معنى أن يربيهم تربية خاصة؟ اضربي مثال في أُحُد، ومثال في بدر.

الفشل الذي مر عليهم في أُحد من أجل أن يزدادوا يقينًا أنه لا نجاح ولا فلاح إلا بطاعة الرسول.

يعني أنت ممكن تكونين تعرفين المسألة ومصدقة بها لكنك ما وصلتِ لدرجة اليقين، فتربية الله تؤدي لليقين بالحقائق.

الآن مثلًا تسمعين في الدرس أن الله رزاق ويرزق الخلق من حيث لا يحتسبون ثم يحصل لك موقف ويرزقك الله من حيث لا تحتسبين؛ فهذه اسمها تربية لأنها حوّلت العلم إلى يقين.

وأنتم أكيد تعرفون **شروط لا إله إلا الله**:

أول شرط: هو العلم.

الشرط الثاني: هو اليقين.

كيف **ينتقل الإنسان من شرط العلم لشرط اليقين**؟ بمعنى أنك تتعلمين أسماء الله وصفاته وتعرفينها لكن **كيف تصلين لليقين؟**

بتربية الله؛ يعني أنت تلاحظين تربية الله فتصلين لليقين.

إذًا معنى ذلك هذه الدروس المستفادة تفهمينها من جهة أن الله يربي عباده، فيقدّر عليهم الأقدار لأجل أن يربيهم.

مثلًا أنت رأيتِ أحدًا يتصرف أو يتكلم بطريقة أنت ترينها غير ملائمة، وتقولين لو كنت مكانه ما فعلت كذا، فكيف يربيكِ ربنا؟

يأتيك نفس الموقف، وتتصرفين نفس التصرف.

لماذا حصل لك نفس الموقف؟

تربية من الله، كي لا أطلق لساني في الانتقاد، وأرى نفسي أفضل من غيري.

وهكذا سيروا في كل المواقف بهذه الطريقة.

مثلًا أنت تبغضين أحدًا وتتصرفين تصرفا يستفزه! فانتظري تربية الله فيأتي من يستفزك.

فما في شيء يضيع أبدًا، والذي تفعلينه اليوم يأتيك غدًا من تربية الله لعباده.

يعني حتى ما يحتاج الذي سوّيتي فيه أن يدعو الله أن يعاقبك؛ لا؛ لأن هذا حق الله، قبل أن يكون حق الناس، بمعنى إلاّ أن الله عزّ وجل يربيك.

المهم المقصد من هذا الكلام كله أن هناك تربية عامة للناس كلهم الله يربيهم بها يطعمهم ويسقيهم.

وفي تربية خاصة بحيث يتحول العلم إلى يقين.

وأحيانًا تكوني أنت ما عندك علم، لكن تنكشف لك بتربية الله عزّ وجل.

٣- تربية خاصة الخاصة: **وهي للأنبياء والمرسلين.**

مر معنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قيل له {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}[١] **وهي مثال لتربية خاصة الخاصة.**

آية (١٢٧) و(١٢٨):

(١) سورة آل عمران١٢٨

الله عز وجل يخاطب رسوله ويخاطب كل المسلمين أن ما سيقع على هؤلاء الكافرين لأجل ماذا؟

١- ليقطع طرفًا من الذين كفروا
٢- أو يكبتهم
٣- أو يتوب عليهم
٤- أو يعذبهم.

فبين أن ينقلبوا خائبين وبين أو يتوب عليهم ماذا كان؟

{لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}.

ما سبب نزول هذه الآية؟

لما قال الرسول صلى الله عليه وسلم كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته!

فقال الله: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ}.

بمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم استبعد فلاح القوم المشركين.

فقيل له {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ}.

فهذه من التربية **خاصة الخاصة** بأن ينبه الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأمر له سبحانه وتعالى.

وهذه الآية لو أردنا نستعملها للرد على من يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ويذهب للمدينة ويطلب من النبي صلى الله عليه وسلم! **فكيف تردين عليه؟**

نقول إن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أُحُد لما شجوه وكسروا رباعيته، ثم من الطبيعي أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته! فأنزل الله عليه: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ}.

وحصل أن تاب على خالد ابن الوليد فأسلم، وتاب على عكرمة ابن أبي جهل فأسلم، وعكرمة وخالد كانا هم قواد الجيش!

فالنبي صلى الله عليه وسلم ليس له من الأمر شيء.

إذًا هذه الآية عتاب رقيق من الله عزوجل للنبي صلى الله عليه وسلم وفيها من التربية ما فيها.

نرجع لكلامنا:

هذه الغزوة بكل تفاصيلها عبارة عن تربية للمؤمنين.

سنبدأ الآن في بعض الأشياء التي من الضروري أن يصل الإنسان فيها من العلم إلى اليقين:

أولًا: آية (١٤٩)

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**} مادام النداء للمؤمنين، إذًا يقال بما معكم من إيمان: **فالإيمان يوجب لكم أن تفعلوا هذا الفعل الذي بعده.**

{**إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا**} **هذا شرط**.. **فماذا يحصل؟**

{يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} وهذا جواب الشرط ثم النتيجة {فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ}

فالإيمان يوجب لكم ألا تُطيعوهم؛ لأنكم إن أطعتموهم يردوكم على أعقابكم، فتنقلبوا خاسرين.

طيب هل فيه حُسن نية مع الذين كفروا؟ يعني **هل تقول ما أظن أنهم يردونا خائبين؟**

لا، لأن **الإيمان يوجب عليك أن تصدّق أن هذا حق لا يتبدل.**

إن حصلت منكم الطاعة لهم لازم {يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} والفاء هذه تدل على أنه بسرعة سيحصل هذا الأمر، بمجرد حصول الطاعة، سيحصل الارتداد، وتنقلبوا خاسرين

آية (١٥٠) ستبين **لماذا لا نطيعهم أبدًا؟**

وما معنى طاعتهم لو حصلت الطاعة؟

{بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ}

يعني لو حصلت الطاعة منكم لهم، فمعناه أنهم هم القوم الذين توالوهم.

إذًا ما الخطأ في أن نواليهم؟

ستعرفين الخطأ عندما تعرفين **معنى الموالاة: فهي المحبة والنصرة.**

طيب أين الخطأ؟

فكأنه يقال كيف تطلبوا النصرة من أعدائكم؟!

فالخطيئة أنكم إذا أطعتموهم وقصدتم أن ينصروكم فتكونوا قد سلّمتم أنفسكم لهم.

مثال لتتصوروا:

في العصر الحديث قبل أن يحصل الاحتلال الفرنسي لتونس، أرسلت فرنسا قبل الاحتلال بثلاث سنوات برجل فرنسي ودخل تونس وتعلم اللغة العربية وتعلم الدين وأظهر أنه مسلم وبدأ بطلب العلم في جامع كبير مشهور عندهم، وهذا الجامع كان فيه ضريح، ضريح يعني ميت ويطلبون منه الغوث، يعني هم في الأصل مشركون، المهم دخل هذا وجلس ثلاث سنوات طالبًا العلم حتى أعطوه المشيخة وأصبح شيخًا متولي للضريح يعني أي أحد يريد يطلب طلبًا يُدخله للضريح أو يذبح، طبعا هذه المظاهر الشركية وهكذا.

بعد ثلاث سنوات هجمت فرنسا على تونس، فأتوا يشاورون صاحب الضريح في قتال الفرنسيين، فخرج لهم هذا الفرنسي الذي هو بمثابة السّدَنة لهذا الضريح، ودخل يشاور صاحب الضريح وهو الآن كافر وأظهر الإسلام وصار عندهم هو شيخ الضريح، دخل يشاور صاحب الضريح على ما يظهر، ثم خرج يقول

لهم: الشيخ يقول لكم: بلدكم ساقطة، ساقطة لا تحاربوا ، ولا تتعبوا أنفسكم!

وسقطت تونس بدون أي قتال.. **بسبب ماذا؟**

بسبب الشرك في الأصل. وليس الشرك فقط، وإنما الشرك والكافر هذا الذي أظهر الإسلام.

لازم تتصورين أن هذا نتيجة **الشرك أولًا.**

ونتيجة **طاعة المشركين والكفار** أنهم لابد أن يردوكم على أعقابكم فتكون النتيجة أن تنقلبوا خاسرين.

هل تنتظروا منهم النصر؟

الجواب: {بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ}، يعني هو الذي ينصركم.

ولذلك ختمت الآية بقوله: {وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ}

إذًا الدرس في بيان آية (١٤٩) و(١٥٠):

أنكم إنما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم على مطالبكم، وهذا جهل منكم، فإنهم الأعداء، والعاقل يطلب النصرة من الله، فهو سبحانه الذي يتولاكم، وهو الذي ينصركم، بل هو خير الناصرين.

{مَوْلَاكُمْ} نثبت لله فيه اسم المولى.

الله مولانا: بمعنى الناصر المؤيد.

{سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ}[1]

وهذه من صور النصر التي لا يستطيعها إلا الله.

يعني أنت الآن تتصورين الكافر ممكن يكون معه سلاح أو ممكن أن يكون معه عتاد أو أشخاص، لكن ليست هذه هي النصرة فقط، بل انظروا في الآية سبب للنصرة لا يمكن أن يكون إلا بيد الله، والسبب هو إلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا.

{وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ}، ومن نصره سبحانه أن {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ}، بمعنى أنه سبحانه وتعالى يردهم عن حربكم، بمعنى إذا ألقى الرعب في قلوبهم لن تحتاجوا عدة ولا عتاد.

يعني هل هذه النصرة يمكن لأحد غير الله أن يأتي بها؟

الجواب: لا، هذه صورة من انفراده سبحانه وتعالى بالنصرة.

لماذا يلقي في قلوب الذين كفروا الرعب؟

{بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ} بهذا السبب هم مستحقين لإلقاء الرعب في قلوبهم، وعلى ذلك كل مشرك يكون جبان في أصله، ويخاف، وإنما يتقوى بالأدوات والعدد.

---

[1] سورة آل عمران ١٥١

{مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا} بيان لحقيقة الشرك.

يعني هل في مشرك عنده سلطان على شِركه؟ الجواب: لا.

إذًا كل مشرك أشرك شيء لا سلطان له.

ما معنى سلطان؟ المعنى: حُجّة.

بمعنى **ليس لهم حجة فيما أشركوا**، كيف أفهمها أكثر؟

لما أحد يسألهم لماذا أشركتم هذا مع الله، فيكون ليس لهم حجة.

يعني مثلا تسألينه لماذا اخترت البقرة تعبدها؟

ما عنده إلا أن الآباء والأجداد!

لكن هل له سلطان؟ هل له حجة؟ الجواب: لا.

مثلًا تقولين للهندوس، للبوذيين لماذا عبدتم كذا؟ لماذا صنم بوذا تعبدونه؟ وماذا له من أسماء وصفات وأفعال عبدتموه من أجلها؟! ليس لهم سلطان.

طيب أنت مؤمنة بالله.. **فهل لك سلطان؟** نعم، لك حجة.

ابدئي **بأفعال الله معك، انظري للكون حولك** هل أحد ادّعى أنه خلقه؟! هل أحد قال أنا كسوت الجبال بالخضرة ورفعت السماء ونصبت كذا، وكذا ووضعت النجوم؟! أبدًا، لا أحد من الخلق أبدًا قال ذلك، هذه الأفعال أكيد لها فاعل، **وإذا كانت أفعال الفاعل عظيمة، فصفة الفاعل هو عظيم.**

ماذا تتوقعين يكون الفاعل؟ في السفول أم في العلو؟

في العلو أكيد.

إذًا جئتِ بثلاثة أمور:

١- أفعال دلتني على الفاعل.

٢- وأفعال عظيمة دلتني على فاعل عظيم.

٣- وأكيد أن مكانه العلو؛ لأن الفطرة السوية تقول: أن العظيم لا يمكن أن يكون في السفول، لابد أن يكون في العلو.

بذلك: أشرتِ إلى الله.

إذًا هؤلاء {أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا} يعني ليس لهم حجة على ذلك.

يعني تسألين الذين عبدوا بوذا، هذا بوذا خلق السماء الجواب: لا، خلق الأرض الجواب: لا؛ إذًا لأي وجه تعبدونه؟ الجواب: ليس لهم سلطان، ومثلهم من يتوسل للرسول صلى الله عليه وسلم الآن، فتسألينه هل خلقك؟ هل رزقك؟ هل يحاسبك هو؟! فالجواب: لا؛ إذًا ما يستحق صلى الله عليه وسلم العبادة.

و أين تقفين معه صلى الله عليه وسلم؟ على الرسالة.

فهذه جملة مهمة جدا في عقيدتنا {أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا} هذه الجملة تسمى بيان حقيقة الشرك، يعني ما في شرك له سلطان، بل الإيمان هو الذي له سلطان.

بكل سهولة الإيمان له سلطان؛ الأفعال تدل على الفاعل؛ أفعال عظيمة تدل على فاعل عظيم، والمكان له في العلو. بذلك أشرتِ

إلى الله، ثم أتت الرسل بينت صفاته، وما يستحق سبحانه وتعالى من عبادة.

سنبدأ الآن مع المشركين: من نصرة الله لخلقه الذي لا يملكها إلا الله، أنه يلقي في قلوب الذين كفروا الرعب، بسبب أنهم أشركوا بالله، يعني ما استخدموا عقولهم، يعني لو استخدموا عقولهم لوجدوا أنه لا حجة لهم في عبادة غير الله، فوضعوا عقولهم في المكان الخطأ ولهذا كانت العقوبة: {وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ} هذه عقوبتهم. **{وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ} هذا حكم عليهم أنهم ظالمون، ولماذا ظالمين؟**

الجواب: الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه.

هم وضعوا عقلهم، وعبادتهم، ومحبتهم، وولاءهم، كل هذه الأمور وضعوها في غير مواضعها، بذلك حُقّ أن يسموا بالظالمين.

هذه الجمل كلها متعلقة بالشرك.

انتهينا بحمد الله من آية (١٥١) بذلك عرفنا صورة من صور نصرة الله للمؤمنين لا يقدر عليها إلا الله؛ وهي أن يلقي الله في قلوبهم الرعب، ولا يقدر عليها إلا الله، لأن القلوب بيد الله؛ لأنك مهما فعلت في ظاهر الناس لا تستطيع تتعدى لقلوبهم

ثم قال تعالى {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ}[1] **متى صدقكم الله وعده؟** {إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ} يعني تقتلوهم قتلًا ذريعًا بمعنى كأنكم حصدتموهم، وهذا حصل بإذن الله.

إذاً هذا وصف لأول المعركة؛ أن الله عزّ وجل أيدهم بنصره وقتلوهم قتلاً ذريعاً إلى حصول الفشل:

١- {حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ}.

٢- {وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ}.

٣- {وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ}.

إذاً هذه ثلاثة أحوال **توقّف فيها النصر**.

ففي بداية الغزوة **صدقكم الله ما وعده بأن ينصركم لأنكم مؤمنون**، حتى فعلتم هذه الأفعال الثلاثة:

١/ فشلتم.

٢/ وتنازعتم في الأمر.

٣/ وعصيتم.

هذا كله حصل بعدما أراكم ما تحبون، وهو النصر.

ما الفرق بين الثلاثة؟

هذه الثلاثة أمور هي التي حصلت من الرماة، وأنتم تعرفون القصة لما رأوا المسلمين في أرض المعركة انتصروا، وبدئوا يأخذون

---

(١) سورة آل عمران ١٥٢

الغنائم، والنبي صلى الله عليه وسلم كان قد أوصاهم أن حتى لو تخطّفتنا الطير فلا تنزلوا عن أماكنكم ومهما كان الحال لا تنزلوا.

فالتنازع الذي كان بينهم: هل انتهت المعركة مادام المسلمين انتصروا؟، هل يؤذن لنا الآن بالنزول، أم لا؟

وكان قائدهم يمنعهم من النزول، ولهذا حصل التنازع، وفي النهاية عصوا رئيسهم، **فهذا معنى تنازعتم وعصيتم**

أما فشلتم: ارجعوا لآية (١٢٢)، {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا}

إذًا {حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ} **يعني ضعفتم بسبب رغبتكم في الدنيا.**

ثم انقسمتم إلى كم قسم؟

{مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا} وهم الذين فكروا في الغنائم، رغم أنهم مؤمنون لكن في تلك اللحظة غلب عليهم إرادة الدنيا، فلما أرادوا الدنيا في قلوبهم كانت النتيجة مباشرة أنهم فشلوا وظهر الأمر مباشرة عليهم.

{وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ} هُمّ الذين بقوا.

{ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ} وهذا جزاء، بمعنى أنكم أصبحتم في حال متعرضين لهجوم العدو، يعني صرف وجوهكم عن الأعداء فأصبحتم معرّضين لهجوم العدو؛ ومن أجل هذا وقع عليكم القتل.

والحكمة: {لِيَبْتَلِيَكُمْ} وسيتبين أثر هذا البلاء.

{وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ} وهذه من ألطف الجمل في الغزوة كلها؛ أن الله بادرهم بالعفو؛ ففي موطن العتاب بادرهم بالعفو يعني عفوت عنكم لكن تَعلَّموا من الدرس.

{وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} ذو فضل عظيم لأنه ما نزّل عليهم عقوبات وإنما عفا عنهم.

{إِذْ تُصْعِدُونَ}[1] **تصعدون** من الصعيد من التراب؛ فتجدّون في الهرب حتى يظهر الغِبار، يعني اجتهدوا في الهرب.

{وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ} لا تلتفتون إلى ما وراءكم، ولا تشتغلون بشأن أحد من المؤمنين، وهذا شيء طبيعي مع حصول المفاجأة، هُمّ تصوروا أن الغزوة انتهت، وتخليهم عن أسلحتهم وعدم استعدادهم للقتال، فوجئوا بالعدو فما كان في تلك اللحظة إلا التصرف الطبيعي، وهو الهرب بشدة.

{وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ} يناديكم في آخر الجيش.

{فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ} هم ما سمعوا الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يدعوهم، وإنما سمعوا مناديًا ينادي أن محمدًا قد قُتل، وهذا كما في الروايات صوت للشيطان.

---

(١) سورة آل عمران ١٥٣

فالآن تصوري موقفهم فاتهم النصر، وابتُلوا بالهزيمة والقتل، ثم أتاهم هذا الغم العظيم الذي ألهاهم عن كل الغم السابق وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قُتل.

أثابكم: ألهاكم بذلك الغم لئلا تحزنوا على ما فاتكم.

{لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ} من الغنيمة {وَلَا مَا أَصَابَكُمْ} من القتل والجراح، فعُدّت تلك مصائب صغيرة، وكانت المصيبة الكبيرة موت النبي صلى الله عليه وسلم.

طبعا المعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت لكن هذا كان من باب الإلهاء، ومن باب علاج جروحهم، ما كان سيُخرجهم من ذاك الغم إلا هذا العلاج.

{فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ}

يعني الغم بالغم يُذهب الحزن، فإذا انكشف الغم الأكبر يُرى الغم الأصغر لا شيء.

وهذه طريقة لعلاج أنفسنا في الهموم، فلما تأتينا هموم متصلة بالدنيا يتذكر الإنسان الهم الأكبر، وهو النجاة من النار، وحسن الخاتمة، ولقاء الله، فتهون عليه الهموم في مقابل أن ينكشف عليه الهم الأكبر فيبقى دعاءه ورجاءه ومخافته من حصول الهم الأكبر.

وأنت تابعين الحياة وستجدين كثيرًا ما يعالج الله النفوس بهذا، فتأتي في وقت وتقولين: المصائب نازلة فوق بعضها! لكن هذا نوع من أنواع العلاج النفسي، فلكي تهون المصيبة الأصغر تقع المصيبة

الأكبر، ثم يكشف الله المصيبة الأكبر فتهون الأصغر، وهذا كما قال الله عزّ وجل: {لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ}

فهذه سنّة الله في أُحُد، وسنّة الله الدائمة، وهي طريق للعلاج النفسي.

يعني لما تأتيكم مصيبة تتصل بالدنيا، مهما كانت عظيمة فقولي لنفسك الحمد لله أنها ما هي في ديني.

ولما تشتغلين بهموم تتصل بالدنيا ذكّري نفسك أن فيه هم أكبر منه، وأنه إذا زال ذاك الهم كل شيء بعده هيّن.

ختمت الآية: {وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}

ولأنه خبير بما تعملون، عالج نفوسكم، وكشف عنكم غمّكم.

{ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ}[1]

هذا الغم الذي جاءكم له ثلاثة أسباب:

١- فوات النصر.

٢- وقوع الهزيمة.

٣- ظنكم أن رسول صلى الله عليه وسلم قد مات.

أنزل عليكم من بعد الغم أمر عجيب؛ لأن أول شيء يذهب بسبب الغم النوم، ولذلك الله يعيذنا من أهم مظاهر الاكتئاب

---

(١) سورة آل عمران ١٥٤

فقدان القدرة على النوم، حتى المكتئبون يصفون أنهم كأنهم لما يقتربون من النوم يصطدمون بشيء ويستفيقون!

فانظري كيف الله منّ عليهم بهذه المنة؛ أنزل عليهم بعد الغم:

{أَمَنَةً نُعَاسًا} يعني هذا حصل في وسط المعركة، في وسط حصول الآلام والغمّ حصل لهم هذا، في المكان الذي العقل لا يمكن يقبل أن تغفل عينه؛ لأن الأعداء من كل مكان، لكنهم لأنهم في حفظ الله ورعايته أنزل عليهم أمنَة النعاس من أجل أن يتأمنوا، وكان هذا النعاس صورة من صور تمييز المؤمنين عن المنافقين.

{يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ} هذه **الطائفة هي المؤمنة**، فنزل عليهم النعاس في وقت ما يُتصور أن ينزل عليه الإنسان النعاس، لكن هذا دليل على تأمين الله لهم.

{وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ} هؤلاء المنافقين.

المفروض ما الذي يهمهم؟

رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونصرة دين الله، لكن كان همهم أنفسهم.

{يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} فانكشف ما في قلوبهم، الله عزّ وجل يبين لنا ماذا في قلوبهم.

يعني ماذا يظنون وهم في المعركة؟

يظنون أن بعد هذا كله، أن الله لا يتم أمر نبيه، فيموت النبي صلى الله عليه وسلم وأن الدين سيزول! فهذا هو ظن الجاهلية.

وفي كل صراع بين المؤمنين وبين الكافرين، هذا ظن الجاهلية، أنهم يظنون أن الله ينصر الباطل على الحق نصرة دائمة.

وبجملة مختصرة: {ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} هو أن يظن الناس أن الله يديل الباطل (أي يرفع الباطل) على الحق إدالةً دائمة.

وأنت تقولين الآن الباطل مرتفع على الحق!

نقول هذه **صولة وجولة**، يعني وقت هكذا، ووقت هكذا؛ لأن لو بقي الحق دائمًا منتصرًا كان انتهى الاختبار، وكان كل الناس التصقوا بالحق، لكن مرة ينتصر الحق، ومرة يهزم؛ كي تكون النصرة للحق وكي يكون الالتحاق بركب المؤمنين التحاقًا بالحق وليس التحاقًا بالنصرة.

الآن ماذا يقولون؟

{يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ}

يعني يقولون ما لنا حيلة، يرون أنفسهم في حالة شديدة من الضعف، وأنهم كان المفروض ما يخرجون للقتال فيندمون على خروجهم للقتال، يعني يندمون على طاعة!

إذًا الجواب: {قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ}

يعني أنتم ليس بيدكم تغيير ما قدّره الله، بل الأمر بيد الله.

{يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا}

كل هذا كلام الجبناء؛ لأن ما همهم إلا أنفسهم، ولا همهم نصرة الدين، ولا حماية الرسول صلى الله عليه وسلم.

كل همهم أنفسهم، {يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ} يموتون من الخوف، {يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا} يقولون لو بقينا في المدينة، وكان عندنا عقل ما خرجنا لهذه المغامرة.

الجواب لهم {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ}

يا أيها الجبناء، لو كنتم في بيوتكم، لسار من كُتب عليه القتل بقدميه إلى موضع القتل، وليس شرط أن يخرج وهو شجاع، حتى لو أتى في حاجة له سيخرج ويبرز إلى موضع قتله بصورة أو بأخرى

{وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ}

يعني فعل الله بكم يوم أُحد من القتل والجرح، ليكون القتل امتحانًا لما في صدور **المؤمنين فيظهر الإخلاص**، وامتحان **لصدور المنافقين فيظهر النفاق**؛ يظهر ما انطوت عليه قلوبكم من ضعف الإيمان أو قوّته، فهذه كانت الغاية الأولى.

{وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ}

يمحص ما في قلوبهم من الوساوس، ويُظهرها حتى تخرج على ألسنتهم.

وفي المثَل: (لا تكرهوا الفتن، فإنها حصاد المنافقين).

ظهر من المنافقين الخوف، والجبن، والخوَر ما في أي نوع من الشجاعة، ما همتهم إلا أنفسهم.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}

يعني الله عليم بما في نفوسهم قبل أن يحصل هذا البلاء، ولكن إظهاره لكم.

{إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ}[١] في ساحة المعركة

{إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا} هذا تفسير ما حصل.

{وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ} لازالت هذه الكلمات ألطف ما تكون؛ في نفس سياق الخبر عن الخطأ الذي وقع منهم يخبر سبحانه وتعالى أنه عفا عنهم فيعاجلهم بتطييب خواطرهم.

من الذين تولوا يوم التقى الجمعان؟

الذين فرّوا، وهربوا.

هذا حصل منهم بسبب ماذا؟

---

(١) سورة آل عمران ١٥٥

بسبب استزلهم الشيطان.

معنى استزلهم: من الزلل، يعني زلت القدم؛ مثل لما يكون الإنسان ماشي ثم تزل قدمه، هذا الصراط المستقيم، الشيطان وسوس، وسوس لهم حتى زلت قدمهم فسقطوا.

من سبّب لهم هذا؟

الشيطان بوساوسه.

حاولوا تتذكرون هذه المادة الزلل في قصة آدم:

{فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ}[1]

يعني أوقعهما في الذنب، عليك أن تتخيلي أصل المادة، أن الإنسان ماشي على الصراط المستقيم يوسوس له حتى تسقط قدمه فهذا تشبيه.

متى يتمكن الشيطان من الإنسان؟

{بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا} ببعض ما كسب الإنسان، يعني ببعض ذنوبه.

ومع ذلك قال الله: {وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ}

{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} **هذا وصف الله الذي من أثره أن غفر لهم فعاملهم بالحلم**

إذًا هذه الآية **بيان لسبب الهزيمة الخفي، وهو استزلال الشيطان لهم.**

---

(١) سورة البقرة ٣٦

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا}[١]

هذه الآية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} مثل الآية (١٤٩).

سنرى مرة أخرى **تحذير من عقائد المشركين، وتحذير من متابعتهم:**

هناك في آية (١٤٩):

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ}

وهنا في هذه الآية (١٥٦):

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا}

{وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى} **ماذا قالوا لإخوانهم** {لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا}

يعني هذه أخلاق الكفار التثبيط لأنهم لا يؤمنون بالقضاء والقدر؛ فصفة الذين كفروا عدم الإيمان بالقضاء والقدر.

فعقيدتهم أنهم لو بقوا في بيوتهم ما يموتون، ولو خرجوا يقتلون!

---

(١) سورة آل عمران ١٥٦

وهذا يذكّرنا بكلام خالد ابن الوليد وهو على فراشه؛ أن يقول: (ما في موضع شبر إلا وفيه ضربه أو طعنة) ويقول: (ها أنا أموت كما يموت البعير)، يعني على فراشه، (فلا نامت عيون الجبناء).

يعني هو رضي الله عنه ما فيه موضع شبر إلا وفيه ضربه أو طعنة ومع ذلك لم يمت في المعركة ومات على فراشه؛ فالمقدّر سيكون.

فأنتم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا} في الجبن وحب الدنيا والتمسك بها، ولا تكونوا مثلهم في عقائدهم وهي عدم الإيمان بالقضاء والقدر.

{لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ}

يعني هذا التفكير يسبب الحسرة، كل تفكير ما فيه إيمان بالقضاء والقدر يسبب الحسرة، فتنظرين للوراء وتقولين لو فعلت كذا كان كذا!!

إذاً الإيمان بالقضاء والقدر يدفع الحسرة، يطمئن القلب، يهدئ النفس، لكن عدم الإيمان بالقضاء والقدر مشابهة لأهل الكفر، وسبب لحسرة النفوس.

{وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ} لا القتال يؤدي إلى القتل، ولا السلامة في الديار، وإنما {وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ}.

{وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}[1]

هنا في ترغيب في آثار القتل في سبيل الله؛ يعني على فرضية أنكم قتلتم في سبيل الله، {لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ} هذا الذي ستجدونه المغفرة والرحمة.

{خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} خير من البقاء في الحياة والجمع فيها، فلا يخوفوكم بالموت، وليس هناك شيء تحرص عليه في الحياة إلا أن يطول العمر فيحسن العمل، لكن القتال في سبيل الله سبب لوصول الإنسان إلى مقصده من المغفرة والرحمة.

{وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ}[2]

في كل الأحوال من مات في ساحة المعركة، أو مات في بيته، في النهاية سيُحشر إلى الله، ويحاسبه الله.

فما في هرب من الموت ولا من آثاره، لكن خير لك أن تموت وتكون مقبل على رحمة الله ومغفرته، وأرواح الشهداء تكون في طير خضر تطوف في الجنة تأكل وتشرب منها، ثم تتعلق بقناديل تحت العرش، خيرًا من أن تموت جبانا، فلابد من الشجاعة الإيمانية.

انتهى اللقاء بحمد الله.

---

(١) سورة آل عمران ١٥٧

(٢) سورة آل عمران ١٥٨

اللقاء السادس عشر(٢٦ جمادى الثاني١٤٤١ هـ)
الآيات (١٥٩-١٦٤)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكلنا على الله

مراجعة على الدرس الأول المستفاد من الغزوة

كنا بدأنا المرة الماضية في **الدرس الأول من الدروس المستفادة من الهزيمة**؛ وكان **التحذير من طاعة الأعداء التي تؤدي إلى التنازع والخذلان.**

على كل حال كان الأعداء في البداية:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ}(١)

الموقف هذا ما صورته؟

المؤمنون انهزموا، وكان المنافقين بينهم؛ فلما حصلت الهزيمة نادى المنافقون على ضعفاء الإيمان أن اكفروا؛ لما طلبوا منهم المعونة لما قالوا لهم ساعدونا، فالمنافقون عرضوا عليهم الكفر.

وهذا أحد المعاني للآية.

(١) سورة آل عمران ١٤٩

أنه وقت الهزيمة أن المنافقين دعوا ضعيفي الإيمان إلى الكفر؛ بمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم هُزم فلم يعد هناك دين!

إذًا معنى ذلك:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ}[1]

والنصرة مِنْ مَنْ؟ {بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ}[2]

إذًا هؤلاء نوع من الأعداء، وهم المنافقون.

أيضًا في نوع ثاني، وهو الشيطان الذي يحذر منه

كما في قوله تعالى {إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا}[3]

فهو العدو الخفي.

ففي الآيات عدوّين: المنافقون، والشيطان؛ بذلك يصير أعداء ظاهرين، وأعداء خفيين.

كيف يُمكَّن الشيطان من الإنسان؟

يتمكن الشيطان من الإنسان بالذنوب.

وبأي طريقة يتمكن المنافق من المؤمن؟

---

(1) سورة آل عمران ١٤٩

(2) سورة آل عمران ١٥٠

(3) سورة آل عمران ١٥٥

بالطاعة، وقبل باتخاذهم بطانة؛ فالطاعة تأتي من البطانة وكونهم قريبين.

إذاً كم نوع من الأعداء؟

نوعين من الأعداء.

النوع الأول: المنافقين، وهو نوع ظاهر يأتي بالطاعة، باتخاذهم بطانة وبعد ذلك يطيعونهم.

النوع الثاني: الشياطين، وهو نوع خفي، وهو يأتي بالذنب، وبعد ذلك يستزله الشيطان.

وبذلك فهما الدرس الأول وهو التحذير من طاعة الأعداء

هل ما نقدر نقول إن الكافرين أعداؤنا؟

الكافرون أعداؤنا لكنهم ظاهرين العداوة؛ فغالبًا أن الإنسان لا يطيعهم، لكن ممكن يصل الإنسان من الهزيمة النفسية لحال يطيع فيه الكافر.

وهذا معناه أن الأعداء صنفان: ظاهر، وخفي.

والظاهر ممكن يكونوا صنفان:

منافقين وقت قوة المؤمنين، وكفار وقت ضعف المؤمنين.

متى يظهر المنافقون؟

يظهر المنافقون عندما يكون المسلمين أقوياء.

وعندما يكون المسلمون ضعفاء يظهر الكفار، ويصير التعامل معهم، وتصير طاعتهم.

فملخص الدرس: أنه لا طاعة للأعداء.

الدرس الثاني: وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم المبلّغة لرضوان الله سبحانه وتعالى (١٥٩-١٦٤)

ننتقل الآن للدرس الثاني:

وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم المبلّغة لرضوان الله سبحانه وتعالى.

سنجد من صفات كمال الرسول صلى الله عليه وسلم البشري ما يوجب طاعته صلى الله عليه وسلم، **من آية (١٥٩-١٦٤)**

يقول الله تعالى:

{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّۚ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١) أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ

دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣) لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[1]

فيما مضى في الآيات السابقة أتانا كلام عن عفو الله عزّ وجل عن المؤمنين.

كم مرة جاء الكلام عن العفو؟

مرتين:

١- **المرة الأولى** كان في الآية (١٥٢): {وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}

٢- **والمرة الثانية** كان في الآية (١٥٥): {وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}

هذا لأن الله موصوف بصفات الكمال، ولأن الله رب العالمين.

نرى الآن موقف النبي صلى الله عليه وسلم في كونهم عصوا أمره واقترفوا خلاف ما أمرهم به، النبي صلى الله عليه وسلم عاهدهم ألا يتركوا أماكنهم حتى وإن تخطفت الصحابة الطير، لكنهم تركوا أماكنهم وكان بسبب ذلك الهزيمة العظيمة.

ثم أتى الموقف الثاني لما كرّ عليهم المشركون، فرّوا:

---

(١) سورة آل عمران ١٥٩ - ١٦٤

{إِذْ تُصْعِدُونَ} **على معنيين:**

المعنى الأول: تفرون في الصعيد.

المعنى الثاني: ترتفعون في الجبال؛ مِن صعد الجبل.

والنبي صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم، ويناديهم، ولكن أهمّتهم أنفسهم.

ففي تلك الساعة كان موقفهم الموقف البشري الطبيعي الذي يهرب لما يأتيه العدو، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يناديهم وهم لا يسمعون.

ولذلك الله عزّ وجل قال: {فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ}؛ غمّ موت النبي صلى الله عليه وسلم في مقابل غمّ الهزيمة؛ بحيث لو زال الثاني الذي هو موت الرسول صلى الله عليه وسلم يزول الأول وهان الأول.

لكن في معنى ثاني: وهو أن أثابكم غمًّا بفوات الغنيمة ووقوع الهزيمة، بغمكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أي **بسبب غمّكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم** لما خالفتم أمره، وذهبتم تصعدون، ولا تلوون على شيء.

النبي صلى الله عليه وسلم الذي أُصيب بالغم كيف عاملهم لما عادوا؟

ظهرت معاملته صلى الله عليه وسلم لما عادوا في قوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ}[1] من أثر رحمة الله لأنَ النبي صلى الله عليه وسلم لهم.

ومعنى لِين النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه صلى الله عليه وسلم قد تكرر في القرآن الكلام عنها، لكن هنا في هذا الموقف الذي هم يستحقون فيه العتاب ليّنَ الله لرسوله قلبه، فهان عليه معاملتهم باللين، وهذا من آثار الرحمة.

في مقابل اللين، ماذا تكون المعاملة الأخرى؟

{وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا} المعاملة الأخرى المعاملة بالفظاظة.

{غَلِيظَ الْقَلْبِ} كأن الصفة وسببها؛ يعني **متى يكون الإنسان فظاً؟** لما يكون غليظ القلب؛ يعني لا يشعر بأحد، وهؤلاء كثير الذين لا يشعرون إلا بأنفسهم.

لو كان النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الحال: {لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} لأن الطبيعة البشرية لا تتحمل أن يكون القائد فظًا، غليظ القلب.

---

(1) سورة آل عمران ١٥٩

الآن فيه فكرة منتشرة بين الناس أنه لازم من يقود بيد من حديد وإلا ما صارت القيادة! لتتصوروا كيف الفكر العلماني ممكن يدخل علينا بدون ما نشعر!

فالفكر العلماني يقول أنت تعمل عندي عبارة عن آلة، المفروض أستنزفك للنهاية، وآخذ منك كل شيء ولا أُقدّر أي أحوال تمر بها، وليس أنك بشر، بل أنت آلة! ومن ثم يكونون شديدي الفظاظة على من تحت أيديهم! وهذا الكلام أتى من هذا الفكر.

في المقابل هل نتهاون ونتساهل ونترك الحقوق؟

لا طبعًا، هذا كله ممكن أن يقوم وأنت لست فظًا، وأنت غاية في الأدب، وغاية في اللين، وتقوم بما يجب عليك.

إذًا لا تقرني كالفكر العلماني بين استخراج الحقوق والفظاظة؛ ممكن إنسان يستخرج الحقوق بدون ما يكون هناك فظاظة، والذي يعين على تصوره أن القلوب بيد الله، وأن الاستعانة بالله، وسؤال الله، ورجاء الله، حتى لو كنت في موقف إداري، وتحكم فيه الناس فلازم يحصل كل هذا منك، حتى في النهاية تعطي الناس حقوقهم بدون ما يكون هناك فظاظة.

هل يلزم لقيادة المجتمع فظاظة القلب؟

لا، ولو كان يلزم كان النبي صلى الله عليه وسلم لابد أن يكون بهذه الصفة.

إذًا لا يلزم لقيادة المجتمع الفظاظة وغلظة القلب.

ما هو أسرع شيء تكون لازم موصوف به؟

اللين، {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ}

واللّيّن هذا يُعصَر، فاستعن بالله؛ الذي ينقص اللّيّن الاستعانة بالله، والاستهداء، وطلب ولاية الله؛ لأن دائمًا نشعر لو كان ليّنًا سيعصرونه الناس، ومن ثم لا يسمعون الكلام ومن ثم ومن ثم!

فأنت اجعل اللّيِن هذا محروسًا بالاستعانة بالله.

ولما **تقابل ناس أصلاً طبيعتهم لا تستجيب لا للّيِن ولا لغيره؟**

لو كلمتهم بأدب ما يستجيبون، ولو كلمتهم بغير أدب لا يستجيبون!

هؤلاء أقرب ما يكونون إلى المنافقين؛ لأن الكلام الطيب ما يأتي بنتيجة معهم ولا الاحترام.

فهم يقتربون من النفاق؛ لأن المنافقين طريقتهم لا يمشون إلا إذا لقوا حد السيف عليهم، ولا يمشون إلا إذا أُهينوا.

فأي أحد يرى في نفسه هذه الصفة، فلازم يعرف أنه في خلل داخل نفسه، وأن هذه ما هي طريقة طبيعة للحياة، ولازم يكون فيه ثغرة قلبية، **وهي ثغرة النفاق.**

لأن حتى الكافر في الأصل الكرامة الإنسانية أهم شيء عنده.

والكرامة الإنسانية يناسبها أن الإنسان الذي يكلّمني يكون ليّنًا.

لكن لما أجد نفسي أتمرد على اللين الطيب، فمعناه أن نفسي ليست سوية، وأني ما أمشي إلا لما يهينوني.

انظروا كيف بني إسرائيل ما أطاعوا ربنا إلا لما نتق الجبل عليهم فأصبح ظلة، وتعرفوا كيف سجودهم؟ سجودهم عين في السماء وعين في الأرض؛ لأنهم لما نتق عليهم الجبل كان هذا موقفهم، مائلين ينظرون في السماء بعين، وينظرون للأرض بعين.

فهؤلاء هم اليهود نموذج النفاق، ما يمشي معهم إلا الإهانة.

ومجرد أن رجع الجبل مكانه وعادوا إلى حياتهم الطبيعية رجعوا كما كانوا!

فهذا تميزين شخصيتك هل أنت ماشية تمام، أم مخالفة للكرامة الإنسانية.

أي أحد يشعر أنه ما يمشي إلا بالإهانة، وإلا بالكلام الشديد؛ فمعنى ذلك أن فيه ثغرة قلبية في نفسه، وغالبًا الثغرة تميّل للنفاق، في المقابل أن المؤمنين الصالحين، بل حتى الناس الطبيعيين، حتى الكافر الاحترام واللين يأتي بنتيجة معهم.

ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} **فهذه الآية تبين قاعدة مهمة في المعاملة.**

تصوري أنك ابتُليت بأحد هذه طبيعته، الإهانة تأتي بنتيجة معه، أما الاحترام والكلام الطيب لا يأتي معه بنتيجة.

طيب أنا لو بقيت أهينه دائمًا، فأنا أخاف على نفسي من الإثم، فمثل هؤلاء لا ينفع معهم إلا المداراة.

لما تدير منافقين ما يأتوا إلا بالإهانة أنت لا تنزّل نفسك لهم، بل تغافل عنهم وداريهم داريهم عنك إلى أن تدفعهم عنك.

وعلى كل حال ما فيه أحد يمشي في حياته بصورة الإهانة إلا وتدور عليه الدائرة ويُبتلى بمن لا يمشي معه إلا بالإهانة.

هو يريد يغيظك ويقهرك؛ فأنت تكلمه كلامًا طيبًا فيعتبرك عبيط أهبل وما تعرف تحكم، وأنت تستعيب من نفسك أن كلما رأيته أهنته، أو استعملت عليه أسلوب السلطة أو كذا وكذا، فهو يستفزك ليشعرك أنك ما تقدر تسوي له شيء.

وهذا ما يذهب أبدًا لأن:

أولًا: هذا دليل على عدم استواء نفسي.

ثانيًا: أن كل الذي يسويه كأنه فاتورة، وغدًا سيدفعها بالتفصيل، حتى لحظة العين، وطبعًا هو ما عنده عقل ولما يكلمك يحاول يحقّرك، ولا يحترمك وينظر لك بعينه، فهذه النظرة غدًا سيأتي واحد يجلس ويحتقرك بالضبط كما سويت بالضبط، فهي فاتورة مدفوعة، ولا أحد يدفعها بدلًا منك، إلا أن الله عفوّ غفور تتوب، يتوب الله عليك.

الشاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم أُرشد لهذا، وقيل له لو كنت فظاً غليظ القلب ما استطعت أن تقودهم؛ لأن النفوس السوية الكريمة لا تقبل الفظاظة.

وهم كانوا رجالًا الله عزّ وجل اصطفاهم، فنفوسهم كلهم سوية، فما كانت الفظاظة تأتي بهم، لكن الفظاظة تأتي بالمنافقين، لكن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُعرِض عنهم.

هم واليهود كانوا يدخلون للنبي صلى الله عليه وسلم كما مرّ معنا في سورة البقرة، ويقولون له راعنا، يعني أصابك الله بالرعونة!

ومع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم يُعرِض عنهم كأنهم ما يتكلمون، وفاتورة ودفعوها.

فالمقصد أن هذه الآية فيها طريقة القيادة للناس الذين نفوسهم سوية

ثم يُرشَد الرسول صلى الله عليه وسلم بالتفصيل إلى أعمال لين القلب:

{فَاعْفُ عَنْهُمْ} أي إذا وقع منهم خطأ اعف عنهم، عن حقك.

{وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ} واستغفر لهم من أجل حق الله، واستغفارك لهم له منزلة.

{وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} هذه رفعة لهم؛ هُمّ ناس أسوياء، أقوياء، نافعين وحصل منهم خطأ، حتى لما يحصل منهم خطأ؛ هؤلاء لأنهم أسوياء، حتى لو حصل منهم خطأ عاملهم **إجمالًا باللين**.

ثم بالتفصيل أنت

١- **اعف عن حقك**

٢- ثم **استغفر لهم** الله من أجل أن يعفو الله عنهم، ويذهب ما هو عليهم من آثار الذنب.

٣- ورقّيهم أكثر، **وشاورهم في الأمر**، ولا تقل بسبب الخطأ أنتم رأيكم غير مقبول!

لا، بل هؤلاء مجرد ما تعاملهم باحترام، سيقع منهم الاحترام، والاحترام هو اللين.

{فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} هذه إرشادات للقائد؛ وهذا معناه أن الناس الذين هم حولك إذا كانوا في منزلة تصلح أن يكونوا مستشارين لا مانع من الاستشارة، بل الاستشارة تصير من التدين أن تستشيرهم، لكن مع ذلك اجعل بعد الاستشارة العزم، لا تتردد، **ونحن في هذا كله لازم نكون متوكلين.**

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} يعني هذا الأمر الذي تريد أن تعزم عليه، وتريد أن تعمله، وشاورت فيه أصحابك، بعده لا تتردد

اعزم، لكن لازم تكون صفة العزم في قلبك فيها صفة التوكل، فاعزم وأنت متوكل على الله.

الله يرشدنا لأحسن الأحوال، والله يرشدنا لأحسن القرارات، والله يرشدنا لأحسن التصرفات، اللهم اهدني، وسددني.

ما في تردد، ما يصلح التردد للقائد، ما هي من صفات القائد أن يكون مترددا، لكن هو يعزم على الأمر، ولابد أن يكون شديد التوكل على الله، وطول الوقت يقول: الله سيرشدنا، أرشدنا يا رب لأحسن الأقوال، لأحسن الأفعال، لأحسن التصرفات، لأحسن القرارات، **وبهذا يكون في موقف محبة: يعني الله يحبه**، حتى لو حصل خطأ لازال بسبب توكله محبوب، ويرجع الخطأ لنفسه.

{إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ}[1] فنحن في جو المعركة والنبي صلى الله عليه وسلم شاور أصحابه، واتخذ القرارات، وتوكل على الله، **ومن المتقرر الأول** أن الله إذا نصرهم فلا غالب لهم.

{وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ} **وهذا الأمر الثاني المتقرر**، يعني إذا خذلكم الله لا ناصر لكم، وهذا كله يوجب التوكل {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}

---

[1] سورة آل عمران ١٦٠

يعني واضح خاتمة الآية (١٥٩) والآية (٦٠) متوافقة، **وما بينهما الموجبات للتوكل على الله.**

لماذا لازم تتوكل على الله؟؟؟

لأن إذا نصرك الله فلا غالب لك، وإذا خذلك الله فمن الذي سينصرك!

ولذلك لما تحفظوها، احفظوها بهذه الطريقة؛ خاتمة الآية السابقة تدفعك لعدم التردد {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} يعني المشورة قبل العزيمة، {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} إذا توكلت على الله فلازم تعرف أنك دخلت فيمن يحبهم الله {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}

وما أسباب وجوب التوكل؟

سببان على وجه العموم:

١- {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ}.

٢- {وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ}.

ثم مرة أخرى {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}.

الآن سيأتينا أمر من الأمور المفرّقة بين أهل الإيمان، وبين أهل النفاق:

{وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ}[1]

هذه أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاق الأنبياء عمومًا.

---

[1] سورة آل عمران ١٦١

ما معنى يغل؟

أصل هذا الكلام الخيانة

الخيانة أصلها؛ وما كان لنبي أن يخون، ولا أحد يظن في النبي هذا الظن إلا المنافقون.

{وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ}: هذا تعبير عن النفي التام لهذه الصفة (أي الخيانة) عن الأنبياء، وفي الغزوات: تكون الخيانة في الغنائم.

ثم التحذيروالتخويف: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}

هذا الآن التحذير، التخويف، أي الذي يحصل منه الخيانة يأتي بما خان يوم القيامة.

{ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} وقد مرّ معنا أن كل هذا بمثابة الفاتورة التي ستسددها.

نرى موقع هذه الآية من الجهة التي فيها مدح للنبي صلى الله عليه وسلم، وفي نفس الوقت الجهة التي فيها ذم للمنافقين، وأيضا إشارة بصورة خفية إلى الرماة بصورة أو أخرى.

أولًا ماذا نعتقد أن الرسل عمومًا ورسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم؟

أن رسولنا الكريم خاصة، والرسل عمومًا من **أخلاقه الأمانة وهي مفهوم عام**.

ابدئي بالأمانة من جهة تبليغ الوحي؛ فعقيدتنا في الرسل أنهم أهل أمانة، يبلغون ما أُمروا بتبليغه، أهل أمانه؛ بمعنى أنهم يعملون ما يأمرون به، فأنت تتصورين أن الرسول الكريم بلّغ لك كل الرسالة **هذه عقيدتك.**

ثم الأمر الثاني الرسول يقول لك أمر، وهو أكثر الناس أمانة على هذا الأمر، فمن ثم هو لا يخالف صلى الله عليه وسلم قوله فعله، لا هو، ولا بقية الأنبياء. <u>**إذًا هذه عقيدتنا في الأنبياء.**</u>

<u>**ماذا يعتقد المنافقون في الرسول صلى الله عليه وسلم؟**</u>

من أهم أسباب نفاقهم عدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم، فمن ثَمّ يمكن أن يتهموه بالخيانة.

في المعركة ما المسألة التي سيدخل فيها خيانة؟

الغنيمة؛ لأن الناس الآن في المعركة يجدون من وراء المقاتلين أمور كثيرة تركوها، وخصوصًا لو كانوا أتوا بنسائهم، أتوا بأموالهم، أتوا بقطيع من الِجمال، ونفس النساء يُعتبرن من

الغنائم، والذهب الذي معهم يعتبر من الغنائم.؛ فالآن في دنيا فُتحت، فيظهر المنافق من الصادق.

مع أن في ديننا الغنائم مباحة، وليس كاليهود كانوا يجمعونها ويحرقونها، والسبب في هذه الشريعة والله أعلم طبيعة نفس اليهود، فالدنيا بالنسبة لهم أهم شيء، وممكن يبيعون دينهم لأجل أن يحصل على عرض من الدنيا. فكان يُرغّبون في القتال بدون الكلام عن الغنيمة، يعني هو ممكن يقتل صاحبه من أجل الغنيمة.

أما أهل الإيمان لما مكّنهم الله سمح لهم بالغنائم.

ففي مقابل هذا المنافقون لازالوا يفكرون مثل اليهود، وينظرون للنبي صلى الله عليه وسلم أنه ممكن يحصل على الغنيمة ويخبئها ويعطيهم أشياء بسيطة، ولهذا هم منافقون لعدم توقيرهم للنبي صلى الله عليه وسلم.

إذًا هنا مدح للنبي صلى الله عليه وسلم بطريقة النفي، مُدح **بالأمانة العامة في تبليغ الوحي، والرسالة.**

والأمانة الخاصة في كونه ليس مقبلًا على الدنيا ولا محبا لها ولا راغبًا فيها؛ لأن الغلول لا يكون إلا من إنسان محب للدنيا، هذا كله منفي عن النبي صلى الله عليه وسلم، لكن بطريقة النفي {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ}

إذًا ماذا تعتقدين؟ أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يغل، ولا الأنبياء عموما يفعلون هذا.

ثم جاء التهديد {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}

وهذا تعريض للرماة في إقبالهم على الغنائم.

{أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ}[١] هذه مقارنة.

معناها لا مقارنة بين الطرفين:

بين من اتبع الرضوان، وبين من باء بالسخط.

فالذي اتبع الرضوان هو الذي لم يخن، ولم يغل، ويأخذ من الغنيمة ويخفيها.

لما يقتلون رجلًا من أهل الكفر، الذي يقتل له سلَبْ المقتول، يعني هذا رجل يركب فرسًا ولها مثلاً خطام، ولها كذا وكذا من الأمور، وعنده سيف؛ فماذا يفعل القاتل؟ هذا كله يصير له، **هذه الغنيمة.**

لكن هو ماشي في المعركة وجد شيء ملقى في الأرض، كشمله مثلًا يعني قطعة قماش فأخذها وأخبأها، فهذه هي الخيانة وهذا **هو الغلول.**

---

(١) سورة آل عمران ١٦٢

معنى ذلك بين الغنيمة وبين الخيانة شعرة؛ لأن ممكن واحد يقول هذه قطعة قماش ملقاة في الأرض! **لكنها هي في حق المسلمين غنيمة**؛ ولذلك في الحديث أن الرجل مشتعلة عليه شملته التي غلها.

هذا كله تشديد ألا تمد يدك على أي شيء؛ لأن ساحة المعركة مباحة، وما نحتاج في ساحة المعركة لو كانوا الناس مؤمنين كاميرات تصوير، وبهذا تفهمين في ساحة المعركة ما في إلا وليّ الأمر هو الذي يحكم فيه، ولا تمد يدك تأخذ أي شيء أبدًا.

وهذا التحريم حَفِظ للمسلمين الثروات، لأن المؤمن والمنافق يخرج، فالمنافق سيحوّل ساحة المعركة لنهب ويصير هؤلاء يحملون موتاهم، أو ينظمون الجيش، وهؤلاء يسرقوا ويسرقوا.

ولذلك هذا الشرع من أحسن الشرع الذي حفظ للناس حقوقهم.

إذا فهمنا هذا فلازم نفهم أن ولي الأمر أو النبي صلى الله عليه وسلم الآن في هذا الموقف لماذا يمنعهم من الخيانة؟

ليس من أجل أن يجمعه لنفسه، النبي لا يخون، وإنما سيجمعه ويفرقه على المسلمين، مع ملاحظة أن لكل أحد ممن قتل واحد له سلَبه.

وكيف يكون له سلبه وهو لازال يقاتل ويقاتل؟

هذه مسألة لها تنظيمها معروفة في الفقه.

لكن الآن أنت تفهمين أن الله عزّ وجل حفظ على المسلمين بالأخلاق الحقوق.

وليس شرطًا بالقانون، ولا بيد من حديد، ولا بالمراقبة، وإنما بالأخلاق.

سنقسم الناس إلى قسمين ولا مقارنة بينهما:

- **فالأمين اتبع رضوان الله.**
- **والثاني باء بسخط من الله**

هؤلاء الذين اتبعوا سخط الله في صورة الغَلول، كانوا من **أعظم أسباب الخذلان، والنزاهة من أعظم أسباب النصر.**

تصوري في هذه الغزوة في ناس اتبعوا رضوان الله، وفي ناس باءوا بسخط الله.

✓ الذي اتبع رضوان الله هم الذين حفظوا الحرمات، وما أغرته نفسه أن يمد يده على شيء، الذي كان أمينا كان سببا من أسباب النصر.

✓ والذي وقع عليه سخط الله الذي خان، الذي خان كان سبب في الهزيمة.

الأمناء الآن هل هُم سواء؟

{**هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ**}[١] فالناس ليسوا سواءً لا في الأمانة، ولا في الخيانة.

(١) سورة آل عمران ١٦٣

{وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} يعني أن هذه الدرجات إنما كسبوها باطلاع الله عليهم؛ الله عزّ وجل يعلم من يستحق هذه المنزلة، ومن يستحق هذه المنزلة.

الآية الأخيرة لازالت في سياق الثناء على النبي صلى الله عليه وسلم.

قبل أن نصل إليها، **كم ثناء على النبي صلى الله عليه وسلم؟؟؟**

الأول أنه لين صلى الله عليه وسلم، و انتفي باللين الفظاظة، واللين شمل هذه الصفات الباقية التي هي العفو، و أنه يستغفر لهم، و أنه يحترمهم فيشاورهم، هذه كلها من ما يمدح به النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أعظم ما يمدح به صلى الله عليه وسلم أنه من المتوكلين، ليس من المترددين بل من العازمين المتوكلين .

فأنت الآن لو تريدين تتكلمين أن قائد يقود جماعة تشبهينه له، سيكون أولى تشابهينه هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وستجدين هذه الصفات، سنضع الرسول صلى الله عليه وسلم نموذج ونحن نفكر في نفسنا:

- ✓ أولاً لازم تكون لين، تبتعد عن فظاظة القلب.

- ✓ **الأمر الثاني:** يحصل أخطاء من فريق العمل الذي تشتغل معه عليك أن تعفو عنهم مادام أنهم أسوياء؛ لأن العفو في الحر له أثره.
- ✓ وبعد ذلك أكون أصلي مثلا، ما بين الأذان والإقامة، في آخر الليل استغفر لنفسي، ولفريق عملي، أقول الله يغفر لي ويغفر لهم، من أجل لو اجتمعنا وكانت ذنوبنا زائلة أنا وهُم، تكون النتيجة مسددين، موفقين، مجتمعين، الشيطان ما يتولانا، أليس في الماضي إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا؛ كي أبعد عني الشيطان قبل ما اجتمع الاجتماع بهم و أقرر أن أعمل استغفر، استغفر لي ولهم لأجل أن نجتمع والشيطان بعيد عنا، والاستغفار أيضًا يتضمن الدعاء
- ✓ لما أجلس معهم أحترم آراءهم، أطرح عليهم الأمر، وأشاورهم فيما يصلح أن أشاورهم فيه، فيما يفهمون أني أشاورهم فيه، بعد ذلك أنا كقائد ما أتردد، أشاورهم، وأعزم
- ✓ وأمر نفسي وأمرهم أن نتوكل على الله، وبذلك نكون جميعاً داخلين في حب الله، إذا كلفت فلان أوصيه أن يتوكل على الله، قبل أن يدخل في الأمر، بذلك **اتضح لنا بأن هذا نموذجاً للقيادة.**

هذا النموذج قصدت أناقشه خاصة كون الناس يظنون أن الدين يغطي فقط المسائل الدينية، لكن الحياة شأن آخر! وهذا

ما هو صحيح، بل كل ما تجده في القرآن من أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان قائدًا للأمة تستطيع أن تجعله وصفًا للقائد، وكل ما تجده وصفًا للرسول صلى الله عليه وسلم وهو زوج تستطيع تجعله وصفًا للزوج المثالي، وهكذا بهذه الطريقة كل موضع وُضع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم نستقي منه الصفات التي توصلنا إلى الكمال.

وما خاب أبدًا من اتبع هذه الخطوات خاصة في مسألة القيادة، وفي كل مسألة طبعًا، لكن الناس يغيّبون هذا الأمر خصوصًا في الأمور التي تتصل بالحياة الدنيا المحضة مثل الإدارات ومثل القيادة.

مع العقيدة أن التوفيق وعدم التوفيق بيد الله، فكل هذه من الأسباب ثم نتوكل على الله ونعرف أننا إذا وُفقنا كان التوفيق من الله ولو ما وُفقنا فهذا له حكمته **هذه من الصفات للنبي صلى الله عليه وسلم الأولى**.

✓ **أيضًا من الصفات المهمة لهذا القائد الأمانة المتضمنة لنفي الخيانة**، بذلك مثله أي قائد يريد أن ينجح، يكون أمين مع الناس الذين من حوله ولا يخفي عنهم أمور ثم يشاورهم ويتخذ قرار غير صحيح.

سيأتي الآن ما يدل على هذا المعنى الذي نتناقش فيه، أنه ماذا يجب يكون في قلبك تجاه النبي صلى الله عليه وسلم خصوصًا

ونحن نتناقش الآن أنه ما من باب يحتاجه الناس إلا والنبي صلى الله عليه وسلم على رأسه يدعوك إلى صفات الكمال:

{لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}[1] **الأمر الأول أنك تشعرين أن هذه مِنّة**

المنّة لها تفاصيل:

{إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ} **معنى من أنفسهم**: من أحسنهم، من أفضلهم، وهم يعلمون نسبه صلى الله عليه وسلم الشريف.

فمن الضروري الإنسان لما يكون قائدًا، **لازم يكون من نفس جماعة العمل**، ومن الصعب أحضر قائد من الخارج، فنادرًا ما يحصل اندماج، ولابد أن يكون من أخيرهم؛ فلابد أن تكون **صفحة القائد فيما يظهر بيضاء**.

{يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ} هذه المِنّة العظيمة على الأمة؛ أن هذا الرسول يتلو عليهم آيات الله عزّ وجل، وهذا أمر تحته أمور عظيمة؛ كيف أن الله يتكلم بالكلام سبحانه وتعالى فيسمعه جبريل عليه السلام فينزل به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيتحمّل شأنًا عظيمًا، وينقل للناس كلام تكلم به الله؛ فهذا أمانة وفضل عظيم على

(١) سورة آل عمران ١٦٤

الناس أن يسمعوا من خلال الرسول صلى الله عليه وسلم كلامًا تكلم به الله.

وهذا أمر ما يقدْر قدره إلا من تأمل جيداً في حال الناس في الجهل، ثم حال الناس في العلم، والفرق الشاسع بينهما، وهذا كله جرى على يد النبي صلى الله عليه وسلم، فهي منة عظيمة، بعدما كانوا لا يعرفون الآيات، ولا يعرفون من هم ومن أين أتوا؟ وماذا يجب عليهم أن يفعلوا؟ وبعدما كانوا لا يعرفون عن آدم إلا الخرافات، وما كانوا يعرفون موسى عليه السلام إلا من كلام اليهود، وما يعرفون عن عيسى عليه السلام إلا ما تكلم به النصارى، وبعدما كانوا لا يعرفون السماوات ماذا تكون، والأرض ماذا تكون، وكيف خُلقت؟ ومتى خُلقت؟ ثم تتلى عليهم الآيات فتأتيهم بالأسرار العظيمة، فهذه مِنّة عظيمة؛ ولذا المنة على المؤمنين بالنبي صلى الله عليه وسلم مهما شكر الإنسان الله عليها يبقى مدينًا بالشكر لله عز وجل، أن أرسل هذا الرسول، وأنزل عليه الكتاب، ويسّر لنا تلاوة كتابه.

ومن ذلك كثرة الصلاة والسلام على رسول الله؛ لأن من يكثر الصلاة والسلام عليه فطبعًا الأجور المترتبة شيء كثير، لكنه يعترف أنها منة من الله، وخير كثير وعطاء من رب العالمين، فيقول يا رب صل وسلم على رسولك: **يعني اثن على الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أعترِف أنك امتننت به علينا.**

فتطلبين من الله أن يثني على الرسول من اعترافك بأن الله قد منّ عليك بإرسال هذا الرسول. وهذا أمر عظيم، يعني أنت معترفة أن الرسول نعمة، ومعترفة أن الدين الذي جاء به نعمة، ومعترفة أن الشرع الذي جاء به نعمة، وهذا كله يتضمن كلمة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.

{وَيُزَكِّيهِمْ} فهو باذلًا جهده في تطهير أنفسهم وإرشادهم عند كل حال للأكمل من السلوك.

يعني أنتِ الآن لما أحد يعلمك ما هي السلوكيات المناسبة.

مثلًا لما تريدين تدخلين على الملك، فستذهبين لأحد يعلّمك ماذا تقولين، وماذا تلبسين، ولما يعلّمك تمتنّين له، ثم لما تدخلين وتُوفقين فلازم يكون فيه مشاعر كبيرة تجاه من علّمك.

طيب النبي صلى الله عليه وسلم علّمك كيف تدخلين على ملك الملوك سبحانه وتعالى، وكيف يكون لك مكانة عند ملك الملوك، بحيث أنك تطهّرين نفسك تطهيرًا يصلح للدخول على ملك الملوك.

وهذا معنى التزكية أن يرشدهم كيف يطهرون أنفسهم بحيث أنهم يصلحون لمجاورة رب العالمين؛ لأن ليس كل أحد يصلح للمجاورة.

{وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}

وتصوري ناس جاهلين ثم يجتمع عندهم علوم الدنيا كلها، وهذا ما فيه أي مبالغة، فمن أن خلق الله آدم وماذا حدث في السماء إلى ماذا سيكون في آخر الحياة.

كل علوم العالم وحتى ما اختفى من حضاراتها وزال من علوم العالم، اقرئي سورة الروم وستعرفين أنها تضمنت أيضًا ما اختفى من حضاراتها.

فعرفوا كل العلوم، وكانوا قومًا جاهلين منفصلين تماما عن العلم، ثم ينزل عليهم القرآن في ثلاثة وعشرين عامًا يعلّمهم من أن خلق الله الخليقة إلى أن تقوم الساعة كيف تكون الأحوال.

وما كان كيف زال واختفى، ويحكي لهم قصة سبأ وأحوالهم، وسليمان وملكه، وداود وحاله، ومِن خلق السماوات والأرض، وخلق الكرسي، وخلق العرش، وخلق القلم.

كل هذه الأسرار العظيمة إلى إزالة هذا كله، وإلى وقوف الناس بين يدي رب العالمين، وإلى دخول أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

فهذه نقلة ما يقدْر قدرها إلا من عرف الجهل، وعرف القرآن.

وليس هذا فقط {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ}، **بل** {وَالْحِكْمَةَ}:

والحكمة ممكن تكون:

١- السُّنة.

٢- مقاصد الشريعة.

يعني تعلّموا:

١- الكتاب الذي في ضمنه السُّنة

٢- وكمان تعلّموا مقاصد الشريعة والمقصود بها يعني علم عظيم يعلّم الإنسان رحمة الله، وحكمة الله وفضل الله، فهذا كله تعلموه من وراء نزول الآيات على الرسول صلى الله عليه وسلم: أعظم منة على الإطلاق، الحمد لله، والشكر لله.

ولهذا وصفهم فيما سبق: {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} **قبل هذه الرسالة كانوا في ضلال مبين.**

نترك العرب ونرى غير العرب: **فالرسالة عامة على العالم كله،** كانوا قبل هذا في ضلال مبين: مثلًا الفلسفة اليونانية ترى المرأة التي كانوا يسموها باندورة، فتراها هي الشرور في أسطورة مشهورة عندهم، والأساطير فيها سطر واحد حقيقة، ثم التفت عليها أمور كثيرة فأصبحت باطل: ففي فترة طلعوا عطر باندورة مبني على هذه الأسطورة! الشاهد أن هذه الأسطورة تقول إن الإله في السماء- تعالى الله عما يقولون- خلق الإنسان لكن أخفى عنه الحقائق، فجاء الشيطان الذي يرمز إلى الرحمة والخير وأراد تنبيه الإنسان إلى ما فيه خلوده! الملامح تشبه قصة آدم.

المهم كان الإله الذي خلقه نائم! -تعالى الله- فاستيقظ الإله ووجد هذا الإنسان قد تعلّم طريق الخلود فغضب عليه وأنزل الإنسان ومعه صندوق من الشرور، وأنزل الشيطان وسلط عليه نسر يأكل كبده كل يوم وتعاد الكبد مرة ثانية ويأكلها النسر!

خلينا نرى صندوق الشرور لما فتحه الإنسان خرجت المرأة! فكانت المرأة في الفلسفة اليونانية هي من صندوق الشرور التي يسموها الباندورة! **طبعاً في ضلال مبين.**

ثم انظروا للحضارة الفرعونية: الإله راع -على قولهم- يصعد للعلو فتصير ساعات النهار، ولأجل أن يأتي الليل ينزل للسفول فتأتي ساعات الليل.

نرجع لليونانيين: يقولون إن هناك إله يمسك الأرض، وهو الأطلس ودائمًا يأتون بالكرة الأرضية وكأن فيه يد تمسكها؛ فهذا اعتقاد اليونانيين أن الإله هذا يمسك الأرض، وعندهم إله للشمس وإله للقمر ثم تتصارع الآلهة، ويغرقون الأرض في قصة نوح!

في ضلال مبين.

لو قلنا كم أسطورة مشهورة في هذا الباب لا تتصورون، وفيه أساطير إلى اليوم محتفظ بها غير التي زالت في الوسط.

لكن على أقل تقدير الأساطير التي تفسر الكون يبتدئ عددها من ستمائة أسطورة إلى ألف.

فالحمد لله على التوحيد.

لما تقرؤون {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} فلا تمرروها هكذا، بل لازم تعرفون حقًا كانوا في ضلال مبين.

ولذلك الغول والعنقاء عند العرب أنواع من الأساطير ولذلك شيء كما في سورة الجن كانوا ينزلون الوادي وينادون على سيد الوادي يسترضونه!

ولما يخافون يذهبون لكذا، ولما يريدون المطر يذهبون لكذا!! ناس عاشت في أساطير، ثم يأتي الرسول صلى الله عليه وسلم يتلو عليهم الكتاب.

نقلة ما تشعرين بها لأنك جالسة تتمتعين بها، ولا تشعرين؛ وهذا الأمر يوجب الشكر أنك ما فتحت عينك في ضلال مبين، بل فتحت عينك على هداية مباشرة، فالواجب نكون أكثر شكرًا من غيرنا.

كيف يأتي الرسول يتلو عليكم الكتاب والحكمة ويزكيكم وفي النهاية ما تشعرون أنه مِنّة؟! وتذهب تقضي أكثر أوقاتك تقرأ للفيلسوف الفلاني!!

عدم تقدير النعمة يؤدي إلى زوالها، ولذلك في آخر الزمان ينام الناس في ليلة فيصبحون وقد رُفع القرآن من صدورهم فلا حافظ

للقرآن حتى الفاتحة ويفتحون المصاحف فيجدونه خطًا قد زال، فلا في صدورهم ولا في كتبهم والسبب قلة شكر النعمة.

أسأل الله ألا يجعلنا من الكافرين.

أسأل الله أن يجعلنا من الذاكرين الشاكرين.

انتهى بحمد الله وفضله

اللقاء السابع عشر (٣ رجب ١٤٤١ هـ)
الآيات (١٦٥-١٧١)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
بسم الله توكلنا على الله

نكمل ما بدأناه في دراسة سورة آل عمران ووصلنا لدروس من هذه الموقعة التي هي غزوة أحد،
ومرّ معنا درسين:

١- **الأول النهي عن طاعة الأعداء.**
٢- **الدرس الثاني مباشرة يقابله وهو الأمر بطاعة الرسول** صلى الله عليه وسلم.

ومن أجل ذلك في الدرس الأول وُصف الأعداء ووُصف أثر طاعتهم.
والدرس الثاني وُصف النبي صلى الله عليه وسلم ووُصف أثر طاعته.

في آيتين أتوا في وصف الرسول بإثبات كمال الأخلاق له و آية في نفي نقص الأخلاق عنه.

١- **الآية الأولى:** {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ}

الوصف الأول له اللين، إذا أثبتنا اللين نفينا الفظاظة عنه، ومن آثار لينه أنه **يعفوويستغفرويشاور**، وهذه صفات القائد.

٢- بعد ذلك في ترتيب الآيات أتى النفي عنه صلى الله عليه وسلم، نفى عنه الخيانة، وعن كل نبي **نفي الخيانة**، وهذه أيضا من صفات القائد التي تلزمنا طاعته صلى الله عليه وسلم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخون.

٣- الآية الثالثة التي ناقشت صفاته صلى الله عليه وسلم:

{إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}[١]

أكيد من يعلّمك، ويرغب في تزكيتك، ويرشدك للصواب، لازم تحبه وتطيعه.

قارني بين هذه الآية وبين آية:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ}[٢]

---

(١) سورة آل عمران ١٦٤

(٢) سورة آل عمران ١٤٩

قارني بين هذه الحالة، وبين حالة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتلو عليكم آيات الله، وأنه صلى الله عليه وسلم يزكيكم، ويعلمكم الكتاب والحكمة.

معنى ذلك أنه تطيع الرسول صلى الله عليه وسلم لأن هذه حالته، وهذا الذي يبذل جهده صلى الله عليه وسلم فيه معكم.

في المقابل لا تطيع الذين كفروا؛ لأنك لو أطعتهم يردوكم على أعقابكم خاسرين.

إذًا من الآية ما أثر طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم علينا؟

١- أن تتعلم الكتاب
٢- أن تزكي نفسك
٣- أن تكوني حكيمة.

ما آثار طاعة العدو؟

يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين.

لذلك هذين الدرسين لازم تكون أمام بعضها بهذه الطريقة متقابلين:

- لا تطيعوا الأعداء لأن هذا مقصدهم منكم.
- وأطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم لأن هذا الذي يوصلكم إليه طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وبذلك هذين الدرسين المتقابلين يجعلونك دائما تفكرين لما تتخذين قرار؛ من أسباب اتخاذ ك القرار أن تفكري ما النتائج من اتخاذ هذا القرار؟ وما النتائج من هذا القرار؟ أصاحب هذا؟ أم أصاحب هذا؟ أكون مع هؤلاء، أم أكون مع هؤلاء؟ ما نتيجة هؤلاء؟ وما نتيجة هؤلاء.

يعني مثلًا تأتي تقولين: أنا أريد أصاحب هؤلاء لماذا؟ يضحّكوني!

وفي الأخير ماذا ستفعل لك (يضحكوني) بعد سنة؟!

وفي الأثر: (**كثرة الضحك تميت القلب**)، فهل هذه هي الخطة أن يموت القلب؟!!

طيب أحبهم؟ ما فيه مانع، لكن تحبينهم أو ما تحبينهم، لازم تفكرين ما النتائج من وراء هؤلاء، وهؤلاء فهذه الدروس تعلّمك كيف تفكر.

الدرس الثالث: المصالح الربانية من آية (١٦٥-١٧١)

الآن نبدأ في الدرس الثالث، من الدروس المستفادة من الهزيمة:

المصالح الربانية من آية (١٦٥-١٧١)

لأن من آية (١٧٢-١٧٥) فيها انتقالة خاصة بين السابق واللاحق ستتبين إن شاء الله.

قال الله تعالى:

{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَٰذَاۖقُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْۗإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(١٦٥) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواۚوَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُواۖقَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْۗهُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِۚيَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۗوَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواۗقُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨) وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًاۚبَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ}[١]

الدرس هنا يدور حول تربية الله عزّ وجل اللطيفة لعباده، وتعليمهم أمور لا تظهر إلا بالشدائد.

---

(١) سورة آل عمران ١٦٥ - ١٧١

يعني نفهم أن الله يربي عباده أحيانًا بالشدائد، هناك دروس ما يصلح تسمعها فقط، بل لازم تدخل في محنة كي تتعلمها، وهناك دروس ينفع أنها تقال لك بالعلم.

ولذلك انظري إلى الآية التي قبلها {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} **وهذا نوع من الدروس.**

وفي نوع آخر من الدروس **ما ينفع تتعلمه إلا بالشدائد.**

فالله له تربية لطيفة بعباده؛ يعلمهم العلم بطرق متعددة، منها إدخالهم في الشدائد، لكن لا تعتقد أن هذه الطريقة وهي إدخالهم في الشدائد لم يسبق أن نبّهم إلى الأمر، بل هذا الموضوع الذي ستدخل فيه في شدة لتتعلم منها قد عُلّمته نظريا أولًا بالإجمال، ثم تدخل الشدة فتجد الموضوع تام الوضوح.

أولًا آية (١٦٥): **في هذه الآية إبطال لبعض ما صدر من أهل النفاق، وضعفاء الإيمان من الظنون الفاسدة والأقاويل الباطلة.**

يعني نتيجة المعركة صار في كلام ومناقشات قالها المنافقون وضعفاء الإيمان.

فالتركيبة الاجتماعية للمدينة ثلاثة أنواع:

١- مؤمنون أقوياء الإيمان
٢- ضعفاء الإيمان
٣- منافقون.

ما الفرق بين ضعفاء الإيمان والمنافقين؟

ضعفاء الإيمان معهم إيمان لكن لم يثبت بعد وما هو قوي، لكن معهم إيمان؛ يعني ما عندهم شك في الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته، إنما حقائق الإيمان نفسها لم تظهر جليًّا.

بمعنى أن قدرتهم على التوكل مثلًا ضعيفة، وقدرتهم على التسليم لقدر الله ضعيفة، وهذا اليوم يكاد يكون وصف غالب الناس.

والمنافقون؟

قسمان:

- **القسم الأول: يسمى منافقين خُلّص (أي يعلمْ نفسُه)** مثل عبد الله ابن أُبيّ ابن سلول هذا عارف نفسه، قبل أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم كادوا يتوجونه، ثم لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم كأنه نزع منه هذه القيادة، فوقع في نفسه الحقد على الرسول صلى الله عليه وسلم.

فهل يعادي الرسول صلى الله عليه وسلم أم يظهر ولاءه، ويفسد عليه؟

في تفكيره لو عادى الرسول صلى الله عليه وسلم ستذهب عنه صفة الحكمة، ويصير مفضوح أنه يبقى يترأس عليهم، فأفضل له في تفكيره يوافق الرسول صلى الله عليه وسلم كأنه يبغى الخير والحق، ويفسد على الرسول صلى الله عليه وسلم من الداخل، فهذا منافق عارف نفسه.

- **القسم الثاني: منافقون يظنون بنفسهم الإيمان**، وهؤلاء الذين وصفهم الله آمنوا، ثم كفروا، ثم آمنوا، ثم كفروا، ثم ازدادوا كفرا، كما في سورة المنافقون، وسورة النساء التي ستأتي بعد آل عمران فتفهمك أمور كثيرة كانت في آل عمران.

وهؤلاء وُصفوا في سورة البقرة كما **قال ابن كثير** في قوله تعالى: {كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ}[1] إذا أضاء لهم أي ظهر لهم دلائل الإيمان مشوا في الإيمان وصاروا ثابتين، {وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا} وإذا أظلم عليهم أي ذهب الإيمان وجاءهم الشك، يقفون في مكانهم وما يتحركون؛ فهؤلاء ما يعرفون نفسهم أنهم منافقون؛ يظنون نفسهم مؤمنين، ولما يأتيهم الشك فلا يعالجونه ولا يدفعونه ولا شيء، بل يصيرون كأنهم من أهل الشك.

---

(١) سورة البقرة ٢٠

فالعارفين أنفسهم يلقون أسئلة التشكيك عنوة؛ يعني يقصدون تشكيك غيرهم.

أما الآخرين الذين يظنون أنفسهم مؤمنين أول ما تأتي أزمة، كأنها {**وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا**} كأن هذه الأزمات تظلم عليهم الإيمان فيقومون، فيظهر الشك منهم.

ضعفاء الإيمان، ما موقفهم من أسئلة الأزمات؟

لا تصدر منهم أسئلة، وإنما يتأثرون بأسئلة المنافقين، بسبب ضعف إيمانهم، يعني هُم ما يأتون بأسئلة المنافقين؛ الإيمان الذي معهم يمنعهم أن يقع في نفسهم أسئلة فيها شُبَه على الدين، لكن مشكلتهم بسبب ضعف الإيمان يتأثرون بغيرهم.

فهؤلاء أحسن شيء في حالهم أن يكونوا في حِميَة إلى أن يقوى إيمانهم، لكن بسهولة ممكن يتعرضون لهؤلاء المنافقون.

الأقوياء هؤلاء الثابتين يدافعون عن الدين، وفي أنفسهم يقولون هؤلاء كذابين، لكن ضعفاء الإيمان يتأثرون.

بعد ما عرفنا التركيبة الاجتماعية؛ بقي الأقوياء خارج الموضوع كله، يعني أي كلام نقوله في الشك خارج منه أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ والعشرة المبشرين بالجنة والأقوياء من الإيمان والذي كتب

عنهم التاريخ؛ التاريخ ما طوى إلا الضعفاء، وبقي أقوياء الإيمان لكل واحد منهم أثر، أو قصة، أو إشارة إليه.

نبدأ بآية (١٦٥) **لنرى ما الأمور التي شككوا فيها:**

{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ} يعني حين أصابكم من المشركين هزيمة،

وهذه الهزيمة ما بها؟ {قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا} يعني في بدر قد أصبتم منهم ضعف ما أصابوا منكم في أُحد؛ يعني أصابكم من المشركين نصف ما قد أصابهم منكم.

يعني بالنسبة أنتم تكونون أصبتم مثلّيهم في بدر، وفي أحد هُم أصابوكم لكن بنصف ما أصبتموهم.

وهذا إشارة إلى أن الدنيا دول تتداول، هذه سنة الله أن يتداول الأمر، وقد مرّ معنا لو ما حصل التداول؛ بمعنى لو دائمًا النصرة للمؤمنين سيدخل في الإسلام من ليس منه، فيدخلون طلبًا للنصرة وليس للدين، والحال أن لازم يكون الطلب للدين وليس للنصرة.

{قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا} يعني سألتم من أين أُصبنا؟!

وهذا لا يسأله من تعلّم، وعرف الحق، وتبين له، لأنه مباشرة سيقول من ذنوبنا.

الجواب: {قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} أي بسبب المخالفة.

الآن أين السؤال الذي فيه تشكيك؟

{أَنَّىٰ هَٰذَا} **أي هو في باطن السؤال**، يعني يقصدون بقولهم {أَنَّىٰ هَٰذَا} إذا كان هذا رسول مرسل من عند الله ودينه حق، **فلم الهزيمة؟!!**

{أَنَّىٰ هَٰذَا} التشكيك وجهه أنهم قصدوا إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم حق من عند الله، وما يدعو إليه حق؛ فكيف يُهزم حامل الحق؟!!

فالجواب: {قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}، يعني بسبب أنكم خذلتم الحق، والمقصود الرماة، وعدم طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ولما ناداهم هربوا.

إذًا هل الحق ضعيف؟ هل الرسول ليس صادقا في أنه من عند الله؟

الجواب: لا.

لكنهم متصورون أنه مادام من عند الله، مباشرة ستأتيهم النصرة، ومادام يحملون الحق، فلازم الحق يهزم الباطل في كل موقعة!

الجواب: لا، ما هو صحيح.

لأنه أولًا: هذه الحادثة بينت أنه أنتم من تحملون الحق، تؤثرون في نصرة الحق؛ فالحق أمر معنوي تحملونه في نفوسكم، وليس مترجلًا ولا راكبًا فرس وذاهب يقاتل، بل مكانه في قلبك؛ إذا امتلأت به وكنت صادقا، ستسمع، وتطيع، وتُقدِم، وتكون شجاعًا وتقاتل العدو.

وإذا كنت مخذولًا، أو جبانًا، أو مخالفًا، أو غير مطيع سترجع للوراء، وتخذِل الحق.

هذا كل الكلام في جملة واحدة: {قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}، هذه الهزيمة سببها أنتم وليس الحق.

فلما يأتي واحد يقول لك لماذا الإسلام متخلف؟

نفس القياس؛ **الذي يسأل هذا السؤال هم ثلاثة أصناف:**

١/ المنافقون الخلص يصدر منهم السؤال.

٢/ والمنافقون المتشككين المترددين بين الإيمان والنفاق؛ لما تأتيهم المصائب يأتيهم الشك ويصدر منهم هذا السؤال.

٣ /وضعفاء الإيمان يستقبلون السؤال ويرددونه.

فكل ما تسمعينه في وسائل التواصل الاجتماعي أو المقاطع، والذي يجعل تراجع المسلمون حضاريا ودنيويا دليل على أنهم ليسوا أهل الحق يصدر من:

١- منافق خالص

٢- ومنافق يتردد بين النفاق والإيمان،

٣- ومن ضعفاء الإيمان.

أما المؤمن قوي الإيمان يعرف أن الحق حق، وصدق، وما وُعد الحق حق، لكن لما يكون حامل الحق ضعيف: حامل الحق يخذِل الحق؛ فما تراجَع الحق؛ أي ما تراجع كون المسلمين متقدمين إلا بسببنا، وليس بسبب الحق الذي نحمله؛ لأن الدين هذا منصور بنا أو بغيرنا، لكن {قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}، فأنت من تخلفت عن إقامة الحق في نفسك، فكيف ينصرك رب العالمين؟!

انظري لخريطة العالم الإسلامي، وانظري أين الأماكن الخالية من الشرك؟!!

هنا معبود من دون الله، وهنا قبر فلان، وهنا قبر الحسين، وهنا قبر السيدة زينب، وهنا قبر أبو أيوب الأنصاري، وهنا قبر عبد القادر الجيلاني، وهنا وهنا ... كل العالم الإسلامي إلا بقاع محددة جدا كلهم يشركون بالله.

فأين الحق الذي يمكن أن يقال أنت حامله؟!

المسلمون الخلص أصلًا وليس المؤمنين عدد قليل في مقابل العدد الكبير الذي هذه أسماءهم.

تكاد تقولين هذه الأعداد كلهم يدخلون في الشرك، ولا تقولي علموا أو ما علموا؛ لأن الآن الناس يصلهم العلم من كل الآفاق، من كل باب، وتسقط مسألة العذر بالجهل إلا في حالات ضيقة.

ومن يريد شيء يبحث عنه بكل سهولة الآن.

فالمقصد الآن أن الذي يقول لماذا تخلف الإسلام؟

فنقول له: أين هو الإسلام أصلًا؟!!

إلا في عدد محدود من الناس في مناطق محددة، وغالب الباقي داخل في باب الشرك.

والذي ما هو داخل في باب الشرك، داخل في باب الشهوات والدنيا، وحب النفس وحب الظهور، واسأل نفسك كم شغلت في وقتك من أجل نصرة الدين؟!

فهل تحسب أن الدين سيقوم هو وينصرك، أم أنت يقوم فيك الدين وأنت تنصر الدين؟

الدين المفروض يدخل إلى فؤادك، أنت تتمثله ينصرك الله، أما كلام ومجرد أسماء أن الإنسان مسلم أو مؤمن، فهذه أسماء لا تنفع.

على كل حال هذه الإجابة: {قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} كل واحد يقولها لنفسه.

وهذا السؤال ما يأتي إلا من الأصناف الثلاثة، وتلك الأصناف في التركيبة الاجتماعية شيء واضح جدا لأنها قد تكون غالبة على المجتمع وأقوياء الإيمان قليل، وفي كل زمان أقوياء الإيمان قليل.

نرى الخاتمة: {إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} على وجه العموم.

وهنا على وجه الخصوص النصرة عند الطاعة، والخذلان عند المخالفة، وحيث خرجتم من الطاعة أصابكم منه تعالى ما أصابكم.

هم الآن يشككون في كون أن الله عزّ وجل على كل شيء قدير.

فيقولوا لو كنا حق كان نصرنا الله إذا الله معكم، **فلماذا تهزموا؟!**

الجواب: {إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} لكن {هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} إن أطعتم نصركم، إن عصيتم خذلكم مباشرة، هذه سنن الله ما في انحيازفي سنن الله.

ما فائدة قوله تعالى: {قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا}؟

هذا نموذج على إن أطعتم نصركم {قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا}.

{وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ}[1]

هذا هو الجواب الثاني على نفس هذا التساؤل {أَنَّىٰ هَٰذَا}:

الجواب الأول: {قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}

الجواب الثاني: {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ}

---

(1) سورة آل عمران ١٦٦

يعني هل هذه الهزيمة دليل على قوة العدو وأنه يفعل ما يشاء؟

لا، بل أذِن الله للعدو أن يفعل بكم ذلك.

كان ممكن ينزل الرماة وما يلتفت لهم خالد ابن الوليد رضي الله عنه إلى هذه الثغرة، ويبقون تحت ستر الله وينتصرون وانتهى الموضوع، لكن تنبُّه خالد رضي الله عنه لهذه الثغرة كان بإذن الله.

فلا تفهم أن الحق لا يُنصر، إنما القاعدة **إذا أطعتم نصركم الله. وإذا عصيتم خذلكم الله،** وخذلكم الله بيانها أنه تسلط عليكم العدو، وما تسلط العدو إلا بإذن الله.

إذًا قاعدة مهمة في التفكير:

وهي أن الله إذا عصاه من يعرفه سلّط عليه من لا يعرفه.

فلما تقولين لماذا تسلط علينا الكفار الذين لا يعرفون الله ونحن مؤمنين.

الجواب: من سنّة الله إذا عصاه من يعرفه، سلّط عليه من لا يعرفه، هذا معنى فبإذن الله.

يعني ما يتسلط عليك الذي لا يعرف الله إلا بإذن الله؛ فهو لا يتسلط عليك إلا ليؤدبك الله؛ فالله أذن له أن يتسلط عليك لتتربى، وتعرف أنك كنت في حماية الله ورعاية الله أصلًا.

لأن الإنسان لما يشعر نفسه أن مادام أحمل الحق يبقى لازم أكون، ولازم أكون، فيصبح حمله للحق سببًا لغروره، وسببًا لإحساسه أنه في أي مكان هو منصور.

فالجواب: لا، ليس في أي مكان أنت منصور، ولكن لما تطيع الله ينصرك، لما تعصي الله يخذلك، يخذلك كيف؟ يسلط عليك من لا يعرفه **(هذا الجواب الثاني على هذه الشبهة)**

هذا الكلام نفسه تحملينه وتضعينه أمام أي أحد يقول: المسلمين لو كانوا على حق كان نصرهم ربنا؟

الجواب:

الأمر الأول: {**هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**}.

أنتم لستم حاملين الحق كما ينبغي كي تكونوا أهل للنصرة؛ فأنتم بين أمرين: بين مشركين، وبين منشغلين بالدنيا، وقليل من يحمل هم الإسلام.

وكثير ممن يظهر أنه حامل هم الإسلام، يكون حامل هم الإسلام كي يظهر على الإسلام؛ أي يكون الإسلام مجرد سُلّم يظهر عليه فهو يتعلم العلم كي يماري السفهاء ويجاري العلماء.

يعني لو جلس في مجلس، حتى لو غيره يتكلم مثلا يوعظ إلا يتدخل في الكلام، ويقول أنا موجود؛ فيكون مقصده من العلم،

أن يماري السفهاء ويجاري العلماء؛ حتى الذي حامل هم الدين أيضا عنده مشكلة.

فصار مشركين ولاهين في الدنيا، أما **الذين يتحملون هم الإسلام الخلص منهم قليل، فالله يغفر لنا ويجعلنا صادقين مخلصين لوجهه الكريم.**

الأمر الثاني: {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ}

الأمر الثالث: {وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ}

فهذا أيضا من أسباب وقوع هذه الهزيمة.

هل الله ما يعلم المؤمنين؟ بلى لكن هذا علم الظهور؛ يعني يظهر المؤمنون.

الظهور من جهتين:

١- **من جهة الإنسان نفسه:**

يعني أن العبد قد يكون في حيرة من شأنه هل هو صادق أو كاذب (وهذا لا يشغل إلا المؤمنين الصادقين)، فيبتليه الله عزّ وجل بالأزمات فيتصرف كما يُرضي الله، فيكون هذا ظهورًا لنفس المؤمن.

٢- **من الجهة الثانية: يظهر لعامة المجتمع الإسلامي صدق إيمان هذا الإنسان فيكون مؤهلًا للثقة فيه.**

واحد من الأزمات التي نعيشها من هذا الذي نثق فيه، ونوكل له العمل، ومن هذا الذي نسمح له أن يعلّمنا ويقودنا؟!

فتأتي الأزمات تبين لنا هؤلاء وهؤلاء، وعلم الظهور هو الذي يترتب عليه الثواب.

هؤلاء الذين ظهر أنهم مؤمنين في هذه الغزوة كيف تصرفوا بعد الهزيمة؟

سيظهر منهم وقت الهزيمة تصرف، وستأتي ثلاث آيات ختام هذا المقطع التي في حمراء الأسد، سيظهر أيضًا منهم ما يدل على أنهم مؤمنين.

فظهر منهم إيمانهم بعد الهزيمة، فاعتقدوا أنه بقدر الله حصل ما حصل، ورضوا بما وقع، **وتابوا إلى الله من أسبابه(المخالفة والتنازع).**

إذًا كم مصلحة من وقوع هذه الهزيمة؟

أولًا: من عند أنفسكم؛ أي أنه هذه الهزيمة بسبب مخالفتكم.

ثانياً: ما تحصل هذه الهزيمة إلا بإذن الله.

ثالثا: ليعلم؛ واللام تعليلية (ليعلم المؤمنين) والعلم هنا علم الظهور.

{وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا}[1] وهذه المصلحة الرابعة، أو الإجابة الرابعة، وأيضًا علم ظهور.

هم ليسوا منشغلين بهذا الموضوع، ما هم مثل المؤمنون؛ فما تهمهم أنفسهم، ولكن وليُظهر الله صفات المنافقين، فيميزهم المؤمنون، فتُنزع منهم الثقة.

فتركيبة المجتمع المدني صعبة جدا من جهة اختلاط المؤمن بالمنافق.

جاء الإسلام وهم متجاورون، ومتزوجون من بعض، وأصهار وأصحاب؛ فدخل الصادقون، وتردد ضعفاء الإيمان، وكذب المنافقون، وصاروا كلهم مع بعض؛ فتمييز هذا عن هذا صعب.

هذا صاحبي وهذا جاري وهذا الذي أجالسه مؤمن أم منافق؟ ويأتي لمجالس النبي صلى الله عليه وسلم يجر قدمه، ويأتي للصلاة بقوة فظاهر أنه منافق، لكن يصعب عليهم إظهار عداوته.

فتأتي الغزوة؛ الله ينزّل على المؤمنين نعاسا ويبقى المنافقون مستيقظين.

بالإضافة لثلث الجيش الذي عاد، وهؤلاء واضحون جدا، لو كان جار أو صاحب أو صهر، بعد الغزوة صار واضح جدا إظهار العداوة لهم.

---

(١) سورة آل عمران ١٦٧

لازم تتصورون صعوبة هذا الشيء، ولازم تتصورون الفائدة العظيمة من ظهوره؛ لأن طول الوقت المؤمن تؤلمه نفسه لأنه يشعر أن هذا منافق لكن ما هو قادر يعامله معاملة المنافق، ولا قادر يسيء الظن فيه، ويشعر أن لا تسيء الظن فيه ولو كان مسلما ستأخذ إثم، ودائما نفسه تلومه، تلومه أن يعامله بهذه الطريقة.

فالله أتى بهذه الهزيمة ليظهر هؤلاء ويرتاح المؤمنون، ويصير لما يجد في نفسه بغضًا له وكراهية يصير معذور على مشاعره، فهذه مصلحة عظيمة جدا للمؤمنين.

{وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا} أي المؤمنون يعلمونهم.

{وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا}

ظهر نفاق المنافقين الخلص لما تولى ابن سلول بثلث الجيش، فكان الصحابة يجرون وراءهم ويقولون لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله، وهذا شرف عظيم لكم أن تقاتلوا، وإذا ما تبغون تقاتلون فقِفوا في موقف الدفاع، ولا تسمحوا لعدوكم يهاجم بيضتكم.

الصحابة أرادوا بهذه الكلمة أن يأتوا بهم لساحة المعركة لعلهم في الساحة يحصل لهم الإيمان.

وهذا بالمناسبة يشبه أنه كثير من السلف الصالح إذا سئلوا طلبتم العلم لأي شيء؟ فما يقولون لله استحياءً من وصف نفسهم أنهم مخلصون، ومعرفةً بنفسهم فما يستطيعون يحكمون على

نفسهم بالإخلاص، فكان الواحد منهم يقول:(طلبنا العلم لغير الله فأبى إلا أن يكون لله).

يعني بعدما دخلوا في العلم وبعد زمن وعاشوا فيه بدأ يظهر في نفوسهم ما معنى أن يكون الشيء لله.

فما يستطيعون يقولون عن أنفسهم أن الدافع الأساسي الذي دفعهم هو لله.

وهنا هذا الموقف يشبههم من وجه: قالوا لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله، فلما ما استجابوا قالوا لهم تعالوا طيب ادفعوا واحموا أعراضكم لئلا تستباح.

طيب هم هكذا يطلبونهم للدنيا!

نقول لا، لأن في تصورهم لو أتوا لساحة المعركة، ووجدوا نفسهم مقاتلين، ووجدوا ما ينزل على المقاتلين من الهبات الربانية، وانشراح الصدر، والقوة وتعززهم بالملائكة، يسبب ذلك لهم كله أن يكون نيتهم الإيمان.

{قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ}

يعني يرون أن هذا ليس قتالا، يرون أن هذا إلقاء للنفس في التهلكة، جبناء.

لماذا رأوا ذلك؟ بالتقدير العقلي ممكن يكون إلقاء بالنفس للتهلكة؛ لأنهم حسبوا حسابا عقليا؛ حساب العُدة والعدد؛ فعلوا

نسبة وتناسب في عقلهم فأكيد سنُقتل ونهلك، والفتنة أن المسلمين في هذا الموقف هُزموا، فكانت فتنة على ضعفاء الإيمان.

{هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ}

بالإضافة لباطنهم الكافر، أصبح ظاهرهم أقرب للكفر.

هم بهذا القول اقتربوا في الظاهر من الكفر، فظهر ما في بواطنهم من الكفر.

{يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} والمعنى أن هذه عادتهم، أنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ} أي أن الله مطلع على أحوالهم.

{الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ}[١] إخوانهم هم المنافقون {وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} لو امتثلوا أمرنا بعدم الخروج إلى أُحُد وفعلوا كما فعلنا.

الآن الجيش الإسلامي خرج ومعه منافقين، وعاد ابن سلول بثلث الجيش المنافق، وبقي منافقون في الجيش أكثر من الثلث والدليل **حادثة إنزال النعاس أمنة**، فيصبح هؤلاء المنافقون الذين بقوا يقاتلوا قُتِل منهم أحد.

---

(١) سورة آل عمران ١٦٨

وربما تكون أخوة الدم فيكونون أقرباءهم، وعشائرهم

{قَالُوا لِإِخْوَانِهِم}

- ✓ المنافقون مثلهم
- ✓ إخوانهم من جهة الدم الذين بينهم منافق أو مؤمن.

{لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} الجواب عليهم: {قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} **أي ادرؤوه حال حلوله؛** لأنه من لم يمت بالسيف مات بغيره.

المقصد في كل الأحوال لا تستطيعون أن تدفعوا الموت، ولكن هذا دليل على عدم إيمانهم بالقضاء والقدر.

ما صفات المؤمنين التي هي خلاف صفات المنافقين؟

١- المؤمنين ثبتوا في القتال في سبيل الله، أما المنافقين قالوا: {قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ} فالمؤمنين كانوا في حال من الشجاعة وأقبلوا على القتال، وهم يعتقدون أن النصر من عند الله، وليس بالكثرة ولا بالقلة.

٢- المنافقون حالهم **أنهم** {هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ}، **أما** المؤمنون حالهم يدل أنهم أهل الإيمان.

٣- المنافقون يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، والمؤمنون صادقون يطابق قولهم بلسانهم ما في قلوبهم.

٤- المنافقون {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا}، المؤمنون مؤمنون بالقضاء والقدر.

الجواب على هؤلاء:

{قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} أي ادرؤوه عند حلوله

{إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} أن سبب موت من مات هو عصيان أمركم.

سنرى صفة أكثر للمؤمنين وصلة واضحة بين هذا الكلام السابق والآية التالية التي فيها منزلة الشهداء:

{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا}[1] ما الصلة بين الآية السابقة؟

لأنهم كانوا يقولون {لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} **والله يقول لهم: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا}**

ما الصلة؟ هذا نسميه تبكيت لهم؛ يعني يقال لهم كلام يغيظهم.

كيف أتى التبكيت؟

---

(١) سورة آل عمران ١٦٩

قيل لهم أن الموت لا مفر منه على كل حال في الآية السابقة، ثم ترك خطابهم وأقبل على من يستحق المعرفة، فقال لأهل الإيمان وعلى رأسهم النبي صلى الله عليه وسلم تعليمًا لهم {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا} فأُبطل بذلك ما تلهّف منه المنافقون على إضاعة قتلاهم.

كيف أبطل؟ هم قالوا ستموتون.. فقيل لهم: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا} بل هم أحياء يتمتعون بحياة لا مقارنة بينها وبين الحياة التي تعيشونها، فقطع بذلك كلامهم الذي فيه تحسير، فيه جبن.

لازم تلاحظوا الالتفاتة:

الآية السابقة كان الخطاب للمنافقين، قيل لهم: {فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}، ثم تُركوا لأنهم لا يفهمون، ولا الإيمان بالغيب عندهم له شأن، فانتُقل الكلام من المنافقين إلى المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب، وقيل لهم أنتم يا أيها المؤمنون {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا} بل لازم تعتقدون أنهم {بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ}[١]

---

(١) سورة آل عمران ١٦٩- ١٧١

يعني كبّتهم، وجعلهم في حسرة من شأنهم؛ والالتفاتة فيها مزيد العناية بالرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ومزيد من تحقير شأن المنافقين كأنهم ما يستحقون أصلًا أحدا يخاطبهم بمسائل الإيمان. **وهذا منهج عظيم أن الإيمان وحقائقه لا يُخاطَب به إلا المؤمنون.**

أما المنافقون ومن عندهم حالة من الاستهزاء بالدين، فهؤلاء الأصل ما تخاطبهم لأنك أول ما تخاطبهم بأي حقائق إيمانية غيبية سيستهزئ بك مباشرة ما في قاعدة مشتركة بينك وبينه.

ويقول لك لما شاب ودّوه الكُتّاب! تقول له هذه المجالس تحضرها الملائكة تلاحظ الاستهزاء الذي يصدر منه؛ والسبب أنه ما في رابط بينك وبينه، ولا قاعدة إيمانية مشتركة لأجل أن نتناقش، فعدم وجود القاعدة الإيمانية المشتركة بين الناس تمنع المؤمن من عرض الحقائق الإيمانية على المستهزءين؛ لأنك بذلك ستُعرّض الحقائق الإيمانية للاستهزاء، وهذا الأمر ليس له علاقة بدعوتهم للإيمان، علّمهم الإيمان من مصادره؛ أنك يجب عليك تؤمن بالله، وتؤمن بالملائكة، وكذا.

لكن في فرق بين أن تقول أنا أعتقد، وأنا أفعل ذلك معتقدا، وبين أن تقول له ربنا يقول: لك كذا وافعل كذا لو كنت مؤمنًا.

فعدم مخاطبته بهذه المسائل أقصد من جهة كونِك تتمثلينها أنتِ، أو أخذتِ قرار في حياتك معتمدة على الإيمان فلا تقولي

لواحد ما بينك وبينه قاعدة مشتركة في الإيمان أنا أخذت قراري بناءً على أساس الإيمان، فهذا شيء مختلف تماماً عن دعوته للإيمان ومخاطبته وبيان الحق؛ هذا كلام آخر، لكن آراءك أنت المبنية على الإيمان لا تنقلها لواحد ما بينك وبينه قاعدة مشتركة؛ و لذلك تجدين لما يكون فيه جماعة من طلبة العلم مجتمعين في مجلس يتعلمون القرآن تصير بينهم لغة مشتركة ما يفهمها من هو خارج عنهم، والسبب أن بينهم أماني مشتركة، وبينهم قاعدة مشتركة، وهذه القاعدة تسهل الخطاب ونقل الأماني، وحتى عذرك في قراراتك، في مقابل البعيد عن مثل هذه القاعدة ما يستطيع يعذرك في قراراتك. انتهت بحمد الله

اللقاء الثامن عشر (١٠ رجب ١٤٤١ هـ)

الآيات (١٧٢-١٧٥)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكلنا على الله.

وإن شاء الله اليوم نكمل في كلامنا حول غزوة حمراء الأسد، هذا مبتدأ كلامنا وهذه الغزوة من متممات غزوة أحد.

يعني الواصف لغزوة أحد من الواجب أن يداخل في كلامه الكلام عن غزوة حمراء الأسد؛ لأن هذه الغزوة تامة الاتصال بغزوة أحد، إلا أن المكان اختلف فقط، التغيير كان في المكان، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كما تعرفون صلى العشاء والفجر في مسجده بعد أُحُد، ثم أعلن النفير، ثم رحلوا إلى هذه المنطقة حمراء الأسد التي يكونون فيها متقدمين إلى مكة.

كأنه الآن في حمراء الأسد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم أهل الهجوم، وليسوا أهل الدفاع.

وهذه وحدها دليل على النصرة، كون أن مَن انهزم أمس اليوم يأتي من أجل أن يسترد حقه.

فبهذا يكون أول أمر مهم أنك إذا تكلمتِ عن غزوة أحد، كان الواجب أن تتكلمي عن غزوة حمراء الأسد لأنها الصورة التكميلية تمامًا لما حصل في غزوة أحد.

في هذه الغزوة هناك عدة أمور تدل على أن النصرة في آخر معركة أُحُد عادت فكانت للمؤمنين:

- **الأمر الأول** تحوّل جيش النبي صلى الله عليه وسلم من الدفاع إلى الهجوم.

كيف تحولوا من الدفاع إلى الهجوم؟

صرخ فيهم النفير، اجتمعوا وخرجوا من المدينة متجهين إلى مكة على المنطقة التي تفصلهم عن مكة، وهذه حالة من حالات الهجوم وليس الدفاع.

لماذا حصلت حمراء الأسد؟؟

ولماذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم في موقف المهاجم عليهم؟

{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا}[1]

نفهم أولا لماذا حصل هذا لقريش عادوا فأرادوا أن يقضوا عليهم؟

لماذا من البداية ما قضوا عليهم؟

---

(1) سورة آل عمران ١٧٣

آية من آيات النبي صلى الله عليه وسلم أن الله ألقى في نفس قريش الرعب وهم في أُحد؛ يعني بعدما التف خالد بن الوليد رضي الله عنه على المسلمين، وأوقع فيهم الهزيمة، **مع ذلك وقعت آيتين للمؤمنين:**

الآية الأولى: أن الله أنزل النعاس على المؤمنين.

الآية الثانية: أن الله ألقى في قلوب الكافرين الرعب فبقوا من بعيد ينادونهم ويقولون لهم انتصرنا عليكم وعزّ هُبَل! ما اقتربوا، من بعيد، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم بين أيديهم، ما اقتربوا منه لأنه قد ألقي عليهم الرعب؛ ومن إلقاء الرعب أنهم قد جمعوا نفسهم واتجهوا إلى مكة، وإلا كان ممكن في ساعتها يقضون على بقية المسلمين، لكن الذي حصل أنهم جمعوا نفسهم وعادوا لمكة، لما عادوا وفاقوا من مسألة الرعب؛ لأن الرعب مسيرة شهر، فهذا الرعب أبعدهم بعيد، ثم إذا ابتعدوا شعروا كيف راحت علينا الفرصة!

قريش تقول: هيا نرجع مرة ثانية، لنجهز على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من يخوفونهم أن قريش عادت وجهزت قواها والتفت من جديد على أن تنهيكم؛ فكان من النبي صلى الله عليه وسلم أن استعد استعداد المهاجم، واشترط -وهذا شرط عجيب- ألا يخرج معهم في هذا الخروج إلا من كان معهم في أُحُد.

ما السبب؟

لأن الدافع سيكون في قلب الذي أمس انهزم، وهنا الدافع لا تتصورينه دافع إنساني من الغضب للنفس، بل الدافع هنا تكفير الخطيئة مثلما يقال لأحد أعطيناك فرصة جديدة.

وكان للصحابة الكرام في هذه العودة حمراء الأسد من المواقف المشرفة التي تدل على إيمانهم وتقواهم ما يجعل الإنسان يفخر بذاك الجيل، وفي خطبة للشيخ صالح آل طالب فيه مقطع يحكي فيه قصة حمراء الأسد وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالنفير.

إذًا **الأمر الأول**: أن النبي كان في موقف هجوم وليس دفاع.

الأمر الثاني: أن النبي لم يأذن إلا لمن كان معهم في الجيش؛ ليكون ذلك دافعًا لتكفير الخطايا، وإظهار صدق النوايا.

الأمر الثالث: أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا في حال من الإقدام والشجاعة أعظم مما كانوا عليه في أُحُد.

ومن يسمع القصة ويراهم كيف كان موقف الأخوين من بني الأشهل، ورغم جراحهم ساروا مسافة وقد فقدوا المراكب، وخسروا كذا وكذا، لكن كان هذا الجزء من قصة أحد، دليل على صدق هؤلاء وعلى قوة عزمهم، ولذلك كانوا أهلًا لأن يسودوا العالم، وكانوا أهلاً أن تكون هذه آخر خسارة لهم ومن بعدها الله عزّ وجل كان معهم وفتحوا مكة ، حتى في حنين لما حصل الإشكال

ما ذاقوا كل البأس وانهزموا، بل أعادهم الله وانتصروا ، وبقوا من هذه الغزوة إلى ما شاء الله، وهم في حالات من الانتصار بما فعلوه في حمراء الأسد، فهذا الجزء في حمراء الأسد كان مفتاحًا لانتصارات بعدها.

ولذلك خُص هذا الجزء بآيتين تامتي الوضوح، دالة على صدق هؤلاء وعزمهم وأنهم أهلًا لأن ينصرهم الله رضي الله عنهم جميعا وغفر لهم ولنا جميع الذنوب.. اللهم آمين وجمعنا بهم في جنات النعيم.. اللهم آمين.

ولما تسمعين القصة وتري الرجل يأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يسرع وهو به تسع طعنات! وهمّي بجراح النبي صلى الله عليه وسلم أعظم من همّي بجراحي، فتعرفين لماذا مثل هؤلاء نصرهم الله بعد ذلك، ولماذا حمراء الأسد كانت مفتاحا للانتصارات.

فالحمد لله أن كان هؤلاء أسلافنا، وليسوا اليهود الذين قالوا لنبيهم اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون! هذا مما يفخر به الإنسان.

ولهذا مثل هذه القصص والحكايات عن هؤلاء الأصحاب الكرام، ضروري يكون الفؤاد ممتلئ بها؛ لأنك رغمًا عنك تحتاج نموذجا أمامك لتمشي عليه.

وكل ما يأتي للإنسان من أحزان وآلام كي يتخطاها يرى آلام من سبقه، ويرى كيف تخطوها، وكيف وصلوا إلى أحسن حال.

وهؤلاء بني الأشهل الاثنين الذي كان أحدهما يحمل أخاه من كثرة الجراح، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحراهم ويبحث عنهم لأنه متأكد أن هؤلاء مؤمنون ما يتأخرون عنه، فلما تلقاهم وحكوا له وضعهم، فبشرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا مد الله في أعماركم، فستجدون مراكب كثيرة، هم مشوا على أرجلهم، وما وجدوا مركب، وحمل أحدهم الآخر، ليصلوا مكان النبي صلى الله عليه وسلم، فكان الجزاء بعدما مشوا في سبيل الله، أنهم سيجدون خيرًا كثيرًا مِن أهمُّه أنهم يجدون مراكب كثيرة.

فأنت تعتقد أن الحزن الذي تمر به والألم الذي تمر به، والشيء الذي ينقصك اليوم، وأنت ترضى عن ربنا، وتمشي كما أمرك الله، فغدًا سيعوضك في الدنيا قبل الآخرة.

فلما تأتي في موقف وتتصبر وتحرم نفسك منه طاعة لله أو تحرم نفسك منه طاعة لوالديك، أو تحرم نفسك منه لأن في أحد محتاج أكثر منك فتعطيه إياه، تعتقد أن الله سيشكره شكرًا عظيمًا.

وفي السيَر أن بني الأشهل هؤلاء أغناهم الله، وكان لهم مراكب عظيمة، فتفهمين أنك تعاملين الغفور الشكور الذي يختبرك، تعطي اللقمة هذه التي تحبينها لأحد يحتاجها فسيطعمك ويسقيك إلى أن تموتي.

تخرّجين هذا اللبس الذي تحبينه لأحد محتاج فسيكسيكِ، ويكسيك، ويكسيك؛ لا تتخيلي نفسك أنك لما تحرمي اليوم غدًا ما يعوض لك، بل سيعوضك في الدنيا قبل الآخرة، لكن أهم شيء يكون في نفسك أنك تعاملين الشكور الذي يعطي على العمل القليل الأجر الكثير.

المهم حمراء الأسد في السّيَر فيها كثير من الأمور التي تجعل الإنسان يعرف كيف ربنا يعامل عباده، وكيف هؤلاء المثخنين بالجراح أتى غدًا فكانت جراحهم أفراحا، وهؤلاء نفسهم ذهبوا وفتحوا مكة، وهؤلاء نفسهم أعز الله بهم الإسلام، وفتحوا الأراضي، وهؤلاء نفسهم جاءهم من كنوز كسرى وقيصر ما الله به عليم؛ الله شكور يعطي على العمل القليل الأجر الكثير.

وكل هذه القصة منذ كان النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، ومن أن حُبس في الشّعب، ومن أن هاجر، كلها في ثلاثة وعشرين عاما، وهي في زمن الحياة عمر يسير جدا.

ففي ثلاثة وعشرين عاما ممكن أنت تنجز وتنجح، وتحمل هم الأمة، ويفتح الله بك، ويصلح بك وكل هذا يسير، لكن أهم شيء تكون صادقًا ومقبلا على ربنا، وربنا يرفع شأنك.

المشكلة لما الإنسان ما يعرف ماذا وهبه الله؟ وما هو دوره؟

وكيف يمكن أن يكون مصلحا في سنين عدة.

فأنت لو فقتِ لنفسك وعرفت نفسك وعمرك ١٥ سنة أو ١٦ سنة، كم سنة تحتاجين من ١٥ لتكوني منجزة ومعطية؟!

ضعي على ١٥ سنة نفس الزمن ٢٣ أو ٢٠ فيصير عمرك ٤٣ سنة، وتكونين في كامل القوى، وقد أنجزتِ وأجرى الله على يديك في الإسلام خيرًا كثيرًا، وفتح عليكِ وأصلحتِ، وكم من بيوت دخل فيها الإيمان بسببك، لا تسهيني بنفسك، ولا ترميها في الواطي، قد هيؤوك لأمر لو فطنت له تربأ بنفسك أن ترعى مع الهَمَل.

اترك السخيفين و المنحطين الذين يتاجرون بكم، وبأصواتكم، أو متابعاتكم، أو مشاهداتكم، فهؤلاء ناس يتسلقون على أكتافكم؛

فاجمعوا قلوبكم، واسألوا ربكم أن يمدكم بالعون، وأن يفتح لكم أبواب رحمته، ويجعلكم جميعًا مباركين، فالله يجعلنا جميعًا نحن ووالدينا وذريتنا مباركين أينما كنا.

والعبد المبارك على قِصر عمره له من الأعمال الصالحة ما الله بها عليم؛ وانظري للإسلام قد حمل مثل هذا كثير، كثير جدًا.

ومن أشهرهم النووي، وفيما يقال إنه مات بين ٣٣ أو ٤٣ عام، لكن الآن ما في مسجد في بلاد الإسلام إلا وفيه الأربعون النووية.

أنتم يا صغار كلكم فتحتم عينكم على حفظ الأربعين النووية.

والرجل ما شاخ في الإسلام، وكان في قوة شبابه، كتب رياض الصالحين، والأربعون النووية، وكتب المجموع للنووي الذي قيل إنه كتاب لو اكتمل كان آية من آيات الله، وهذا كله في عمر ٤٣.

يعني تصوري أنه استفاق لنفسه، وعرف قدراته وعمره مثلًا عشرون سنة؛ ففي ٢٣ عام أنجز كل هذا.

الله ينجينا من السفالة، الله ينجينا من سفاسف الأمور، الله ينجينا نحن وذريتنا والمسلمين اللهم آمين.

بسم الله توكلنا على الله نبدأ من آية (١٧٢-١٧٥)

{الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[1]

عند آية (١٧٢):

---

(١) سورة آل عمران ١٧٢ - ١٧٥

أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أُحُد وبلغوا الروحاء، وقالوا: إنا قتلنا أكثرهم ولم يبق منهم إلا القليل فلمَ تركناهم؟!

فهمّوا بالرجوع لاستئصالهم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يُرهِب أعداء الله، ويُري الله من نفسه، ومن أصحابه خيرًا.

فسماهم الله {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ}، فأصبحت هذه صفتهم؛ القرح بمعنى الجراحات القوية.

قال الله عزّ وجل في حقهم: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ}

معنى ذلك الذين {أَحْسَنُوا}: يعني أطاعوا الرسول، {وَاتَّقَوْا} اتقوا التخلف عن الرسول، وإن بلغ الأمر بهم في الجراحات ما بلغ.

هذه الجملة تفهمينها على أساس الواقعة.

طيب إذا خرجتِ من الواقعة، وقلتِ إن الصحابة أحسنوا واتقوا؟

صفة عامة لهم أنهم وصلوا درجة الإحسان، ووصلوا درجة المتقين.

أي إذا نظرنا خارج الغزوة يكون وصف الصحابة أنهم محسنين، متقين، فكل هذا مدح للأصحاب.

ولذلك قال الله عزّ وجل في آخر الآية {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ} يعني عظّم الأجر لهم، وهذا طبعا مدح للأصحاب.

الآن يأتي تفاصيل الاستجابة:

من هم الذين استجابوا؟

{الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} هُم الذين حصل معهم هذا الموقف.

ما هو الموقف؟

أول موقف: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ}، ونقلوا لهم الأخبار.

{إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ}

من هُمّ الناس الثانية؟ الناس هنا: قريش.

أما الناس الأولى: كانوا المبلغين ممن له تجارة، وممن يرحل، وممن يدل الناس على الطريق، وممن يوصل الناس، في تعبيرنا اليوم محايدون لا مع هؤلاء، ولا مع هؤلاء، لكن ممكن يوصونهم المشركين أن يوصلوا هذه الأخبار للمسلمين.

فلما تجدين ناس محايدين ما يعرفونك وكل شوية يأتي واحد يمر عليهم هناك، ويصل للنبي صلى الله عليه وسلم ويقول لهم هناك جماعة كبيرة جمعوا لكم، ثم يذهب هذا، ويأتي الثاني،

والثالث، والرابع، وناس ما نعرفهم، فواحد وراءه واحد، ووراءه واحد، فماذا يحصل في القلب؟

إذا تشجعنا مع الأول، فمع الثاني شوي نضعف، وانظروا الناس الآن، لما ينقلوا لكم الأخبار والإشاعات، ويقولون لكم الناس مرضوا ففي الأول أنتِ متماسكة، ثم يأتي الثاني يقول لك والمستشفيات ممتلئة! شوي، شوي لما يأتون لك بحالة وفاة!

تقومي غدًا تغيبِين عن المدرسة مباشرة! فالناس قد جمعوا لكم، فبهذا الضغط الإعلامي **لازم يسوي في النفس أثر عند الضعفاء**، أما الشجعان فالأثر عكسي؛ يعني بدلًا ما يصير ضعف وانسحاب.

سنرى ماذا يكون لما قالوا لهم {**إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ**}، **فماذا يريدون من هذا الخبر؟** {**فَاخْشَوْهُمْ**}، كأنه أمر طبيعي! فمن الطبيعي مادام جمعوا لكم فاخشوهم!

كان المتوقع لما يكون الإنسان جبان، وخواف، ويبحث عن أي سبب للهروب فكان المتوقع أنه سيهرب.

وهذا كلام نقوله بالنسبة للغزوة هو نفسه ينطبق على أي مخاوف؛ يعني بالمناسبة حتى لا يأتي أحد يخوفكم بالأمراض.

فعندنا في الأمراض **عقيدتين ثابتتين:**

الأمر الأولى: أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا؛ فهذه عقيدة لا تتغير، لا في الأمراض، ولا في أي شيء؛ فما في أحد يخوفنا بشيء، ما نصبح جبناء تنشلّ قوانا.

الأمر الثاني: أن كل أمر يقع علينا بقدر الله فهو خير؛ الخير ممكن يكون في الدنيا والآخرة، وممكن يكون في الآخرة.

يعني الخيرية المحضة تكون في الآخرة، وممكن يكون في الدنيا في نوع من الخيرية.

فأي شيء سيقع عليكِ هل في شر سيقع عليك؟ الحقيقة أنه ما في شر، في كل أقدار الله عزّ وجل خير

ثم في هذه النقطة الثانية في خصوصية لهذا النوع من الأمراض: الذي فيه حُمَّى؛ لأنه قد ورد في **الحديث:** «**الحُمَّى حَظُّ المُؤْمِنِ مِنَ النارِيومَ القيامةِ**»(١) خاصة الذي يموت بها؛ يعني الذي تصيبه الحُمّى كما في رسالة ابن رجب التي أورد فيها الحديث: **أن الحمى حظ المؤمن من النار**؛ يعني الذي تصيبه الحمى متكررة، دائماً تصيبه، يكون خلاص أخذ حظه من النار، حتى لما يناقِش قوله تعالى {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ}(٢) يمر بها أسرع ما يكون حتى ما يحس بحَرّ النار، وإذا مات بها يكون الأمر أعظم،

---

(١) الراوي: عثمان بن عفان | المحدث: الألباني | المصدر: السلسلة الصحيحة الصفحة أو الرقم: ١٨٢١ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

(٢) سورة مريم ٧١

كأن الذي كان مكتوب له في الآخرة أن يشعر به ، فخلاص طُهر هنا وانتهى وما يدخل النار .

- ✓ إذًا تؤمنين أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا؛ **أي تؤمنين بالقضاء والقدر**
- ✓ **ثم تؤمنين أن صفة القضاء والقدر خير**، وأكيد خير، خيرية واقعة في الدنيا وفي الآخرة.

أهم شيء أن تعيبي على نفسك أن تكوني جبانة. وليس أنت بنت حساسة! فلا تمدحي في نفسك هذا الشعور، طيب ما أخاف؟

الخوف من أي أمر طارئ شيء طبيعي، لكن ممكن يهجم عليكِ الخوف وممكن أنتِ تهجمين عليه، وتقولين لنفسك وتسكّينها: لو أراد الله سيقع عليك، ولو كنت في أي مكان.

وقد مر معنا أن المنافقين يقولون {لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا}، فالله يقول لهم: {فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

وإن شاء الله تكون سحابة صيف، وتمر وتنقشع، ويحفظ الله جميع المؤمنين والمسلمين، حتى لو خرجتِ من الأزمة بسلامة في بدنك، فممكن تكون خسرتِ كثير من دينك بالخوف والرعب وتخويف نفسك وتخويف غيرك، بدلًا من أن تحوّلي الموضوع لإيمان ويقين، فمرور الموقف عليك، ستصير كسبانة إيمان.

يعني في حمراء الأسد ما حصل قتال، لكن حصل زيادة إيمان، وزيادة أجور، ومدح لهم، وفتح بعد ذلك.

فنحن مطمئنين لرب العالمين ومتفائلين أنها تمر إن شاء الله ولا تؤذينا، لكن لا تمر وتأخذ معها دينك، بل اجعلها تمر وتسبب زيادة الإيمان.

كيف هذا الأمر؟

في الإعلام العام يقولون لكم إن الناس قد جمعوا لكم، جمعوا لكم الفيروسات وآتية لكم فاخشوها!

فماذا تفعلون؟

المفروض في هذا الموقف {فَزَادَهُمْ إِيمَانًا}، **وقالوا هذا القول:** {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}.

فهذه قاعدة في كل المخاوف، ولذلك نفتخر بالصحابة الكرام؛ هم سلكوا الطريق، ونحن نسأل الله أن يجعلنا سالكين الطريق في كل الصعاب.

{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ}، يعني هذا الضغط الإعلامي: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ}؛ يقولون حرب فيروسية! ويخترعون، حتى لا تقول ربنا على كل شيء قدير، وربنا ابتلى العباد بذلك، وحتى لو كانت حرب فيروسية فمن الذي نشره وابتلى الناس به إلا الله ولو شاء لأسكتهم جميعًا، لكن هم لا يريدون تقولي ربنا {فَاخْشَوْهُمْ}.

فماذا حصل؟

انظروا الفاء الأولى: {فَاخْشَوْهُمْ}، جاء بعدها مباشرة الفاء الثانية: {فَزَادَهُمْ إِيمَانًا}، أكيد أن تخويف أهل الباطل لهم استدعى من نفوسهم الطمأنينة لله؛ يعني زاد الخوف، زاد الخوف، بعد ذلك **قالوا: إلى متى تكون خائف؟!**

خلاص الذي أراده ربنا سيكون، وما يقع عليّ إلا ما كتب الله لي، فاطمأنوا بالله، لم يطمئنوا إلى النجاة، بل اطمأنوا أن ما يقدره الله عليهم خير؛ بذلك زادهم إيمانًا، فاستدعوا الطمأنينة بالله، وفكروا لو قُتلنا في سبيل الله، فهل نخرج خسرا نين؟ لا، لن نخرج خسرا نين، لأن ربنا في الآيات السابقة قال للنبي صلى الله عليه وسلم وقال للمؤمنين: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}(١)

ثم لاحظي في الآيات أنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم، يعني الذين سبقوهم ينتظرون من ورائهم، فهم أحياء، من المؤكد أنهم أحياء، أرواحهم في حواصل طير خُضر تشرب من أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها وتتعلق بقناديل تحت العرش.

(١) سورة آل عمران ١٦٩-١٧٠.

فالذي يأتيني من الخير لا يقارن بما هو في الدنيا، موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما عليها؛ {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا}[1]؛ فما في مقارنة؛ فالخوف يأتي فيستدعي الإنسان لنفسه الإيمان.

يأتي أحد يقول طيب أنا أخاف من الآلام؛ نقول لما يكون الله معك حتى هذه الأمور لما تقع عليك تكون يسيرة سهلة، ولو قُدر لأحد أن يموت في هذا وهو صابر محتسب راضي كأنه يقال إلى الجمة مباشرة، **وفكري في قصة أصحاب البروج كيف ألقوهم في النار.**

هل تتصورين لما سقطوا في النار عاشوا زمنًا طويلًا في النار؟ لا، بل بمجرد سقوطهم للموت، دخلت أرواحهم إلى الجنة، والذي يدخل الجنة يُغمس فيها غمسه واحدة، ويقال له: هل ذقت شقاءً قط؟ يقول: لا، والله، ما ذقت شقاءً قط.

لازم تستدعين لنفسك الطمأنينة، وتقولين ربنا لطيف، وما عند ربنا كذا، وربنا حتى لما يبتلينا يعيننا، ولو طلبناه، ولو قرأنا على نفسنا، وحصل كذا وكذا.. فاستدعي الإيمان فماذا يحصل؟ {فَزَادَهُمْ إِيمَانًا}، وليس هذا فقط، بل: {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}، ويكون في **هذا قوة اعتمادهم على الله.**

{حَسْبُنَا}: كافينا كل ما أهمّنا.

---

[1] سورة الإنسان ٢٠

{الْوَكِيلُ}: هو من وكلّناه أمرنا.

فيكون الحال أنهم غاية في الاعتماد على الله، والله سيدبرنا وسيخرجنا، ونحن خارجين من حولنا وقوتنا إلى حول الله وقوته.

إذًا تستطيعين أن تقولي زيادة الإيمان التي حصلت الأولى جعلتهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل؛ كأن زيادة الإيمان سببت هذا القول.

فمن فعل هذا كيف سيعامله رب العالمين؟

{فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ}[1]

نلاحظ أولا: الفاء أداة عاطفة تدل على سرعة الحدث بين السابق واللاحق.

يعني ما إن زادوا إيمانا، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، إلا في المقابل انقلبوا بنعمة من الله.

فما احتاجوا وقت طويل؛ يعني صلوا العشاء والفجر في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وخرجوا فجرا، عادوا في مغرب اليوم الثاني؛ فما أخذوا في هذا كله (٤٨) ساعة كما في تعبيرنا؛ أي الزمن غاية في القصر.

فذهبوا وأشعلوا النيران ليراهم العدو، وباتوا هذه الليلة فهرب العدو وعادوا، ففي حساب الزمان وقت قصير جدا.

---

(١) سورة آل عمران ١٧٤

دائمًا قللي على نفسك الأيام، وقولي في نفسك الدنيا ما هي إلا يوم أو يومين.

وورد في بعض الآثار أن نوح عليه السلام سُئل بعدما عاش الزمن الطويل هذا، **كيف ترى الحياة؟** قال: كأني دخلت من باب وخرجت من باب؛ فكل العمر الذي عاشه ما يشعر به.

فهذه الساعة ستنقضي سريعا وتكون كل شيء آلام أو أفراح في الدنيا متساوين، كلاهما يمضي سريعا.

لكن أهم شيء: {وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا} فقط؟

- لو قلتِ التي في سورة الكهف ستقولين: {وَخَيْرٌ أَمَلًا}.
- وفي سورة مريم: {وَخَيْرٌ مَرَدًّا}.

✓ يعني خير في الدنيا خيرة أمل، أنت دائما تبقى تتأمل أن يومي سأملئه بكذا؛ ليلة الجمعة الآن الناس يخططوا تخطيطا، وأنت تدعي ربنا باكرا اجعله يومًا مباركًا، وانفعني به، واجعل ساعاته مباركة.

✓ ثم الباقيات الصالحات خير ثوابا وخير مردًّا، لما ترجعين عند ربنا يكون مردها خير، فهذا الذي يبقى.

فحاولوا تتذكرون آية الكهف بعدما قال الله تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ

ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا}[1] **بعدها قال:** {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ}[2] معناها كل شيء سيذهب حتى الجبال الراسيات ستذهب، وسيبقى الباقيات الصالحات؛ يعني سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ لو نحن مثلناها بالباقيات الصالحات، أو صلاتك، أو صيامك، أو عبادتك، أو إحسانك، هذه الباقيات الصالحات.

يعني يوم نسير الجبال بعد ما كانت ثابتة، {وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً}، بعدما كانت مليئة بالمنخفضات والمرتفعات يذهب هذا كله، ويبقى الباقيات الصالحات؛ يعني هذه الباقيات الصالحات أعظم من الجبال الرواسي.

كل شيء ترينه ثابت في الحياة سيذهب، والذي سيبقى فقط الباقيات الصالحات.

فهذه ركعتي الفجر التي تركعينها أعظم من الجبال الرواسي في ثوابها وبقائها.

ولذلك الأيام والليالي، أتت الفاء تقول عن اليومين اللذان مروا لهما، كأنهما ثانية مرت {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ}؛ يعني مباشرة حصل هذا الأمر.

{بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ}: وهذا إشارة إلى أن النعمة الأعظم، مثلما تدخلين في اختبار وتخرجين منه ناجحة؛ **فالنعمة الأكبر ثباتهم، ونجاحهم في هذا الاختبار**؛ ولذلك أصحاب الإيمان، والقيم

---

(١) سورة الكهف ٦٤

(٢) سورة الكهف ٦٥

العليا، يفرحون بالأوقات التي حققوا فيها إيمانهم، وقيمهم العليا أكثر من النتائج.

يعني مثلًا تذهبين للمدرسة وتُختبرين، وتتعرضين أنك ما تعرفين إجابة سؤال وعندك فرصة تغشين، لكن دينك وقيمك وإيمانك يمنعك من هذا، فلما ترجعين البيت فالمفروض إذا أنت صحيحة النفس، تكونين في شعور الفرح أنه انتصرت قيمك على هواك.

فهذه أول النعمة: انقلبوا بنعمة من الله، وهي الثبات والاستقامة والسير على الطريق المستقيم، وموافقة أمر الله وأمر رسوله. **فهذه هي النعمة، التوفيق للطاعة.**

{وَفَضْلٍ}: الفضل هنا السلامة، وسيتبين السلامة فيما يأتي بعدها الآن:

{لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ}: وفي نفس الوقت كانوا في موقف المنتصر، فعادوا سالمين، وعادوا غانمين: السلامة والغنيمة.

غنموا ماذا؟

انتشر بين العرب أن هؤلاء المشركين هربوا؛ فمعنى ذلك انتصر المسلمون، فعادوا سالمين غانمين، وفي هذه الغنيمة لم يمسسهم سوء لم يمسسهم سوء.

لما تعرفين الجراحات التي كانوا فيها تقولين كيف كانوا سيقاتلون؟!

هم لو فكروا بالحالة الحسية المجردة، كانوا قالوا سنكون علة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نكون مساعدين له؛ يعني الأخوان من بني الأشهل، الذي كان أحدهما يحمل الآخر سيرا على الأقدام! طيب لما يدخلون المعركة كيف يقاتلون؟!

لكن خلاص مادام أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم، إذًا في المقابل سنستجيب، فما نحكّم عقلنا، ونقول خلاص خلينا جالسين.

مثل في سورة التوبة: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي}[1] وهو كذاب يريد أن يتعذر عن القتال.

فهؤلاء استجابوا لله وللرسول، {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ} من الإيمان، والنجاح في هذا الاختبار، {وَفَضْلٍ} أنهم عادوا سالمين، غانمين، {لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ}.

{وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ}: وهذا أعظم ما بلغوه؛ أنهم وصلوا بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى رضوان الله.

{وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ}: قد تفضّل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا، وقهرٌ لأعدائهم من المشركين والمنافقين.

{إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ}[2]

إنما: أداة حصر.

---

(١) التوبة ٤٩

(٢) سورة آل عمران ١٧٥

ذلكم: اسم إشارة.

والمعنى: إنما ذلكم المثبط هو الشيطان.

ماذا يفعل؟ {يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ}، والضمير عائد على من؟

✓ **أي: يخوّف من تولّاه.**

✓ **في فهم آخر: {إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ}** يخوفكم بأوليائه، أي أولياء الشيطان.

١- يعني الذي يتولى الشيطان، فالشيطان يتسلط عليه ويخوفه، وبهذا يصلح الكلام في المنافقين، الذين اتخذوا الشيطان وليًّا، والشيطان ما يقصر فيهم، فكلما أتى باب طاعة يخوفهم.

٢- المعنى الثاني: أي الشيطان يخوفكم أنتم يا مؤمنين بأوليائه، يعني بالمشركين.

وكلا المعنيين صحيح؛ وبهذا تعرفين أنه إذا اشتد إيمانك، فالشيطان يبحث لك عن أحد من أوليائه يخوفك به، وهذا ممكن يكون تخويف خاص، أو تخويف عام.

يعني طول الوقت يقولوا لك: إن البلاد ستدخل في أزمة مائية، الماء سيُفقد!

طيب نحن نعرف إذا ماء الأرض فُقدْ، نستسقي رب الأرض والسماء؛ فلماذا يخوفونا؟، ثم يخوفوك الاقتصاد سينهار،

والعالم قادم على أزمة اقتصادية! وتشعرين نفسك أنك جوعانة، ما تجدين تأكلين! شوي ويقولون هؤلاء سيحاربونكم، ويسووا لكم! فلا يتركونك تتكئ على جانب أبدًا ولا ترتاحين.

لازم تكون الطمأنينة تأتي من جهة الثقة بالله، وليست الثقة بالموارد، بل ثقي في رب هذه الموارد، رب السماوات والأرض.

يعني هذه البلاد المباركة كانت في حال من الجوع، وكان أهل جدة قبل (٧٠) عاما، كان الناس ينامون في عشة، وأرجلهم في الخارج.

يصطادون في البحر وينامون في العشش، ثم أبدلهم الله، فهذا مُلك الله، وهذه عطية الله، والله على كل شيء قدير.

من أين أتاهم هذا؟

من فضل الله، وُجد عندهم واحتاجوه الناس، لكن ممكن في يوم الناس ما يحتاجون البترول ولا غيره.

فبهذا تفهمين أن الله يُخرّج لأهل الإيمان كنوز الأرض، الأرض مليئة بالكنوز، لكن يخرجها الله عزّ وجل لمن شاء من عباده، عملية ما تستطيعين تأتين بأولها من آخرها.

ففي النهاية تعرفين أن الله عزّ وجل يُخرج للخلق كنوز الأرض، إن هم أطاعوا، ووحدوا، ثم يصير هذا المكان فقط من دون الأمكنة كلها هو الذي فيه.. متى؟ **لما ينصروا التوحيد**.

لأن ما جرت هذه الأمور، إلا لمّا الملك عبد العزيز رحمه الله قد وحد المملكة على التوحيد، وقيل إن امرأة دخلت عليه، فطلبت

منه أشياء فقضى لها حاجتها، فقالت له: الله يخرج لك كنوز الأرض،

وبعد زمن أخرج الله لنا البترول.

فهذه دولة قامت على التوحيد والعدل، فالله يبقيها على التوحيد والعدل، الله يُخرج لها من الأرض.

وللمعلومة أن البترول عنصر يوجد في جميع الأراضي، وليس كما يقولون لكم من الحيوانات؛ فهي مادة تشبه الذهب، لكن في أراضي تكون مليئة وصالحة للاستخدام، وفي أراضي ما تكون صالحة للاستخدام، ولا قريبة بالدرجة التي يستحق أن يحفروا من أجلها.

فهذا كله يجعلك ما تخافين؛ لأنك في حمى من يملك الأرض والسماوات، ثم أن الله لما دحا الأرض أملأها خيرات وكنوز لن تنتهي.

{فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} فلا تخافوا من أي شيء في المستقبل.

في السابق امرأة كانت تحطب وزوجها يحطب لها، فجاء زوجها ووجدها تبكي، وتقول هذا ولدي مسكين لما يكبر من أين سيجد حطب يحطب به!

هذا مثلما لما نكون خائفين وبعدين يضحكون علينا، فالآن حتى الحطب ما تعرفينه! وهذا موقف حقيقي يحكيه الحفيد عن والده عن والدته.

{إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ}

فالحل الإيماني: {فَلَا تَخَافُوهُمْ}، لازم تقابله بعدم الخوف ولا تطمئن نفسك وتقول سيخترعون لنا، فطمأنة النفس يكون بالثقة بالله وأننا بحفظ الله، وليس بالأدوات.

طيب مشاعر الخوف أين تضعوها؟

{وَخَافُونِ}، خافوا ذنوبكم ومعاصيكم، خافوا أن تخرجوا عن أمر الله.

كل مشكلة الناس يواجهونها فالله يخرجهم منها، لكن أما الله يخسف بالناس وينزل عليهم عقوبة ما أحد يستطيع يعينهم؛ وقد مر معنا أن زلزال هاييتي الذي كان قبل ست سنوات هدم بلاد كاملة في أقل من ثلاثين ثانية؛ لدرجة ارتفعت أسعار الطباعة لأن هاييتي ما صدرت ورق، معنى ذلك أن حركت الناس انشلت في ثلاثين ثانية؛ يعني لما تنزل عقوبة من عند الله ما في منفذ؛ فلا تخافي الشيطان وتخافي أولياءه، بل خافي من الله، خافي من الذنوب والمعاصي، خافي أن يقبض العبد على ذنب.

هذا الذي لابد أن تحسبي له الحساب؛ أننا في قبضة الله وليس في قبضة أولياء الشيطان، لا تجعلي الوساوس تخوفك وتشعرك بالمرض، تكبر فيك الأوهام لدرجة من المخاوف، مجرد ما يسمعون سيارة إسعاف، يوقع في نفسهم الخوف والرهبة؛ هذا يدل على ضعف إيمان، وعلى أن الشيطان أخذك ولية له.

الرجال الكبار صناديد قريش لعب بهم الشيطان، لدرجة لو نزلوا وادي خافوا من سكانه، فأشركوا بالله فصاروا ينادون سيد الوادي ليحميهم! بذلك الخوف إذا ما وقفتيه بالإيمان سيتسلسل معك.

بالإيمان حلّي الوساوس وأهمليها، وبالشجاعة، وعدم الخوف والجبن.

طيب في خوف طبيعي حتى موسى عليه السلام خاف عندما جاءه الرجل من أقصى المدينة وقال له: إن القوم يأتمرون بك، ، فخرج منها خائف يترقب ، لكن قال: يا رب، يا رب، يا رب حتى هداه الله سواء السبيل، وهذا شيء عجيب موسى لم يخرج من بلده أبدا، ولا يعرف أرض مدين، لكن ما ضاع في الطريق، وإنما مشي طريقا واحدا، انظري في الخريطة ولاحظي الفارق بين مصب نهر النيل وبين مدين، لاحظي كم المسافة، وكيف سيمر على منطقة صحراوية ومع ذلك ما تاه، مشي على صراط مستقيم لم يذهب يمين ولا شمال.

في المقابل في قصة العودة، لما أخذ معه أهله من أجل أن يقع قدر الله ضاع، وبعد ذلك قال إنه يرى نارا، وبعد ذلك لعلي آتيكم منها بقبس، أو أجد على النار هدى، يعني **لما** استهدى الله في القصة الأولى هُدي مباشرة إلى الطريق؛ فهذه آية عظيمة.

فأنت من هنا لبيتك، بالكاد ترين الأشياء حتى لا تضيعين عن بيتك؛ **فهو توكل على الله، وتمسك بحبل الله، وبقي يقول يا رب، يا رب.**

{فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}

هذه الآية بينت أن الخوف من الله، وعدم الخوف من غيره شرط الإيمان.

انتهى اللقاء بحمد الله

اللقاء التاسع عشر(١٧ رجب ١٤٤١ هـ)

الآيات (١٧٦-١٨٢)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، بسم الله توكلنا على الله

نبدأ إن شاء الله اليوم في ختام سورة آل عمران، يعني الدرس **الرابع والأخير من دروس غزوة أُحُد**، ثم بعد ذلك تأتينا خاتمة السورة.

كان اللقاء الماضي الكلام عن حمراء الأسد، وانتهينا منها الحمد لله.

الدرس الرابع: التحريض على بذل المال

واليوم إن شاء الله نبدأ من آية (١٧٦) قوله تعالى:

{وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِۚ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًاۗ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٧٨)

مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ}[١]

الآن هذا هو الدرس الرابع: يدور حول ماذا؟

بعد التحريض على بذل النفس، أتى التحريض على بذل المال.

وسنرى كيف حصلت الصلة والانتقال.

انظروا للآيات السابقة:

{الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ}[٢]

هذا وصف للصحابة.

وبعدها أتى: {وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ}

يعني لما مدح سبحانه وتعالى المسارعين في طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم (الصحابة في حمراء الأسد)، وختم ذلك بالنهي عن الخوف من أولياء الشيطان {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}، أعقبه بذمّ المسارعين في الكفر، والنهي عن الحزن من أجلهم.

يعني لا تحزن من أجل المسارعين في الكفر، بمعنى أن كفرهم عائد عليهم، ولن يضروا الله شيئا، وقد عوضك الله بأوليائك.

---

(١) سورة آل عمران ١٧٦ - ١٧٩

(٢) سورة آل عمران ١٧٢

مثل لما يكون عندنا فصل من الطالبات، وربنا يرزقنا نبيهات وفهيمات، ومركزات، ويبتلينا بناس فاصلين وما هم مركزين، فنقول خلاص لن نعاتب الغير مركزين، لأن ربنا عوضنا بالمركزين.

فالأصل ألا يُعاتَب الطالب السارح المارح؛ لأنه لن يضر المعلم شيئا، ولن يضر العلم شيئاً، وإنما سيضر نفسه، فأنت لا تتعب نفسك، ولا تلومه.

هذا إذا كان الناس أصلا يفكرون صح في التعليم والعلم؛ لأن مادام لم ينشرح صدره للعلم فما يقدر أحد يعمل شيء.

الآن فكروا لما الله عزّ وجل من رحمته بخلقه أنه لم يجمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضُرين، ولا جمع على من بعده ضرين، بل رزقه صلى الله عليه وسلم بأصحاب حملوه، وكفوه المئونة، وفعلوا، وفعلوا. وابتُلي من جهة أخرى بأعداء.

الأصحاب هؤلاء قد قيل عنهم من أول السياقات في الدرس الثاني من دروس غزوة أحد:

{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}[١]

---

(١) سورة آل عمران ١٥٩

فالله عز وجل برحمته منّ على هؤلاء بالرسول صلى الله عليه وسلم وبلينه؛ فأصبح هو صلى الله عليه وسلم نعمة عليهم، وهم نعمة عليه صلى الله عليه وسلم.

بقي الكافرين، فقد نُهي الرسول عن ماذا؟ عن الحزن

{وَلَا يَحْزُنْكَ} الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم؛ يعني لا تهتم ولا تبالي.

{الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ}، هؤلاء ليس فقط كفروا، وإنما يسارعون في الكفر؛ فلا تهتم بما يلوح منهم من كيد للإسلام، ومضرة لأهله.

{إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا}

المقصود لن يضروا أولياء الله بشيء؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ما يخاف على نفسه، وإنما يخاف على أصحابه أولياء الله؛ يخاف أن يأخذوهم الكفار لأنهم يسارعون في الكفر، وهذا أحد أوصاف المنافقين أنهم آمنوا، ثم كفروا، ثم آمنوا، ثم كفروا؛ فهؤلاء يصلح فيهم أنهم يسارعون للكفر، يعني يكونوا مؤمنون بعد ذلك يخرجون من الإيمان ويسارعون في الكفر، فلن يضروا أولياء الله؛ فهذا نفي أن يعطل هؤلاء شيء من دين الله.

فالجملة {إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا} تعليل لـ {وَلَا يَحْزُنْكَ} لنفي الحزن.

{يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ} هذا جزاء لهم؛ ألا يكون لهم حظًّا في الآخرة.

هم لن يضروا الله شيئا، **وماذا سيفعل الله لهم؟**

هم يظنون أنهم يضرون الله، وما يدرون أنهم يضرون أنفسهم.

ما وجه الضرر؟

أن الله لا يجعل لهم حظًّا في الآخرة؛ إذًا مِن هنا سيأتيهم الضرر.

يعني كأنها بالمقابلة يعني لن يضروا الله شيئا، بل الله تعالى يضرهم لأنه سبحانه يملك النفع والضر؛ فيضرهم بألا يجعل لهم حظًّا في الآخرة؛ يعني مالهم نصيب في الجنة، وأيضًا لهم عذاب عظيم.

نصيبهم من الآخرة انتفى، واستُبدل بالعذاب العظيم.

وهذا مثل الحديث الذي فيه أن الرجل الذي يدخل قبره ويُسأل فلا يفلح في السؤال فيقال له: هذه منزلتك من الجنة أُبدلت بمنزلة في النار.

وهذا أيضا معنى الآية في سورة المؤمنون {أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ}[1]؛ يعني ورثوا أماكن الكافرين التي ما أعطاهم الله حظًّا في الأخرة، {يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ} **حظهم في الآخرة من**

(١) سورة المؤمنون ١٠

النعيم الذي كان لهم وهي من أماكنهم في الجنة احتلها ويكون فيها المؤمنون، وهم بُدلوا بأماكن في النار، ولهذا ختمت بـ{**وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**}.

{**إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا**}[1] ؛ يعني استبدلوا لأن الشراء في أصله الاستبدال؛ **اشتروا ماذا بماذا؟**

{**الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ**}؛ فالباء معناها حصلت المعاوضة؛ يعني باعوا الإيمان، واستبدلوه بالكفر.

{**لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا**}، وفي الآية السابقة: {**إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا**}[2].

ما الفرق بين الآيتين؟

ممكن تقولي إجمالًا تأكيد، أعيدت الجملة تأكيدًا.

لكن هي فيها سر، **فهل هما فئتان مختلفتان؟**

بعض المفسرين قال بسبب اختلاف الصلة:

- **الآية الأولى**: {**وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ**}؛ المقصودين الذين سارعوا في الكفر.

-**الآية الثانية**: {**إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ**}

فهما فئتان مختلفتان.

---

(١) سورة آل عمران ١٧٧

(٢) سورة آل عمران ١٧٦

✓ {الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} ممكن يكونوا المنافقين، واليهود.

✓ {الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ} ممكن يكونوا الذين ارتدوا وأظهروا الكفر بعد الإيمان.

أحد الأقوال: في الفرق بين الآيتين أن يكون اختلاف الصلتين، إيماء وإشارة إلى فريقين:

- **الفريق الأول** الذين يسارعون في الكفر وهما المنافقين واليهود.
- **والفريق الثاني:** هم المرتدين.

معنى آخر:

أن الآية الثانية: زيادة إيضاح للآية الأولى فستكون تأكيد؛ بمعنى كأنه بيان الذين يسارعون في الكفر هم الذين اشتروا الكفر بالإيمان؛ زيادة بيان في وصفهم، يسارعون في الكفر ويبيعون الإيمان.

{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا}[1]

هذا فيه نفي لأي شيء؟

أي آية فيها لا تحسب، لا يحسبون؛ ما الذي يُنفى؟

---

[1] سورة آل عمران ١٧٨

تحسب معناها: تظن.

وتذكروا المثل المضروب في سورة النور في أعمال الكافرين: {يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً}[١] يعني يظنه ظنا أخذ على أساسه قرار؛ **فالحسبان هي الظنون الدافعة للإنسان إلى العمل.**

فبهذا المعنى فكروا في الآية:

الله ينهاهم أن يحسبوا هذه الحسابات، لأنهم لو حسبوا بهذه الطريقة، يأخذوا قرارات بسبب هذا الحسبان.

يعني هي من الحسابات، فالإنسان كيف يحسب حساباته يعني كيف يخطط؟ على حسب المعلومات.

يعني الآن في الابتلاء الذي نحن فيه؛ فالناس الذين حسبوا تعطيل الدراسة إجازة، ولازم يصيّفون أو يقضون أوقات فيها!

فبناءً على هذا الحسبان لن يكون فيه استغفار، ولا عودة لرب العالمين، ولا خوف من الذنوب كما ينبغي؛ لأنهم حاسبين المسألة على أنها مجرد فترة أخذوا فيها إجازة من المدارس وارتاحوا فيها وفقط!

فالحسبان هو دائمًا الحسابات الذي بناءً عليها الإنسان يخطط ويتخذ قرارًا.

ففي آية النور: حسب أن السراب ماء، فتقدم حتى إذا جاءه فلم يجده شيئًا.

---

(١) سورة النور ٣٩

في الآية هنا:

من الذين يحسبون؟

{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار

يحسبون ماذا؟

{أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ} الإملاء بتطويل أعمارهم، وتكثير أموالهم، وتقدم أحوالهم الدنيوية، فأنت الآن ترى أهل الكفر كل شيء عندهم متقدم.

فينهاهم الله أن يحسبوه ماذا؟

{خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ} لكن الحقيقة: **{إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا}** يعني **مفهوم الاستدراج**، يعني الكفار لو حسبوا لأنفسهم أن هذه العطايا خير لأنفسهم، وطلبوا منها المزيد، وهذا الذي حصل عندهم.

{إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا} أي التعليل الحقيقي لانفتاح الدنيا، وتمكنهم من الأعمال، لأجل زيادة أسباب العذاب بزيادة تمكنهم من الإثم.

يعني مثلا العام الماضي في المعارك الاقتصادية التي كانت قائمة خرج تصريح من وزير الاقتصاد الصيني لأنهم كانوا في تحدي مع الدول الغربية، فخرج تصريح أن تطور اقتصاد الصين لن يوقفه أحد! عندهم مشاعر التمكن من كل شيء، فلما يأتون يبطشون بالضعفاء يبطشون بطشا آمنين فيه من العقوبة، يعني من السنة

الماضية الذي صدر فيها هذا التصريح إلى هذه السنة كانوا هجّروا عدد كبير من المسلمين وفعلوا بهم وفعلوا بهم! وعندهم شعور أننا آمنين؛ لأن اقتصادهم قوي، وما فيه أحد سيأتي يبحث عن المسلمين! بل كانوا شاعرين أن العالم ما يقدر يستغنى عنهم، وأنهم ستنفتح لهم الأسواق في كل مكان، فكانوا يزدادون إثما؛ زيادة الإثم هذا ليزداد العذاب.

ولذلك ختمت الآية {وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}، **هذه الخاتمة لها دلالة**؛ لما تضمّن الإملاء التمتع بطيبات الدنيا وزينتها، وذلك مما يستدعي التعزز والتجبر؛ يعني يصبح وصفهم أنهم يرتفعون على الناس، وصف عذابهم بالإهانة ليكون جزاءهم جزاءً وفاقًا.

معنى هذا أنه إذا حسبت المسألة بهذا الحسبان وهو أن كل عطاء من الله هو خير، فتكون النتيجة أن ممكن تكون مستدرجًا وأنت لا تشعر.

طيب كيف أميزبين أن هذه العطية خير، أو عطية استدراج؟

على حسب حال الإنسان، إذا كان في **حال استقامة حقيقية وصادقة**، والإنسان باذل جهده فيها والذي يشغله هو رضا رب العالمين كانت عناية الله ورعايته ظاهرة بمنعه من الشر، وتقريبه للخير؛ يعني هذا الآن لو صاحب يصاحب ناس طيبين، لو اشترى

لا يشتري شيئا يشغله عن رب العالمين، كل قراراته تقربه من رب العالمين.

أما لو كان **غير مستقيم في نفسه، أو مستقيم استقامة ظاهرة،** بمعنى ذاهب راجع على مدارس التحفيظ ومجالس العلم، لكن مِن الداخل الله أعلم به؛ فلو كان كذلك فإنّ مكر الله يقع عليه؛ فإذا صاحب يصاحب أهل الشر، وإذا ابتاع يبتاع ما يجلب له الشر ويشغله عن الخير.

لذلك لازم تفكر أنت من في هذا الموقف؟

هل الذي أعطاك الله إياه هو دليل على رضا الله عزّ وجل، ولا هذا من مكر الله بك؛ هذا بناء على حالك.

ومن المؤكد أن معاملة الكافر ما تكون، مثل معاملة المسلم العاصي أكيد، لكن خلاص أنت مكرت بنفسك، الله يمكر بك.

إذًا آية (١٧٨) في الأصل في الكافرين، لكن هذا الاستدراج ممكن يكون للمؤمنين.

الآن ننتقل انتقالة جديدة:

{مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي

مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۚ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ}[1]

هذه الآية إشارة **لبعض مصالح غزوة أحد.**

يعني هذه الغزوة العظيمة فيها غايات محمودة، وإن كان شكلها هزيمة.

ما الغاية المحمودة الظاهرة في الآية؟

تمييز الخبيث من الطيب.

- ✓ الخبيث إشارة للمنافقين.
- ✓ والطيب إشارة للمؤمنين.

إذًا هذه أحد أهم مصالح الهزيمة؛ لأن المسلمون في بدر لما طار صيتهم، وصار لهم مكانة، دخل في الإسلام من لهم مصالح.

وأُحُد حصلت فيها الهزيمة، فخرج رؤوس المنافقين فعُرف من اتّبع الدين من أجل الدنيا.

{مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ} ليترك {الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ} وهو الالتباس بالمنافقين {حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} حتى يميز المنافق من المؤمن.

وهل يمكن أن يحصل تمييز بين الخبيث والطيب بدون ابتلاء؟

---

(١) سورة آل عمران ١٧٩

سُنة الله أن التمييز لابد أن يكون فيه ابتلاء، **التمييز لا يكون إلا بالابتلاء، لأن هذه سنة الله.**

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} فتميزون الخبيث من الطيب؛ **يعني أنت ما تميز الخبيث من الطيب إلا بأحد الطريقتين:**

- **إما يُكشف** عما في قلوب الخلق؛ يعني يُكشف لك الغيب، فتعرف هذا خبيث وهذا طيب.
- **أو يأتي ابتلاء** فيُخرج الله ما في قلوبهم.

هل الله عز وجل يمكّن الإنسان من أن يكشف عن قلوب الخلق؟

الجواب: لا.

هذا من الأمور حتمًا ما جعلها الله لأحد، ولهذا لازم نحمد ربنا أنه ما جعل لأحد أن يكشف ما في قلبك.

طيب ماذا بقي؟

بقي أن يُخرج **الله أضغانهم، وما في نفوسهم بالابتلاء.**

ولذلك كان السلف يقولون: لا تكرهوا الفتنة، فإنها فاضحة للمنافقين.

{وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ} وهذه الجملة متعلقة بمسألة الغيب؛ **يعني الرسل هم الذين يطلعون على شيء من الغيب عن طريق الوحي.**

أنتم كيف تعرفون؟ بالابتلاءات

الرسل كيف يعرفون؟ بالوحي

ولذلك في حديث حذيفة رضي الله عنه -أمين سر النبي صلى الله عليه وسلم - مع عمر رضي الله عنه، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا منافق، وهذا منافق، وهذا منافق عليم النفاق، والمؤمنون كانوا يقولون ما يتأخر عن صلاة الجماعة إلا منافق عليم النفاق..

هم كيف عرفوا أنه منافق عليم منافق؟

بتصرفاته، بمعنى تأخره عن صلاة الجماعة، وتلكؤه في الأحكام الشرعية، إشارة أن هذا منافق.

{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} هذا الذي أنت مأمور **لتكون من الطيبين**.

{وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا} الإيمان للاعتقادات، والتقوى للأعمال

{فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ} في مقابل أن الذين يسارعون في الكفر لهم عذاب عظيم.

هذه الآية فيها معنى جميل جدا لازم تتأملونه دائمًا، **وهو أن الله جعل المؤمن هو الطيب، وجعل المنافق هو الخبيث**؛ لذلك النبي صلى الله عليه وسلم نهانا أن نقول: خبثت نفسي

«لا يَقُولَنَّ أحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي»[1]

لأن الإنسان يقول كأنه في شر، فخبثت يعني ثقلت عليّ؛ فنُهينا: لأن المؤمن طيب، في المقابل أهل النفاق خبثاء.

نرجع نؤكد العلاقة بين هذه الآية وما قبلها:

(١٧٦)، (١٧٧)، (١٧٨) كل هذه الآيات كلام عمن يسارع في الكفر، عمن يشتري الكفر بالإيمان هؤلاء غير ظاهرين؛ إذًا لما يكونوا موجودين كيف أميّزهم لأعرف كيف أتعامل؟

قال تعالى:

{مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}

فمعنى ذلك أتت أُحد لتكشف هؤلاء الذين يسارعون في الكفر، والذين اشتروا الكفر بالإيمان، الكفار الذين تتوالى عليهم النعم، جاءت أُحُد لبيان حال هؤلاء.

---

(١) الراوي: سهل بن حنيف | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٦١٨٠ |

{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}[١]

{وَلَا يَحْسَبَنَّ} مرة أخرى.

آية (١٧٨): {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا}

آية (١٨٠): {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ} سيتبين لنا فيما بعد من هم الذين يبخلون، هل هم نفسهم الذين كفروا، الذين اشتروا الكفر بالإيمان، الذين سارعوا بالكفر، أم يمكن أن يكون معهم أحد آخر.

{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}، وهذا أعظم الإعابة عليهم أنهم يبخلون بما آتاهم الله من فضله، وما هو مُلكهم.

مثلا فيكون عندنا أمين صندوق، والمفروض يصرف للناس رواتبهم، وما هي حقه الأموال، بل هو عبارة عن موظف ويُحاسَب على كل ريال عنده، لكن لما يقول لهم: لا خلاص خلوها غدًا أو بعده، أو يبذل جهوده ليخصِم منهم، فيقال له: ما أسوأ حالك! فهذا ما هو مالك، وفي نفس الوقت تبخل به، فنلومه لأنه ما هو حقه، ولا مستفيد منه.

---

(١) سورة آل عمران ١٨٠

فكذلك النفس الإنسانية لا تملك، وتبخل بما تملك، وبما لا تملك.

فلو أحد جاء قال لك سآخذ ذهبي، و أبيعه في سبيل الله، ماذا تقولين؟! بشيء ما هو مُلكك.

تخيلوا الإنسان، ما يبخل بالذي عنده، بل بما عند غيره {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ}[1]

فأول لوم جاء أنهم {يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}.

{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ} أن البخل خير لهم، فلا تحسب هذه الحسبة، **وإنما الحقيقة:** {بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ}، **كيف هو شر لهم؟**

{سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} هذا في المستقبل سيظهر هذا الشر، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة هذا في اللآخرة، **أما في الدنيا:** {وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}؛ يعني في الدنيا هو سيموت ويتركه كله، وفي الآخرة سيطوق به ويُحاسَب عليه كله.

وفي قول قوي: أنه لو تركه لورثة فاسدين فأفسدوا به، فسيُعاقَب هو عليه.

إذًا هذا الحسبان باطل، لا تحسب هذه الحسبة بهذه الطريقة.

طيب ممكن تقولين **أنا ما عندي شيء أبخل به!**

نقول لك: **هذا في كل شأن، وليس فقط في المال والذهب.**

([1]) سورة النساء ٣٧

ولهذا نقول: كل الأحكام التي تجري على صدقة المال تجري على غيرها.

مثلا في سورة البقرة في آداب للتصدق منها عدم المنّ، وعموما تعطى للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم هذا بالنسبة للمال، واحسبيها لأي عطاء آخر، نفترض عطاء العلم، فخذي نفس الآداب الذي في المال، وضعيها على العلم، فتكون النتيجة أن في ناس مستحقين لهذا العلم لازم تعطيهم.

هناك الفقراء المساكين، العاملين عليها، المؤلفة قلوبهم، هنا المقبلين، المؤدبين، الذين يبغون العلم، والمحتاجين له؛ نعطيهم كل على حسب حاجته.

المال ما تمنّ به لما تعطيه، والعلم ما تمنّ به لما تعطيه.

المال لازم تكون مخلصا وقت أداء الصدقة. والعلم لازم تكون مخلصًا وقت أداء التعليم وهكذا.

كل الأحكام التي تجري على المال كصدقة تجري على ما هو مثله من أنواع الصدقات الأخرى.

ولهذا يسهل عليكِ أن تفهمي الأمثال المضروبة في سورة البقرة، وأن حبة تصل إلى سبعمائة.

هذه مثل أن تدرّسي سورة الفاتحة لطفل، ثم تأخذي على تدريسك لهذه السورة سبعمائة ضعف، والله يزيد لمن يشاء، فهي نفس المعنى.

فلو أخذنا مثال العلم؛ **هل في ناس يبخلون بالعلم على أهله؟**

نعم في ناس يبخلون بالعلم على أهله.

فماذا سيحصل لهم في الآخرة؟

سيطوقون به.

وفي الدنيا؟

يموتون ويأتي من هو أفضل منهم، والله يورثه العلم، ولا يحتاج المسلمون لهذا الذي بخل.

هذا التفكير يجعل المسألة عليكم أوسع وأسهل

فالآن ما الذي تحت يدك؟ ماذا آتاك الله من فضله؟ وهل تبخل به؟

{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} فختام الآية واضح علاقته بالآية: خبير بما تعملون من المنع والإعطاء، والبخل والكرم، وسيترتب على ذلك الجزاء؛ فهذه الآية ختامها كأنه فيها إظهار لشديد غضب الله على من يفعل هذا الفعل.

لأن اجتمعت فيها ثلاثة أمور:

١- {سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}

٢- {وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}؛

٣- {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}

{لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}[1]

{لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ} وهنا نثبت صفة السمع لله، هذا فعل لله.

{قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ} لعنة الله عليهم وهم من اليهود.

لماذا قالوا هذا القول؟

قالوه لما سمعوا الله يقول: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ}[2]

فلما سمعوا القرض اعتقدوا الفقر، وهذا المسألة خطيرة في نفوسهم أنهم أصلا ليسوا معظمين لله عزّ وجل، فإذا سمعوا الكلام الحسن ما حملوه على المعنى الحسن.

يعني **أنت ماذا تعتقدين في قوله** {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}؟

هذا دليل على كرم الله؛ فالملك العظيم يقول لهم ذلك، وهو في غاية الغنى عنهم.

وبهذا تفهمون من الذين يخرّجون الشُّبه من الآيات القرآنية؟ الذين ما هم معظمين لرب العالمين، الذين يفقدون التعظيم، والأصل أن كل الشبهات التي يعاني منها العالم الإسلامي ما جرت إلا

---

(١) سورة آل عمران ١٨١

(١) سورة البقرة ٢٤٥

على يد اليهود الذين هم يسمونهم المستشرقين، وهذا باب عظيم لازم يكون لكم اطلاع فيه؛ يعني أي أحد يريد أن يعرف من أين **أتت هذه الشبه عليه أن يعرف من هم المستشرقين**، وكيف المستشرقين درسوا الإسلام، وكيف تعلموه، وكيف حفظوا القرآن وكيف تعلموا اللغة العربية، وكيف درسوا الحديث، وبعد ذلك ألقوا الشبّه.

فالمدرسة هذه هي المدرسة المدنية لليهود الذين كانوا في المدينة، عرفوا العربية، عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم، عرفوا علاماته، ثم أصبحوا يسمعون القرآن ويلقوا عليه الشبه، في كل آية أتوا فيها بشبهة لا تمري عليها وما تعرفين **ما هي عقيدتك الصحيحة فيها**: مرة أخرى ماذا **تعتقدين في قوله** {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}؟

فالله بغناه يستقرض الخلق رحمةً منه، لطفا، كرما، تفضلا،

اليهود لأن نفوسهم خبيثة، {قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ}، طبعًا مع خبث النفس في غباء، فلا تتصوروا أنهم أغبياء وما فهموا المسألة، هم خبيثون واستفادوا من المسألة، فهم أغبياء لأنك أمام **هذه الآية ستقولين: الله غني والآيات الدالة على غناه واضحة.**

فغباؤهم هذا يمر على ضعفاء الإيمان، والمنافقون؛ فاسألي الله يقوي ايمانك.

موطن الدعاء في الصلاة قبل السلام موطن عظيم، لابد للإنسان ينشغل فيه بالمهمات؛ التي من أهمها **دعاء يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**، فلا تعيشوا وأنتم مطمئنين للإيمان، فما أنتم كنتم مطمئنين لمدارسكم، واجتماعاتكم، وأنكم تفعلوا ما تريدون، وكانوا في الأول يكتبون الدوام من يوم واحد حتى ليلة القدر، وما نخلص إلا كذا وكذا، ثم صار الأمر الذي ما كان على البال ولا الخاطر.

فأي شيء أنت مطمئن له، فاعتبري من الفترة التي نحن فيها، تنظيم وأمور مرتبة وتغيرت كلها في لحظات.

فكيف بالإيمان الذي في القلب وممكن أي عاصفة تأتي وتذهب به! لازم الله يرى منكم حرصًا على إيمانكم، وأن هذا هو الشيء المهم؛ لا الدراسة، ولا العلم، ولا الجري وراء الأمور حتى المتصلة بالعلم الشرعي مقصودة لذاتها، بل هي وسائل.

المقصود لذاته تعظيم الله، وإظهار أننا نخاف على ديننا؛ لأن طلب العلم ما هو إلا تغذية للإيمان حتى يحفظ ربنا إيماننا به.

فلو أنت تتعلم وما أنت حريص على إيمانك، فما له قيمة هذا العلم، لازم تُظهرون لله من أنفسكم خيرًا.

{لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ}

وبكلامهم هذا فقد طعنوا على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم،

{سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا} **أي قولتهم الشنيعة**، مباشرة تفهمين أن هذا من باب **التهديد المترتب عليه الجزاء.**

{وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ} وهذا ليس أول الأمر، لها سوابق من بين هذه السوابق الخطيرة قتلهم الأنبياء.

{بِغَيْرِ حَقٍّ} وهذه **صفة كاشفة**: بمعنى أنه لا يمكن يكون فيه قتل الأنبياء بحق، فالصفة الكاشفة تكشف حقيقة القتل وليست قيدًا، فقتلهم الأنبياء كان بغير حق؛ فبغير حق صفة تكشف القتل.

وكيف يُجازَوا؟

{وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} لأنهم يستحقون الحرق.

فهم تعدوا على الذات الإلهية بسبب عدم إيمانهم، وتعدوا على رسل الله.

ومن أجل ذلك قال الله عز وجل:

{ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}[1]

{ذَٰلِكَ} اسم الإشارة عائد على عذاب الحريق.

{بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ} بسبب ما اقترفتموه من قتل الأنبياء، والتعدي على الله.

{وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} وهذه مسألة من أعظم المسائل التي لازم ترسخ في قلوبكم.

---

(1) سورة آل عمران ١٨٢

فمثلا في قصة موسى عليه السلام مع الخضر في سورة الكهف، وفي القصة أحداث ما استطاع موسى عليه السلام بنفسه أن يفسرها، وكلها كانت خير ورحمة ووضع للأمور في موضعها، حكمة، فهذا الذي يجب أن تظنه في رب العالمين دائمًا، فما ظلم الله أحدًا أبدًا.

والذي ما تعرف تفسره من الأحداث، فلا تضع الأحداث حكمًا، **ولكن ضع القاعدة هي الحكم** {وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} وإن شاء الله ما نموت ولا نلقى ربنا إلا وهذا الأمر واضح في قلوبنا مثل الشمس لأن عكسه ظن السوء {وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ}[١].

فظن السوء يردي الإنسان، فالذي شكّ ووصل للإلحاد -الله يحفظنا جميعًا وشباب وبنات المسلمين- ما أكله الشك إلا من منطلق هذه الصفة لما لم ينفيها عن الله كما ينبغي.

لازم تعتقد أن الله ليس بظلام للعبيد، ولا تدخل في أي تفاصيل، ولا تدخل الأمور على بعضها، {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ}، فأنت لا تعرف النفوس ولا ما بها، ولا ما كتب الله للناس من أمور، **فكيف تحكم على الأشياء أنها ظلم؟!** وانظروا لقصة الخضر مع موسى عليه السلام، فلا يمكن أن يخلو فعل الله

---

(١) سورة فصلت ٢٣

من حكم متتالية، وما يعرفها الإنسان إلا لما ينضج ويكبر، وربما لا يعرفها أبدًا يموت ولا يعرفها.

فأول ما تهجم عليك فكرة لماذا هؤلاء يحصل لهم كذا؟، ولماذا هؤلاء يموتوا؟، ولماذا يحصل كذا؟ **فمباشرة قل لنفسك أن الله ليس بظلام للعبيد، وأن الله حكيم عليم أفعاله كلها حكمة، ومباشرة تعوذ من الشيطان، و اترك هذا التفكير**، عندها الله يسكّن الله فؤادك، ولا تسترسل مع هذه الأفكار لأنها تأكل الإيمان حتى يُفقد الإيمان والعياذ بالله.

فهذه من القواعد المهمة التي تخالف بيننا وبين اليهود لعائن الله عليهم.

اليهود هم الذين نشروا في العالم كل الأفكار التي تجعل الإنسان يعتقد أن الله ظلم الخلق، لعنة الله عليهم.

فالله يؤمننا في أوطاننا، ويؤمنا في دورنا، ويحفظ علينا صحتنا نحن والمسلمين، ويحفظ علينا وعلى المسلمين ما أنعم علينا، ويحفظنا من الابتلاءات، ويحفظ هذه الدولة المباركة، ويزيدها ويبارك فيها ويرفعها، كم حفظت أرواح مواطنيها وساكنيها بهذه الإجراءات الاحترازية، وألا يحرمنا الله الاجتماع بهذا السبب أو غيره، ومن أجل ألا نُحرم من الاجتماع لازم نراجع شكرنا لنعمة لله، وتعاملنا مع نعمة الله، ولازم نراجع عقيدتنا في الله، فما ندري أي سهم أقرب، سهم الحياة، أم سهم الموت؛ لابد أن نكثر من

الاستغفار، ولا ننظر للمسائل ببرود، وكل الذي يهمكم عدد المصابين ،والإحصائيات؛ فغدًا يحصونا ممن يحصوهم، ولا أحد يدوّر عليك؛ توبوا، واستغفروا ،واعملوا لحسن الخاتمة.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعل دور القرآن عامرةً بطلابها، وأن يجعل كل أماكن القرآن ذاكرة تالية حافظة، ويجعل القائمين عليها، والمعمّرين لها من أهل جنات النعيم.

نستغفر الله، نستغفر الله، نستغفر الله ونتوب إليه، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

انتهى بحمد الله

اللقاء العشرون (٢٤ رجب ١٤٤١ هـ)

الآيات (١٨٣-١٨٧)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، بسم الله توكلنا على الله.

نبدأ اليوم إن شاء الله في إكمال ما تيسر من أواخر آل عمران.

وقد مرّ معنا مقولة اليهود -لعنهم الله- القائلين في حق ربنا العظيم: إنّ الله فقير ونحن أغنياء.

والسبب في هذه المقولة أنهم سمعوا عن الله عز وجل أنه ينادي عباده منادة الكريم الذي يريد إكرامهم، فقال: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}، فجعلوا هذه الآية دالة على صفة نقص في الله، تعالى الله عما يقولون.

عرفنا كيف ردّ الله عليهم؛ رد بالتهديد {سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا}، وأيضًا هذا ليس أول قبحهم {وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ}، ومقابل هذا سيذوقون عذاب الحريق.

وهذا ليس ظلمًا منه سبحانه إنما {ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ}، وهذه العقيدة قد مر معنا الاهتمام بها والتأكيد عليها، وبيان أن المؤمن عليه أن يكون متيقنًا أن كل ما يعاقب الله به خلقه ليس ظلمًا، إنما بما قدمت أيديهم.

وهذا المعنى مناسب جدا لما نمر به من حالة نقص في كل شيء، ليس في شأن الدنيا ولا في شأن الأبدان، إنما يحصل لنا نقص في شأن الأديان، حتى النقص في شأن الأديان بما قدمت أيدينا، والذي يشغلنا حقًّا هو ما يحصل من نقص الأديان.

فمن المؤكد أن يكون العبد قد أساء ولم يحسن تجاه دينه، وتجاه ربه، وتجاه ما أُمر به، فتكون النتيجة أن يحصل له نقصًا في دينه؛ يعني ما كان متيسرًا له في دينه أن يقوم به يضيق عليه ولا يستطيعه.

وما كان في الزمن الماضي يظن أنه في متناول يده، يتحول فيصبح صعب عليه، **هذا ظلم؟**

لا، بل بما قدمت يداك.

ولذا في مثل هذه الحالة التي نعاني فيها من حبس عن شيء، ما كان يمر على الخاطر أبدًا، الناس كانوا هُم من يكسلون عن صلاة الجماعة، وهم الذين يتكاسلون للنزول لصلاة الجُمع، الآن يقال لهم صلّوا في بيوتكم، **وهذا لابد أن يُنظر له على أنه نوع عقوبة من رب العالمين**.

ستقولين إن الناس هُم من قرروا هذا علينا!

نقول لا؛ من جهة كونه قرارًا فهذا قرار اضطروا له من أجل أن يحفظوا الأبدان، وأنت جئت في موقف أصبح هناك معركة بين حفظ الأبدان وحفظ الأديان، وما وصلت لهذا الحال إلا عقوبة،

وإلا من عفو الله عن خلقه أن ييسر لهم طرق الخير والقربى إليه سبحانه وتعالى، الآن أصبحت عسيرة، هذا دليل أن الله عزّ وجل يعاقب الخلق.

ولذا نحن في نفس هذا السياق نرجع نرى المغترّين، ونرى الذين يظنون أن الله يرضى عليهم بسبب إعطائهم للدنيا في آية (١٧٨):

{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ}

يعني إنما نملي لهم خيراً في شأن الدنيا؛ يعني كون أن الله وسّع عليهم شأن الدنيا، وضيّق عليهم شأن الآخرة إنما ليزدادوا إثماً.

ومر معنا في سورة المؤمنون في شرح كتاب التوحيد قريبا، أن الله قد أخبر عن قوم يسارع لهم في الخيرات، وهم يحسبون أنما نمد هم به من مال وبنون، يحسبون هذا المد من المال والبنون إشارة لرضا الله؛ فيبين الله أنه يسارع لهم في الخيرات ليزدادوا إثما، بل لا يشعرون.

وفي نفس السياق بيّن سبحانه وتعالى صفات المؤمنين أنهم يسارعون في الخيرات، يعني ربنا يفتح لهم أبواب الخيرات وهم يسارعون فيها.

فإذا وجدت أبواب الخيرات تُغلق عليك، فهذا معناه أن الله ليس راض وهذا إشارة إلى سخطه.

ما الذي سبّب سخطه؟

ارجعي للتاريخ القريب ابتداءً من الفسق والفجور، وانتهاءً بالإلحاد.

وكل هذا الذي يطوف حولنا، وماذا كان الناس ينتظرون بعدما تُشاع الفاحشة، ويُشاع اللواط ويصبح مقبول وحق ويدافعون عنه!! **فماذا كانوا ينتظرون من رب العالمين**؟!

الشاهد: أن مثل هذه الأحوال ما فيها ظلم، وإنما فيها تذكير وتنبيه ينزل على المؤمنين، تفسيره أن الله ليس راض.

والحل كثرة الاستغفار؛ فاستغفري عن نفسك، وعن أهل بيتك، وعن المسلمين والمسلمات.

لازم نستغفر عن نفسنا، وعن غيرنا، لعل الله يرى منا إصلاحا، فنكون القرية التي فيها صالحين مصلحين، فينزّل رحماته سبحانه وتعالى علينا.

الآن نبدأ بالمقرر الجديد:

{الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِۖ فَمَنْ

زُحْزِحَ عَنِ النَّارِوَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗوَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ(١٨٥) لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}[1]

نبدأ بقوله تعالى:

{الَّذِينَ قَالُوا}[2] وهم اليهود {إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ}

هم الآن يدّعون أن الدلالة على أن هذا نبي عندهم أنهم كانوا يقربون القرابين، فيقوم النبي بجمع هذه القرابين فيدعو فتنزل نار من السماء تأكل هذه القرابين؛ بمعنى أن النار تحرقها.

طبعًا هذا ليس علامة على أنه رسول، لكن هم اتخذوها علامة على أنه رسول، خرجوا من هذا الكلام إلى نتيجة، وهي أن عدم إيمانهم بالرسول صلى الله عليه وسلم لعدم إتيانه بما قالوا.

الآن الله يرد عليهم لو كان هذا الكلام صحيح فقل لهم:

{قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي} كثيري العدد، {بِالْبَيِّنَاتِ} يعني المعجزات الواضحة، {وَبِالَّذِي قُلْتُمْ} وهو القربان تأكله النار {فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} فيما قلتم.

---

(١) سورة آل عمران ١٨٣ - ١٨٦

(٢) سورة آل عمران ١٨٣

زكريا ويحيى وغيرهم من الأنبياء قد جاءوكم بالمعجزات، وبما قلتم فاجترأتم عليهم، وقتلتموهم، فهذا كذب أن تجعلوا هذا هو الشرط.

ثم تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كلما عرض عليهم، وبيّن لهم الحجج كانت النتيجة التكذيب.

وكل مرة يأتي أهل الكتاب، وهم أصعب بكثير من المشركين؛ والسبب لأنك لما تحاجّ إنسان عنده علم وهو خبيث فيستعمل عليك علمه بخبث، فيحاول يسكتك بخبثه.

فيحصل عندك حزن وأسى من جهتين:

الأول: أن المفروض هذا العقل الذي عندك تستعمله في أدلة الإيمان وتتقرب إلى الله.

ثانيًا: أن كفرك وامتناعك، وتحايلك وإتيانك بأدلة للتحايل على الأدلة سيسبب أن من وراءك يُعرض إعراضًا تاما.

أنت عندك ذكاء، يا حسرتنا على ذكائك وأنت قدوة ويا حسرة على من اقتدى بك وتابعك، فهذا يكون الألم أشد، وهم أي المنافقين واليهود لهم مواقف عظيمة في إفساد المجتمع الإسلامي.

فجاءت التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم آية (١٨٤) و(١٨٥):

فسُلي بتقرير مسألة التكذيب يعني:

{فَإِنْ كَذَّبُوكَ}[١] يا رسول الله في كونك رسول من عند الله، وإن كذبوك في ردك على دعواهم.

فجواب هذا الشرط: {فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ}، فجواب الشرط محذوف تقديره: فتسلّى فقد كُذب رسل من قبلك.

الرسل من قبلك ماذا فعلوا؟

{جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ} المعجزات.

{وَالزُّبُرِ} الكتب التي فيها المواعظ.

{وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ} يقال إشارة للتوراة أو الإنجيل.

يعني معنى ذلك قامت الحجة تماما.

التسلية الأولى: فأنت تسلى يا رسول الله، ولا تظن أنهم يكذبونك، أو يكذبوا رسالتك، بل هم متيقنون أنك رسول من عند الله لكن هذا نتيجة ما في نفوسهم من حسد.

التسلية الثانية أن الله قال له:

{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}[٢] بمعنى أن الله يوعدهم؛ وعد ووعيد، للمصدق والمكذب؛ فهذه تسلية أخرى، فليس الشأن هنا.

---

(١) سورة آل عمران ١٨٤

(٢) سورة آل عمران ١٨٥

وهذا تصوروه لما يقهرنا أهل الباطل، وفي وسط الأزمة التي نحن فيها، والمفروض يكون تعظيم لكتاب الله ولدين الله، ولشعائر الله، وإظهار أن الله هو الشافي، وتميُّز بعقيدتنا عن غيرنا.

فيطلع واحد غبي فيجعل الأسباب المؤدية للشفاء أعظم من كتاب الله، وأعظم من الالتجاء إلى الله.

هم لازم يقهرونك طبعا لأن هذا شيء يقهر القلب، فتسلي بهذه الآية، كما سلّى الله رسوله صلى الله عليه وسلم.

{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}، يعني أنت ستخلد؟ بل في نهايتك ستموت.

{وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} فتكون النتيجة انقسام الناس لقسمين:

{فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِوَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}، فالفوز الحقيقي أن تزحزح عن النار وتدخل الجنة، وأي شيء آخر لا قيمة له.

وهم طبعا يركبون مركب معارضة الشريعة والعقيدة في مثل هذا الموقف الذي نحن فيه ليشتهروا ويكون لهم قيمة عند الناس، وهذا مثل السخيفين الذين في هذا الزمن الآن يخرّجون النكات السخيفة والناس في أزمة من جهة دينهم.

وهم لأنهم ما أصابهم في أبدانهم شيء، فبدلًا ما يحمدون ربنا على ذلك تظهر السخافة منهم أكثر!

المهم أنت الآن ضع لنفسك مقياسا صحيحا، فموضوع التسلي أن الناس يخرجون من هذه الأزمات كما يخرجون من الدنيا إما فائز وإما خاسر.

يعني الأسبوع، أو الأسبوعين، أو الثلاثة، أو الشهر أو إلى ما شاء الله أن نكون في هذه الأزمة فاعتبرها هي الحياة الدنيا واعتبرها أيام إذا مضت انكشفت بعدها عن أمور إما فائز أو خاسر وكل له سمته.

فالفائز أهم نتيجة من فوزه أنه يزحزح عن النار ويدخل الجنة، والخاسر أهم نتيجة في خسارته أنه يمنع من الجنة ويدخل النار، فالوضع الذي نحن فيه الآن يشبه الحياة الدنيا؛ لأنهم محبوسون ما واقع عليهم ألم ليجأرون إلى الله، وما خُسفت من تحت أقدامهم الأرض، وما نزل عليهم من السماء حاصبًا ليصلوا للدرجة العليا من الجأر، هذه حالة الله يمكر فيها بالمنافقين، هذه حالة ما مرت علينا سابقا.

عارفين كيف المكر حاصل؟

أنهم خائفين، وما هم خائفين: خائفين من شيء لا يرونه، وما هو محسوس كأنه الغيب، كما في الأمور الغيبية لما نقول لهم فيه جنة، وفي نار وما فيه في نفوسهم إيمان.

فماذا يكون موقفهم؟

ذاهبين، راجعين، هذا المرض يشبه الغيب، وكل الناس يقولون لهم افعلوا كذا وكذا، يفعلون ما هم مأمورين به، وفي ناس حساسين جدا عندهم وسوسةأغلقوا أبوابهم، والأغلبية الغالبة ما دخلت بيتها، وما أغلقت بابها، وما هي خائفة، ولو كان تركوا لهم الموضوع كانوا راحوا للشواطئ وسافروا!

الشاهد أنهم انحبسوا لكن في داخل قلوبهم ما فيه شعور حقيقي بالأزمة، كأنه الغيب، كأنهم سامعين كلام ولازم يمتثلون، لكن ما هم شاعرين، فكانت النتيجة الاستهزاء، والسخرية والسفاهة، وكل واحد يخرج له شغله يصورها.

أو يضعون خوفهم بصورة غير صحيحة؛ خائفين على دنياهم؛ مثل أمس في إحدى الدول الأوروبية التي بدأ يحصل عندها فشوّ في المرض، تركت المرضى ووزارة الصحة وكل شيء، وجلست تقول العمال الذين سرّحوهم، لما أغلقوا الأماكن فنحن سنعوّضهم!

الشركات التي حصل لها انخفاض دخل بسبب ما حصل، فنحن سنجعل الفائدة صفر، ونعطيهم قروض! طيب والميتين، والمرضى؟! يقولون كلهم من كبار السن! في داهية عليهم دعيهم يموتون! يعني الآن ما هي وزارة التجارة التي لازم تشتغل، بل وزارة الصحة التي لازم تشتغل، لكن لا، ما له قيمة الإنسان إلا عند أهل الإسلام، وأيضا ما عند كل أهل الإسلام، حتى دولة من الدول تقول للناس حافظوا على صغاركم وارعوهم، طيب والكبار؟!!

لا. خلاص، أخذ من الدنيا الذي يكفيه، فخليه يذهب!

وكيف الناس ما همهم إلا فقط نشّط لي الدنيا! ويدخل في مثل هذه الأزمة، وما يكون خائف إلا على دنياه.

تصوري هذه الأزمة التي نعيشها كأنها هي الحياة الدنيا؛ هناك مصدق، وهناك من يقول أين هذا المرض! وما يصدّق إلا لما يكون قريب منه.

ومن ثَم تصرفات الناس ستكشف عن الحقائق وستنتهي هذه الأزمة وينكشف الناس، وأنتم رأيتم كيف الصغير والكبير تأثروا تأثرًا كبيرًا لما أغلقت المساجد، وفيه جماعة المنافقين نسأل الله يزيحهم عنا، خرج منهم الشيء الذي لا تقدر تسمعه، ولا تقرأه.

بهذا تفهم أن مما يسلّيك، أن كل أزمة ستنتهي، وتنتهي بماذا؟ {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}، كأنه يقال كل أزمة ستنفرج، ستنفرج، وتخرج، تخرج من الدنيا، لكن ليس المهم أن نخرج؛ لأننا سنخرج أكيد من الأزمة، وهذا سيكون مجرد تاريخ، لكن أنت ماذا فعلت وقت الأزمة؟، ومثلها ماذا فعلت وقت الدنيا؟

لأن بعد ذلك توفون أجوركم، فكن في الأزمة كما ينبغي، مستغفرًا ذاكرًا خائفًا من سخط الله ولست خائفًا من الموت، لأنك ستموت ستموت، فكل الذي يشغلك ألا يسخط الله علينا.

مر علينا شيء ما كنا نتصوره بصورة، وهذه البلاد المباركة التي من فيها معزز مكرم يصير فيها إجراءات، يقال لك لا تمش هنا،

وممنوع وارجع بيتك! ما كان يمر على خاطرنا، وأنتم تعرفون خاصة مدينة جدة، ومدينة مكة، مدينتان نادرًا يحصل فيها الهدوء، **فانظري الآن الوضع كيف!**

نعم نحن الحمد لله مقارنة بالعالم كله، نحن في أحسن حال، وكل شيء متوفر، وهذا النعيم المتوفر لنا زاد الناس قسوة في قلوبهم، فالذي يسلينا في هذا الموقف وكل موقف ما سلي الله به رسوله فقال له: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}.

فإذا كانت الأحوال هنا فيها ما فيها من الاضطراب، وكأن في الظاهر المحسن متساوي مع المسيء، وكأن المؤمن متساوي مع المنافق والكافر في الظاهر، لكن لا، ليست هذه الحقيقة، وما يساوي الله بين المؤمن والكافر، لا في الدنيا، ولا في الآخرة، وأنت الحمد لله تناميم على فراشك وأنتِ واثقة من رب العالمين أنك أنت في حفظه ورعايته، وهذه ليست مشاعر الكافر والمنافق.

ونحن قلنا لما أوقفوا الأعمال خرجوا يشترون مسدسات وأسلحة، لأنهم تصوروا ستصير بطالة، وما يشتغلون وتحصل سرقات مثلًا، فكل واحد خرج ليؤمّن نفسه، وكأن ما فيه أحد سيفكر فيه!

هكذا الناس أوراق كاشفة.

{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} وعد ووعيد، للمصدق والمكذّب.

{وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ} فعل التوفية؛ أي تُعطوْنها كاملة على التمام غير منقوصة.

متى؟

{يَوْمَ الْقِيَامَةِ} يوم تقومون من قبوركم، ولا تنسوا أن توفية الأجور ستكون يوم القيامة، لكن ممكن الإنسان هنا يأخذ شيء من أجره يصل إليه قبل أن تقوم القيامة.

في القبور روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار؛ فيحصل شيء من النعيم.

وهذا النعيم الذي نشهد لله به؛ من الأمن النفسي، واليقين، ونعيم أن لنا ملجأ ومعاذ وملاذ، ونعيم أن لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، ونعيم أننا إذا كنا ممن شاء الله أن يبتليه بأي بلاء، فالله هو الملجأ، والمعاذ، والملاذ وهذا لن يضيع عند الله، فهذا نعيم.

أما من يقول يا للمصيبة لو جاءت خسارة مادية فمن سيعوضنا؟ ويكاد ينهار من التفكير.

لكن المؤمن يقول إن الله هو الذي ابتدأنا بالنعم، والله هو الذي يتممها، والله هو الذي يرزقنا من حيث لا نحتسب، والله وحده الرزاق، والله وحده المعين، والله وحده الحفيظ، عليه توكلنا، فهذا نعيم بنفسه، فهذا الذي تنعم به من ذكر الله، واللجوء إلى الله، لكن يتوفّى لك؛ يعني يكتمل لك لما تدخل جنات النعيم، حتى أن الإنسان يصل أن يكون ذكر الله له في الجنة أحب من الطعام

والشراب، يعني يصل إلى الدرجة الكاملة، فانظري كيف التوفية؛ يعني أنت في الدنيا تشعر بنعيم من ذكر الله، ثم في الآخرة يوفّى لك هذا النعيم، فيصبح ذكر الله بعدد الأنفاس.

ولذلك من الضروري هذه الأيام ألا تفتر ألسنتنا عن ذكر الله، لازم أيام المصاب والأزمات ما نفتر عن ذكر الله، لازم تشعرين أننا في مصيبة، وليست في أبداننا، بل في أدياننا، ووصلت أوجَها لما مُنعنا، وما ندري غدًا ماذا سيكون إلا أن الله سلّانا بالحرمين، الحمد لله.

{فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ}، زحزح فعل فيه تكرار الزح، **وما هو الزح؟**

الجذب بعجلة لكن على شيء ثقيل، يعني من الصعب جره؛ هذا معناه يكون الإنسان بصعوبة نجا؛ فمن جُذب عن النار، وهو ثقيل يكاد ثقله يدخله النار، **هذه جهة.**

والجهة الأخرى: {وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ}

{فَقَدْ فَازَ}؛ يعني بهذا يكون الإنسان قد ظَفُر،

وفي الحديث: «فمَنْ أحبَّ منكم أنْ يُزَحْزَحَ عنِ النارِ، ويَدْخُلَ الجنةَ، فلْتَأْتِهِ منيتُهُ وهوَ يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، وليأْتِ إلى الناسِ، الذي يُحِبُّ أنْ يُؤْتَى إليه»[١]

فهل في الدنيا شيء من هذا الفوز؟

{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}: يعني الدنيا كل لذاتها وزخارفها مهما حصلت على شيء منها فأنت لست بفائز، إنما أنت مغرور.

{مَتَاعُ الْغُرُورِ}: هذا تشبيه؛ يشبه به المتاع الذي تشتريه مأكول، مشروب، ملبوس، لكن يدلس عليك فيه ويغروك فيه، يخدعونك في سعره، وتعطيهم مبلغا عاليا ويعطونك شيئا رديئا، فتكون أنت في هذه الحالة مغرورا، فهكذا من طلب الدنيا ببيع الآخرة كان في حال الغرور يعني خُدِع، خدعوه وأطمعوه بالباطل.

لماذا الدنيا هذا وصفها، بأن المتاع فيها غرور؟

لأن الإنسان يُخدع بظنه أنها تطول وتبقى على حالها ويبقي التمتع بها، وهي لها صفات لازم تعرفها؛ وأهم صفة من صفات الأشياء في الدنيا أن المتعة بها أسرع زوالا من وقت الحصول عليها،

(١) الراوي: عبدالله بن عمرو | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم: ٢٤٠٣ | خلاصة حكم المحدث: صحيح | التخريج: أخرجه مسلم (١٨٤٤) مطولاً

يعني لتحصل على هذا الشيء تأخذ وقتا طويلا، مثلا لتطبخ تأخذ وقتا طويلا، لكن لتأكل وقتا سريعا؛ **التمتع بالأشياء في الدنيا أسرع من وقت الحصول عليها، وهذا عيب فيها لأني سأبذل وقتًا طويلًا لأحصل على متعة قصيرة، وهذا لوحده خدعة.**

فنحن نغتر غرورا، تكون النتيجة أن الوقت المبذول للحصول عليها أطول بكثير من نفس التمتع بها، وهذا بنفسه من الغرور.

الملبس الذي تتعبين فيه لتأتي بشيء على ذوقك، ثم بعد قليل جدا يضمحل هذا السرور الذي يحصل للإنسان بسبب هذا الملبس أو القناعة التي تحصل له به، فهذه أيضا صفة خطيرة الذي هو صفة **مع بقاء الشيء من الدنيا إلا أنه بسرعة تزول المتعة عنه مع وجوده مع بقائه.**

وهذا كله يجعلك تقولين قدّري فقدك ملذات الدنيا، قدّري أنك أنت ما اشتريت، قدري أنك أنت ما أكلت، ما الذي سيحدث؟ لا شيء.

نحن ما نتكلم عن الحد الأدنى؛ لأن الشريعة منعتكِ أن تقتلي نفسِك جوعا أو تكوني عارية، لأن التوازن مطلب شرعي، ولو كان الإنسان في مفازة وما وجد إلا ما حُرِّم أكله فلازم يأكل، لكن نحن ما نتكلم عن هذا، وهو حد الكرامة الإنسانية.

نتكلم عن الزيادة عما فوق حد الكرامة الإنسانية؛ الذي هو يجد الإنسان ما يُقيم صلبه وما يحتاج للناس.

المقصد هل لو ما وجدت هذه الأشياء فهل سينقص منك شيء؟

الجواب: لا، كإنسانه لا ينقص منك شيء.

إذًا انغريت لما ضيعتِ الوقت في تحصيله وانخدعتِ؛ لأن الدنيا تخدع، ثم تصرع الإنسان فترميه قتيلا لها.

متى سينفعنا هذا المتاع؟

السلف يقولون:(**الدنيا متاع متروك، يوشك أن يضمحل ويزول، فخذوا من المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم**).

بهذا نفهم أن كل ما يتوفر لك من متاع مثل بيئة متوفرة للطاعة، يعني هذه أدوات أستخدمها لأطيع الله؛ مثل مساجدنا الزاهرة، مرتبة مكيفة، ونظيفة، ثم يأتي أحد يتبرع لها ببخور يوم الجمعة، والبخور هو من متاع الدنيا لكن طاعةً لله، وكثير ما نرى في الطواف، نرى من يحمل المبخرة يطوف بها؛ في يوم الجمعة واحد في المطاف عند الكعبة، وواحد في الدور الأول مدخل الملك فهد، وواحد في الدور الثاني، يصيروا ثلاثة في المطاف، و السعي مثله؛ صينية كبيرة مشبوك بها فوقها المجمرة يضعها فوق رأسه، ويطوف، يتبخر الحرم ، يطوف السبعة وممكن السبعة الثانية وممكن الثالثة ، وهم لديهم إذن من إدارة الحرمين، لكن ما

يضعون أسماءهم على المجمرة ويقول أنا فلان وعلان، يتقربون إلى الله. فالبخور أحسن مثال لمتاع الدنيا، لأنك تضعينه على النار وتكوني دفعتِ فيه الآلاف، وفي لحظات ينتهي الموضوع، لكنهم يتقربون به إلى الله، وأنت لما تستنشق رائحة البخور ينشرح صدرك، وهو أيضا متاع زائل، لكن في النهاية عند الله لمن جعلك تشعر بلحظة الانشراح هذه.

هذا المقصود بقول السلف أن هذا متاع الدنيا فاستعمله في طاعة الله.

والآن هذه الشركات -بارك الله في أصحابها- تفرش المساجد بفرش فاخرة، وتقوم بخدمة المساجد، إذًا استعملوا متاع الدنيا في طاعة الله، وهذا تنظرين له في الحرمين؛ فهذا المطاف رخامه في الأرض أتى من جبال معيّنة في أوروبا، لما تكون عليه الشمس يصبح باردًا، فاستخدموه لخدمة الحرمين، فنحن نتسلى بالكلام عن البيت وعن المساجد حتى يزيل الله عنا هذه الغمة.

هذه أول آية أتت في ترتيب المصحف أتى فيها كلمة الفوز.

بالمناسبة لما تبحثين عن كلمة الفوز بالقرآن، أول مرة تأتي هي آية آل عمران {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}، ثم كل الآيات التي بعدها، وأنت

تشرحينها ترجعينها في الشرح لهذه الآية، فكأن مجموع الكلام عن الفوز الحقيقي في هذه الآية، وكل فوز يحصل في الدنيا ما هو إلا متاع الغرور.

{لَتُبْلَوُنَّ}[1] لتُختبرن.

في ماذا؟

{فِي أَمْوَالِكُمْ} يعني بالآفات التي تصيب الأموال.

{وَأَنْفُسِكُمْ} هنا يقصد القتل، أو الأسر، أو الجرح، أو المرض أيضا مما يصاب في أنفسنا.

إذًا هذه سنة الله أن يحصل البلاء والاختبار في أموالنا وفي أنفسنا، أو المخاوف والشدائد، وهذا مثل قوله تعالى في سورة البقرة: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}[2]

إذاً لازم يبتلى المؤمن في ماله، في نفسه، في ولده، في أهله، فقط أنت سمي الأشياء باسمها: **يعني قولي هذا اختبار** وهذا اختبار، إذا سميته باسمه الحقيقي، ستكون النتيجة أنك كما تستعدين لاختبارات الدنيا: ما الذي ستكتبينه في الورقة، بالضبط هذا الاختبار الذي أنت اختبرتِ فيه بنفسك أو في صحتنا، الخوف الذي قاتل الناس: ماذا ستكتبين في ورقة الاختبار؟

---

(١) سورة آل عمران ١٨٦

(٢) سورة البقرة ١٥٥

أولًا: اصبري وما تنهاري واجمعي نفسك.

ثانيا: وماذا نكتب في الاختبار؟ اكتب: {لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا}[١]، وهذا البلاء الذي نزل من عندك لحكمة يا رب، وأنا أعتقد لا شافي إلا أنت، وأنا اعتقد بالأسباب الشرعية والأسباب الكونية، وأنا متأكد لو جمعت قلبي وقرأت ما يجب أن أقرأه من الأوراد الشرعية للتطبب أنه يأتيني الشفاء، ومتأكد أنك ستعطينني من الأسباب الكونية حتى أصل إلى الشفاء

فكأن فيه مجموعة أسئلة:

- ✓ ماذا تعتقد في هذا المصاب؟
- ✓ ماذا تظن في رب العالمين؟
- ✓ ماذا تعتقد في رفع هذا المصاب؟

فهي مجموعة أسئلة وكل واحد عندك جواب عليه، وهذه الأجوبة لازم تنطق بها بقلبك، ثم تجري على لسانك.

يعني وأنت الآن تشترك مع الناس في الخوف من الأمراض، فأنت لماذا خائف؟ لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

نعم يخيفنا الألم النفسي والبدني، وقد ركّبنا الله بهذه الطريقة كي نخاف من عذاب النار.

فأنت تستدفع المرض بذكر الله، وفي نفس الوقت تقول: ما هذا المرض الوحيد الموجود، بل فيه أمراض أخرى، وأخطر وأعظم

---

(٣) سورة التوبة ٥١

أثرا، لكن ما في ذِكر لها وخلاص ركزوا على هذا المرض، وهذا ابتلاء أيضا، فأي حال تتعرض لها، تؤمن أن الله الشافي بقلبك ولسانك.

إذًا ما اسم هذا كله الذي أعيشه في نفسي؟

اسمه: بلاء، اختبار.

وكلما زادت الأسئلة عليك، زادت العناوين عندك كلما صرت أثبت.

يعني ستقول في العقيدة العامة في البلاء (لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)، الحياة لازم يكون فيها بلاء مثل آية البقرة، وآل عمران.

فيحسن بكم الآن، أن تكتبوا لنفسكم رسالة خاصة، لو ابتُليتم في أبدانكم ما العقيدة التي لازم تكون؟ ما الأجوبة التي أحررها في الاختبار؟

ابتداء من العقيدة العامة في الابتلاء، وانتهاءً بالعقيدة الخاصة بالأمراض، حبذا لو تفعلون هذا الفعل ويكون خالص لوجه الله، وننشره في هذا الوقت؛ لأن الناس محتاجين كيف ينجحون في هذا الاختبار، لازم نقول لهم ماذا تعتقدين في البلاء الخاص على بدنك؟ من عقيدتك في الله إلى عقيدتك في الاستشفاء؛ لتنكشف هذه البلية عن مؤمنين أقوياء صادقين أصحاء في قلوبهم قبل أن يكونوا أصحاء في أبدانهم.

وفي الحديث: «يُبتلى الرجلُ على حسَبِ دينِه، فإنَّ كان في دينِه صُلْبًا، اشْتدَّ بلاؤه»[١]

{وَلَتَسْمَعُنَّ} يا أيها المؤمنون

{مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ} هذه الجماعة الأولى التي تسمعون منها.

{وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا} وهم الآن متعاونون شرقا وغربا؛ فهم يختلفون مع بعضهم لكن يتفقون على أذية المؤمنين، وهذه ليست نظرية المؤامرة ولا غيرها، هذا الحق الذي ذكره رب العالمين، أنتِ متأكدة أنهم يتعرضون لأذى من أهل الكتاب والمشركين.

{أَذًى كَثِيرًا} بالقول والفعل، وحسن الظن بهم ليس في مكانه.

أنت يا مؤمن لازم تعرف أن هناك أنواع من الأذى حاصلة، وأول الأذى أنك تسمعهم يقولون المسيح ابن الله وعزير ابن الله، أنه ثالث ثلاثة، يطعنون في النبي صلى الله عليه وسلم، ويهاجمونا في عقيدتنا، ويبقى الأذى يزيد ويزيد كل مرة يخنع فيها المسلمون، واليوم يكلمونك عن التنمر!

موقف حقيقي؛ بنتان أقارب وواحدة متسلطة على الثانية، وأعطوهما هدايا؛ فالمتنمرة تقول لبنت عمها ما هذا اللون! لأنها

---

[١] الراوي: سعد بن أبي وقاص | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع الصفحة أو الرقم: ٩٩٢ | خلاصة حكم المحدث : صحيح

ضعيفة فطول الوقت أذية، فهم هكذا يفعلون بنا؛ أنتم ضعفاء، ماذا تعتقدون في خلقة الكون؟ يقولون: انفجار كوني، وتطورتم من خلية حقيرة إلى قرد إلى إنسان، و وأي عقيدة تعتقدها في المرض أو الوباء يضحكون عليك ضحكة ساخرة، تقول: لا عدوى ولا طيرة، ولا صفر؛ يقول (خلي هذا الكلام ينفعك)،ويضحك عليك، لازم يؤذيك في عقيدتك، فأنت لا تكون مهزوم نفسيا، فلا نقول لك واجهه أبدا، لأنهم سفهاء ما عندهم أي مكارم أخلاق، وأحسن شيء أعرض عنهم، لكن في عقيدتك تكون ثابتا، ولا تحزن أنهم آذوك.

فالخطأ مثلًا أن دار بين المنافقين كلام سفيه، اعتدوا فيه على الأسباب الشرعية في العلاج، فتقومين أنت يا مستقيمة تقولين لزميلاتك: أن أمس واحد في تويتر قال كذا وكذا!!

لماذا تقولين لهم قالوا كذا وكذا؟!! فأين أعرض عنهم.؟

أصلا لا تمرر على لسانك ما قالوه؛ لذلك لما تجدون أي مقطع في يوتيوب مثلًا، وأنا أنصح من ينزّل مقاطع للعلماء أن يغلقوا التعليقات، فلما تسمعين كلام العالم، لا تنزلي للأسفل أبدًا لأن فيه ناس جالسين يترصدون، فالمفروض من يريد ينزّل لكبار العلماء خصوصا في الأزمات، فليغلق التعليقات حتى لا يأتي هؤلاء يؤذوننا.

طيب نفترض تكلموا؟

لا تنزّلي وتقرئي.

طيب نفترض قرأت؟

لا تنشري أذاهم علينا، لا تتكلمي، وحولي أذاهم لبرنامج عملي.

وأنا أذكر قبل عشرين سنة، قرأت كلام يشير للبخاري، أن الكتب الصفراء وكذا! ورأيت أن هذا بذرة لمشروع، نتعلم كيف نقرأ البخاري، وسبحان الله! هذا البرنامج كان له صدى كبير في هذه الفترة وكان يتطور؛ فالشاهد أن الفكرة هذه أتت من أذية، فلو بلغتك أذيتهم حوِّلي أذيتهم لمشروع.

مثلاً يقول لك: الصغار هؤلاء ماذا تحفظيهم! يريدون الأغاني التافهة، فتكون النتيجة أننا ننزل برامج، برامج وندفعهم ونصبر، وتتحول الأذية إلى مشاريع.

{لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا} الآن أتي العطف على الأمرين: البلاء في أنفسكم، والأذى من أعدائكم.

يعني الآن يقولوا جاء البلاء على المسلمين، ولماذا ما وقف عند دارهم؟

نقول الله يختبرنا ومثلنا مثل بقية الناس لكن علينا رحمة، وعلى أهل الكفر رجس وعذاب.

{وَإِنْ تَصْبِرُوا} **هذا الأمر الأول: المصابرة على الابتلاء في النفس والمال والمصابرة على تحمل الأذى** وترك المعارضة والجري وراءهم، والصبر أقرب لدخول المخالف للدين، فأفضل من أن تتهجم عليه ويصير عداوة شخصية بينك وبينه، بل أعرض عنه؛ فيجب عليك ألا تجاري المعتدين على الدين في الخصومة.

لذلك قال الله لموسى عليه السلام ولهارون في سورة طه: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ}[1]

وهذا معنى قوله تعالى: {وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا}[2] ؛ فالتعليقات هذه كأنها لغو، فمروا بها كراما.

وفي الجاثية: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ}[3] فاتركه، ولا تلاغيه؛ لأنه سفيه لعله يرجع.

في الحواميم ظاهر جدا هذا الأمر: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}[4] الذي ابتدأت في غافر انتهت في الأحقاف.

الآداب المطلوبة مع المخالف موجودة في الحواميم بوضوح: ابتداء من مجادلة مؤمن آل فرعون في غافر، ومرورا بفصلت: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[5] ومرورا بالجاثية: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ}[6] ، إلى أن تصل للأحقاف:

---

(1) سورة طه ٤٤

(2) سورة الفرقان ٧٢

(3) سورة الجاثية ١٤

(4) سورة الأحقاف ٣٥

(1) سورة فصلت ٣٤

(2) سورة الجاثية ١٤

{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}[1] ويوجد في الدخان سنتدارسها قريبا لأنها مناسبة جدًا للأحوال.

فنحن أُمرنا بالمصابرة على الابتلاء بالنفس والمال، والمصابرة يعني تحمُّل الأذى، بدون معارضة ولا مقابلة.

{وَتَتَّقُوا}: **ما دلالة الأمر بالتقوى؟**

الأمر بالتقوى يعني التبتّل إلى الله، وإفراده باللجوء معرضين عما سواه.

يعني {تَصْبِرُوا} على الحال الذي أنتم فيها؛ وجود البلاء في أنفسكم وأموالكم، والأذى من الأعداء، فتصبروا ولا تجزعوا، ولا تتحول المسألة لحرب كلامية إذا كنا مع الأعداء، أو تتحول إلى سخط وجزع من جهة الابتلاء الذي ينزل عليك.

{وَتَتَّقُوا}: يعني كأنه ربما في حلول أخرى في ذهنك لدفع الأمرين؛

١- البلوى التي أصابتك في بدنك ومالك.

٢- والأذى الذي أتاك.

فكأن اتقوا كل الحلول وفارقوها كلها، ووحدوا الله وتبتلوا إلى الله.

وهذا الكلام ذكره أبو السعود في تفسيره

---

(١) سورة الأحقاف ٣٥

{وَتَتَّقُوا}: يعني تعرضوا عن أي حل، غير التوحيد.

فعرفنا أن فيه حلين لأي مصاب وأي عداء:

- احبس نفسك ولا تجزع ولا تنهار واجمع نفسك.
- وفي نفس الوقت لا تفكر في حلول، بل تبتل إلى الله، وما خاب أبدًا من سأل الله، ورجا الله ووحّد الله، ما خاب أبدًا ولن يخيب.

والله ليعجل الله لهذا الصابر التقي بالفرج وملامحه، حتى أنه يدعو في الليل وتأتي علامات الفرج كفلق الصبح؛ فإنّ الله قد أظهر لعباده في كل وقت أنه على كل شيء قدير، فما يخيبوا لمّا يسألوه، لكن الخيبة كل الخيبة أن تُبتلى وتكون في أزمة، وتطلب غير الله، إذًا متى ستطلب ربنا؟!!لكن الناس يتصورون أن الحلول سهما مضروبا، سيأتيك الفرج كخيوط الفجر شوي، شوي، لكن لا تغفل عن مؤشرات الفرج، وهذا أمر يَتنبه له من كان في قلبه صفاء، وكان متيقنا بالتوحيد.

الآن نفترض عليك دين مليون ريال، ادعي ربنا، ادعي ربنا، ثم فيه علامات فرج بسيطة، واحد له عليك ألف ريال، وأتتك الألف ريال من مكان لا تحتسبه فرديته، فهذه تقول لك المليون عند الله كألف ريال، مثلما جاء هذا يأتي هذا.

وذكرت لكم أن امرأة مشغولة بشأن عظيم، مال عظيم، وصاحب المال أعطاها فرصة سنة، واقتربت السنة على النهاية وهي ما حصّلت ما تريد، ثم اشتهت شيئا من شئون الدنيا من الأكل،

وهذا في مكان بعيد عنها، وفوجأت أن هذا الشيء صار تحت بيتها، هي الآن أول ما صار لها هذا الموقف، قالت خلاص فالذي أتى بهذا من بعيد سيأتي لي بهذا المال ويفرج عليّ، وقد كان وفرّج الله عليها.

وهذا دائما تفكري فيه في {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ}[1]

خلاص رأى مريم أن الله يرزقها بغير حساب، هنالك دعا زكريا ربه، يعني لما نظر للمسألة باليقين، فقال خلاص مادام يعطيها بغير حساب، سيعطيني بغير حساب.

وهذا هو القلب الشفاف الصافي الذي يعرف أن فيه رسائل مثل الرسالة التي نعيشها الآن: كم أنتم يا طلبة العلم قصرتم في التوبة، والاستغفار، وذنوب متراكمة، وكنتم تقولون يعني ماذا سيصير يعني! فصار الذي ما كان يتصوره الإنسان.

فضروري الإنسان يلمح هذه الأمور، ويتوب، ويستغفرلعل الله يكشف عنا الغمة.

{فَإِنَّ ذَٰلِكَ} إشارة للصبر والتقوى، واسم الإشارة دلالة على منزلتهما العالية، وكأن الاثنان لازم يكونا معًا **لأن اسم الإشارة مفرد، باعتبار أنهما لا ينفكان الصبرعن التقوى**، والله أعلم.

---

[1] سورة آل عمران ٣٨

{مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} يعني هذا من الأمور التي يتنافس فيها المتنافسون، ولازم الإنسان يعزم ليصل لهذا الشرف كأن هذه صفة كمال.

وتصير الجملة: وإن تصبروا وتتقوا فهو خير لكم، أو فقد أحسنتم، أو قد أصبتم، انتهى بحمد الله

اللقاء الحادي والعشرون (٢ شعبان ١٤٤١ هـ)

الآيات (١٨٨-١٩٥)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، بسم الله توكلنا على الله

مراجعة على الدرس الرابع من الغزوة

نبدأ من الدرس الرابع من دروس غزوة أحد، وقد تبين لنا الحمد لله دروس عظيمة من هذه الغزوة، وكانت مناسبة لهذا الأمر الذي نمر به من هذه الجائحة التي اجتاحت العالم كله.

وإذا عدتم ونظرتم للآيات ستجدون هذا واضحا، فإن مثل هذه الأزمنة تميز بين الناس، وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه، لابد أن يميز الخبيث من الطيب، وما كان الله ليطلعكم على الغيب، مَن الطيب ومن الخبيث؟، بل تأتي الأوضاع والأحوال والاختبارات التي يحصل بها التمييز.

في كل الأحوال في قاعدة واحدة، هي التي يحصل بها النجاة:

- ✓ {وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ}[١]
- ✓ ومثلها: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}[٢]

فالإيمان، والصبر، والتقوى، هذا هو سلاح المؤمن.

---

(١) سورة آل عمران ١٧٩

(٢) سورة آل عمران ١٨٦

الآن في ظروف متفاوتة، وأوضاع للناس متفاوتة، ونفسيات متفاوتة لازم نصبر؛ تأتي قرارات تُذهب شيء من مصالحنا فلازم نصبر، فالاختبار هنا أنك تصبر وتتقي، وتؤمن أن هذا قدر وتتقي.

السورة كررت علينا هذا المعنى: أن النجاة من كل ابتلاء يكون بالصبر والتقوى.

ثم هناك عامل مهما جدا من عوامل النجاة، قد ذُكر في الآيات التي كانت تناقش بذل النفوس، فأتت الآيات الأخيرة تتكلم عن بذل المال.

أيضًا بذل المال أمر مهم، لأن في مثل هذه الأحوال يظهر معدن الإنسان في وقت الأزمات، وهل هو أناني؟ أم يشغله حاله وحال الناس؟، والأهم من ذلك هل هو عبد يناجي ربه أن أعطيني فرصة أشكرك فيها على نعمائك؟

فمثل هذه الأزمنة تميز الخبيث من الطيب، ويا للفرق العظيم بين الخبيث والطيب.

على كل حال كان الدرس الرابع من دروس هذه الغزوة، مسألة التحريض على بذل المال، والوعيد الشديد على البخل.

وتبين لنا أنه سبحانه وتعالى قد ابتلى الناس بمسألة الإنفاق، والإنفاق اختبار يُظهر الإيمان.

وقد تبين لنا لما سمع اليهود الأمر بالإنفاق ماذا قالوا؟ ولذلك الإنفاق هو نوع اختبار يُظْهر ما في قلب الإنسان من الإيمان، ومن

أجل أن نتأكد من هذا، **فنقارن بين موقف المؤمنين، وبين موقف اليهود.**

لما **سمع المؤمنون الله يستقرضهم**، وسمع المؤمنون الله يقول: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}؛ **كان موقفهم:**

أنهم سارعوا مسارعة المتيقن بأمور ثلاثة:

١-المتيقن بغنى الله التام عن الخلق.

٢-سارعوا مسارعة الواثق في وعد الله عزّ وجل؛ يعني الله غني والله مؤمن إذا وعد خلقه لا يخلفهم.

٣-أنهم متيقنين أنهم في دار اختبار، وأنهم مع الله متاجرين، ويعرفون ما هو الربح الحقيقي.

الآن الموقف الذي فيه أبو الدحداح لما أخرج زوجه من الحائط، وهو أحب الأموال إليه، وقال لها اخرجي يا أم الدحداح من الحائط، فإني قد بعته بنخلة في الجنة، انظري للمؤمنة: ماذا تقول؟ ربح البيع، يعني أكيد سندخل الجنة ونجد هذه النخلة.

وعايشين متيقنين أنهم هنا في اختبار، وهذا مؤكد أن الإيمان مستقر في نفوسهم.

أما اليهود لما سمعوا أن الله يستقرض خلقه، أو أن الله عزّ وجل يأمرهم أن ينفقوا في سبيله، وأنه يعطيهم مقابل هذا، قالوا

ما قالوا: {قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ}، فبهذا تفهمين أننا نحتاج في الحياة إلى الإيمان، والتقوى.

فخرج اليهود وشبّهوا على المؤمنين، لكن المؤمنون الصادقون الراسخين لا يُشبّه عليهم، لكن يُشبه على المنافقين أو ضعاف الإيمان، فاليهود سفهاء وبهذه الطريقة يفهمون الأمور، **ولذلك ما في استواء بيننا وبينهم أبدًا**، وهذه الجملة لازم نكررها هذه الأيام.

ومن أدلة أننا ما نستوي **أننا ننظر للأمور من نظرة الإيمان، وهم ينظرون لها نظرة الدنيا المادية.**

ولذا هذا القول (إن الله فقير ونحن أغنياء)، لما استقرضهم يعني هذا كأنه مبدأ الرأسمالية؛ أي أحد يطلب منهم فمباشرة، يصبح محتاج فقير فيستغلوه. (هذه الشبهة الأولى التي قالوها)

أتت الشبهة الثانية ناقشناها المرة الماضية؛ أنهم أتوا للنبي صلى الله عليه وسلم في نفس مسألة الصدقة، وقالوا لماذا لما تأتي الصدقات أو القرابين تأخذها وتوزعها على أصحابك؟ فنحن لا نؤمن لرسول إلا لما تأتي قرابين يبرزها للسماء فتنزل نار من السماء فتأكلها!!

ولذلك نحن الأمة التي أُحلت لنا الغنائم، هم لما كانت أطماعهم تزيد، وتزيد، فحُرّمت عليهم الغنائم، جاءت أمة الإسلام فلم تحرّم الغنائم عليهم، فهم عندهم إحساس بالضرر، ولأجل أن يغيظوا

المسلمين قالوا هذا ليس رسول، وإنما تاجر يقاتل لأجل الغنيمة! يعني تاجر رأسمالي.! وهذا الأمر هو الذي دائما يقولونه علينا، أن الإسلام انتشر بحد السيف، وأن كانت المقاصد الغنائم.

فهم يقولون إما أنت يا رسول الله تكذب في استقراض الله لنا، يا إما ربنا فقير!! وما عندهم حل آخر.

والشبهة الثانية أنهم شبّهوا على المسلمين لما دعاهم للإنفاق، فقالوا إذًا أين يذهب بالأموال؟!! لو كان نبي كان أي قربان قرّبه أتت النار وأكلته! وهم يعلمون أن هذا كان تحريم بعد تحليل عليهم.

حتى إنهم قبل أن يخرجوا من مصر، ذهبوا فأخذوا الحلي حلي نساء الأقباط حولهم واستعاروه، وهذا كان مشهور الاستعارة، لكن هم يعرفون أنهم سيخرجون ويفارقون الأرض لكن ما همهم فهو مكسب أخير يأخذونه معهم!

فجربوا وقالوا نستعير الحلي فإذا نفذنا فما في أحد يطالبنا بالحلي، وإذا بقينا أعدناه لهم؛ فهم ناس رأسماليين أهم شيء عندهم الأموال.

فلما أتى الإسلام على ناس جاهدوا في سبيل الله لأجل الله، فما استطاعوا أن يحتملوا هذا، فصاروا يرمون عليهم الشبه.

ثم أتت التسلية في آية (١٨٥)، سُليَ أهل الإيمان فقيل لهم أن عاقبة الأحزان والهموم الموت الذي وراءه جنات النعيم لأهل

الإيمان؛ فأنتم اسعوا سعي من يريد أن يفوز الفوز الحقيقي، وهذه مسألة مهمة التفكير في الفوز الحقيقي.

فهذه التسلية التي هي: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}[1] كأن معرفة أن الإنسان يموت فهذه تسلية للإنسان.

فلما يأتي أحد الآن يخوفك من المرض، فقولي لنفسك ائتمارًا لأمر الله سأحترز محافظة على صحتي وصحة مجتمعي، ومن أجل أن أقوم بما يجب عليّ، لكني ما أخاف الموت لأن من لم يمت بالسيف مات بغيره، تعددت الأسباب والموت واحد.

فأنا شجاع تجاه الموت، وما يخيفني الموت، لكني أحمل همّ ما وراء الموت؛ لأني مؤمن أعرف أن وراء الموت في حاله عظيمة.

إذًا الذي يسليني أن كل نفس ذائقة الموت، ثم بعد الموت يحصل التوفية لأجرك يوم القيامة.

يوم القيامة بالنسبة لنا إما فوز وإما خسارة؛ {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِوَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}

طيب والدنيا التي سأتركها؟ قيل لك أنها متاع الغرور.

هذه التسلية ستسلينا فيما بعده، لما أخبرنا الله عن سنته في أهل الإيمان في آية (١٨٦): أن يبتليهم في أموالهم وفي أنفسهم.

فالذي نمر به الآن كيف نفسره؟

---

(١) سورة آل عمران ١٨٥

على أهل الإيمان ابتلاء رحمة من أجل أن يرفع الله المؤمنين، وعلى أهل الكفر رجس وعذاب.

كل بلوى يشترك فيها أهل الإيمان، وأهل الكفر، تكون رحمة على أهل الإيمان، ورجس وعذاب على أهل الكفر، وهذا أمر النصوص كلها تدل عليه، لكن المشكلة لما يأتي أحد يؤوّل تأويلات على هواه، وأهم شيء كما هم يتفقون ألا تأخذ أي معلومة إلا من مصدرها الصحيح، ولا تقبل الشائعات، فهكذا يقال في هذه العقيدة.

فليس كل واحد يخرج يتفلسف ما عنده لا علم شرعي ولاحتى مبادئ العلم، وإنما يريد أن يلطف الأجواء، وخلينا مسالمين وما نعادي أحدا!!

يخرج يقول: هو واقع علينا، وعليهم فكيف تقولوا إنه عذاب على الكفار؟!!!

أكرر عليكم نفس المعنى، الشيء الواحد ينزل على المتغايرين متغايرا، فنحن لسنا في مركب واحد: {إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ}[1] إذا كنا متساوين في الآلام، فلسنا متساوين في الرجاء.

---

(١) سورة النساء ١٠٤

على كل حال سنُبْلى في أموالنا وفي أنفسنا، وأشد من هذا سنسمع من الذين أوتوا الكتاب وأيضًا من الذين أشركوا أذى كثيرا:

أولًا: فلا تكن أمام هذا الأذى مستغربا.

ثانيًا: لا تضع تعليلات من نفسية مهزومة، لازم يكون نفسيتك نفسية المؤمن ليس العدائي إنما نفسية معتز بدينه يفهم ما قاله رب العالمين.

ثالثًا: التصرف تجاه هذه الأذية لابد أن يكون تصرف شرعي، فلا رعونة، ولا هوى، ولا هزيمة، وهذا التصرف هو: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا}

فلذلك أهل السنة والجماعة ما يؤيدون أبدًا أفعال الخوارج المتطرفين، ولا نقبل حل المهزومين نفسيا الذين كأنهم فقط يريدون رضا أهل الكفر.

فماذا نفعل؟

نصبر، ونتقي، وهذا له تفاصيله في كل موقف، ومن فعل هذا {فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}.

الخبر عن حال أهل الكفر وفيه اللوم عليهم وتصبيرنا (١٨٧-١٨٩)

سنبدأ الآن آيات جديدة ونعرف حال أهل الكفر:

قال الله تعالى:

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١]

هذه الآيات أتت بعدما تبين لنا موقفهم من تكذيب نبوة النبي صلى الله عليه وسلم والطعن فيها، ومن أمرنا باحتمال الأذى، فتكون هذه الآيات لوم عليهم، وتصبير لنا.

- **أما اللوم عليهم:** فإنه يقال لهم: كيف يليق بكم الطعن في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وأنتم أصحاب الكتاب.

- **وأما تصبيرنا:** فهذا خبر فيه بيان أن من ضمن الأذى الذي يكون من أهل الكتاب هو كتمان الحق، وليس هذا فقط، بل التمدح بأنهم أهل الحق.

لما تعيش هذا الموقف يكون موقف صعب جدًا أن تسمع من أهل الباطل يمدحون نفسهم أنهم أهل الحق!

هذا مثل الورقة التي كشفتها هذه الجائحة، ولازالت تكشف أوراقًا:

---

(١) سورة آل عمران ١٨٧ - ١٨٩

الآن كم أزعجونا بحقوق الإنسان؟! وكم اتهمونا بأننا لا نراعي حقوق الإنسان؟! كم تكلموا عن المرأة المسلمة الطاهرة النقية البعيدة عن الزنا ومقدماته، بحجابها وبعفتها؟ كم أزعجونا!

كنا نسمع هذا الكلام ونحن في حالة من الذهول، أن أنتم من لا تعرفون للإنسان حقوق؛ من استعبد أهل إفريقيا بأشنع المعاملات؟!هل في الفتوحات الإسلامية كلمة مثل هذه الكلمات؟!!

فلما هم يمثلون دور حامين حقوق الإنسان يكونون قهرونا قهرًا، وهم أهل جرائم في الأصل، ثم يمدحون نفسهم بعكس جرائمهم!

أتت الجائحة وكشفت الحقائق: أهل حقوق الإنسان هم القوم الذين بقوا أهم شيء عندهم الإنسان.

فالآن كل الذي تفعله حكوماتنا الرشيدة وفي غالب الدول المسلمة أن المهم عندنا الإنسان، وصحة الإنسان، وبقاء الغذاء والدواء تحت يده، والدولة التي تتمكن من تأجيره فعلته، وأنتم يا شركة كذا ساعدونا ولو وجدتم أحد يعمل برنامج حماية المستهلك، ووجدتم أحد يكدس شيء، أو يخزن شيء من هذا اتصل وبلّغنا، الآن صارت الجريمة أن أحد يكنز الكمامات مثلًا، وهذا صار في هذا الأسبوع أنهم قبضوا على أحد يحتكرها، الآن ما في احتكار؛ فمن الذي يهتم بحقوق الإنسان؟ هل من يسابق في التسلح، أم الذي يهمه تعليمه، وصحته، ودينه؟!

في المقابل هم ما مستعدون بأي شيء، وحتى في أماكن معيّنة أتت الأخبار تقول إنهم حاولوا يخفون وجود المرض عندهم، حتى لا تتضرر السياحة؛ لأن اقتصادهم قائم على السياحة، ولذا انتشر المرض لأن مثلًا تلك البلاد، وتلك البلاد ما عندهم إلا السياحة، وهذه أشهُر السياحة فسكتوا ليمشوا حالهم، وما هو مهم الإنسان عندهم! فكل كلمة كانوا يقولونها عن حقوق الإنسان كانت كلمة تغيظنا، لأنهم لا يعرفون الإنسان ولا يعرفون حقوقه،

ومن كان أكثر اطلاعا على الحقائق، يكون أكثر قهرًا أن يدّعي القاتل أنه بريء من دم المقتول، ليس فقط، بل ويدّعي أنه يبحث عن القاتل، ويريد يأخذ ثأره، وهو بيده الآثمة قتل المقتول، ويمثل دور أنه يدافع عن الحريات؛ هذا شأنهم في كل مسألة ابتداءً من حقوق الطفل، ومرورًا بحقوق المرأة، وانتهاءً بحقوق الإنسان.. كله كذب.

هذا واضح في الآية:

{لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا}[1]

(١) سورة آل عمران ١٨٨

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}[1] الذين هُم علماء اليهود والنصارى الله أخذ ميثاقهم.

{لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ} يعني المطلوب منكم إظهار جميع ما في الكتاب من الأخبار والأحكام، وأهمها نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

{وَلَا تَكْتُمُونَهُ}؛ فكما أمر سبحانه وتعالى بالبيان، نهى عن الكتمان مبالغة في إيجاب الأمر.

{فَنَبَذُوهُ} الضمير عائد على الميثاق.

{وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} تمثيل **للاستهانة** به، والإعراض عنه بالكلية.

{وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} واستبدلوا به ثمنًا قليلًا من حطام الدنيا

{فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} بتغيير كلام الله، ونبذ ميثاقه؛ لأن يوم القيامة كل من كتم علمًا ألجمه الله بلجام من النار.

{لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا}[2] بشراء الثمن القليل بتغيير كلام الله.

{وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا} يحبون أن يُحمدوا بأنهم أوفياء للميثاق من غير تغيير ولا كتمان.

{فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ} لا تحسبنهم بمنجاة من العذاب.

---

(٢) سورة آل عمران ١٨٧

(١) سورة آل عمران ١٨٨

{وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} بكفرهم وتدليسهم.

فهذه الحالة تنطبق تماما على **كل كلام أهل الكفر عن حقوق الإنسان**؛ لأنهم بين كذابين وبين مغفلين.

{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[١] وهذه فيها دلالة على التهديد؛ لأن إثبات أن لله ملك السماوات والإرض؛ أي السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء؛ بإحياء، إماتة، إثابة، تعذيب.

وأظن هذا الأمر الآن ما يحتاج له شرح، لأن الأمر تام الوضوح.

أن الملك لله وأنه لا أحد يستطيع أن يدفع ما قدّره الله، وأنت تسمع أن ديارًا اجتاحها هذا الوباء وديارًا آمنه سالمة ما أتاها؛ لأن هذا ملك الله يتصرف فيه كيف يشاء.

{وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} قادر على الكل؛ فلا يشذ أحد عن ملكوته، لا الكافرين، ولا المدّعين، ولا المتسلحين، وهذا كله تأكيد أنهم ليسوا بمفازة من العذاب فلن ينجوا، وتكون واهما إذا ظننت أنهم ينجون.

هذه الآيات تزيدنا يقينا، نحن متأكدين أنهم ما كانوا ينجون من عذاب رب العالمين.

---

(١) سورة آل عمران ١٨٩

فهذه من نعم الله أنك تقرأ الآيات فتنطبق تماما على ما تعيشينه، فيكون القرآن بالنسبة لكِ هو الدستور، متى أردتِي أن تفهمي أي شيء ستجدين في القرآن ما يدلك على الطريق المستقيم؛ لأننا أكيد قرأنا هذه الآيات كثيرا، وتدارسناها كثيرا، والدراسات من المؤكد فيها كلام آخر، وهذه نعمة يجب أن نشكرها أننا كلما وقعنا في أزمة وجدنا كتاب الله يرشدنا، كيف نفكر؟ كيف نتصور الأمور؟ وماذا ننتظر وماذا نتوقع؟

لذا أؤكد على طلبة العلم والمتصلين بالقرآن لا تفهموا الأمور التي تحيط بكم من كلام الجهّال، بل لازم تفهموها من كلام الله، وممن فهم كلام الله من العلماء.

وأنتِ أنزليها على الواقع الذي تعيشينه بدون تجاوز لكلام الله عزّ وجل وكلام السلف الصالح فيه، وبدون تجاهل لكلام الله.

- لا تتجاوزي به فتستشهدين على ما لم تعلمي.
- ولا بنفس الوقت تقصري في الإقبال على القرآن وفهم الواقع من خلاله.

فإذا نظرتِ للآيات عرفتِ أن كل واحد كذاب من هؤلاء الذين يفرحون بأشياء وقعوا فيها من قدرة على التحريف.

مثلا لما يأتي مستشرقون ويقرؤون القرآن ويحاولون أن يطعنوا فيه، يحاولون يطعنون في القرآن والسنة، ويجدون جمهورًا يشجعهم فيخرجون فرحانين، ثم بعد ذلك من الوقاحة يأتون

لكتاب الله ويبحثون عن أمور لا هي شُبهة ولا قريبة من شبهة، لكن لأن الجهل منتشر، فيأتي لمسألة ويجعلها كأنها شبهة، ثم يخرج وينعق ينعق فيهم وهم مثل البهائم يسمعوا له! ويأتيهم في لقاء يقول لهم أنا حريص أن أحرر عقولكم من التبعية، وهذا الإنسان الواعي، وهذا الإنسان الفاهم؛ فيكذبون، ويحبون أن يُحمدوا.. فيقول أتباعهم لهم ما ندري لو ما كنتم موجودين ماذا كنا فعلنا! وكنا بقينا في القطيع!!

فهم من كثرة ما يعتبرون الناس قطيع في هذا الفكر، ففي وسط الأزمة الآن يقولون: برامج علاج القطيع!

لماذا قطيع؟!! هل نحن بهائم؟!!

فهذا كلام يدلك على أن ما فيه إنسانية، ثم يخرج الناس يمدحون على أفعالهم؛ هم المنقذون هم المهتمون بحقوق الإنسان وأن حرر الناس وأعطيهم حريتهم.

أسأل الله أن تنكشف هذه الجائحة عن إيمان وتقوى عند أهل الإيمان، واعتزاز بالدين، وتحرر من فكر أهل الباطل.. اللهم آمين.

إذًا آية (١٨٨) **تبين حالة الخسة فيما يفعل الباطل، بل يترقى ويطلب ثناء الناس.**

خاتمة السورة

ثم قال الله تعالى:

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ}[١]

هذا المقطع في السورة من أعظم ما يُذكر ويُتلى ويُتفكر فيه، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآيات كما روت أمنا عائشة

---

(١) سورة آل عمران ١٩٠ - ١٩٨

رضي الله عنها قد استأذنها في تلك الليلة في عبادة ربه، فقالت له رضي الله عنها: إني أحب قربك، وأحب مرادك.

فأذنت له، وهذا من **كمال أدب النبي صلى الله عليه وسلم ومن كمال تربية الله له**، وإلا كان قام عبَد الله وتركها، لكنه يعلم حقوق الخلق فاستأذنها.

الشاهد أنه استأذنها وقام يصلي صلى الله عليه وسلم، وكان يبكي تقول عائشة رضي الله عنها: حتى رأيت دموعه بلت الأرض، فأتاه بلال يؤذنه لصلاة الفجر، فوجده يبكي، فقال له بلال: أتبكي يا رسول الله وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك؟! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟! ما لي لا أبكي وقد أُنزل عليّ اليوم آيات، ثم تلا الآيات، ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها، وفي رواية: ويل لمن لاكها -بين فكَّيه- ولم يتأمل فيها..

الله المستعان.

«يا عائشةَ! ذَرِيني أتعبَّدُ الليلةَ لربِّي قلتُ: واللهِ إنِّي أُحِبُّ قُرْبَكَ، وأُحِبُّ ما يَسَرُّكَ. قالتْ: فقامَ فتَطَهَّرَ، ثُم قامَ يَصلِّي، قالتْ: فلمْ يَزلْ يَبكِي حتى بلَّ حِجْرَه، قالتْ: وكانَ جالِسًا فلمْ يَزلْ يبكِي حتى بَلَّ لِحيتَه. قالتْ: ثُم بكَى حتى بلَّ الأرضَ. فجاء بلالُ يُؤْذِنَه بالصَّلاةِ، فلمَّا رآهُ يبكِي، قال: يا رسولَ اللهِ! تبكِي وقدْ غفرَ اللهُ لكَ ما تقدَّمَ من ذنبِكَ وما تأخَرَّ؟ قال: أفلا أكونُ عبدًا شكورًا؟ لقد أُنزِلتْ علىَّ الليلةَ

آيةٌ؛ ويْلٌ لِمن قرأَها ولم يتفكرِ فيها: إن في خلق السماوات والأرض الآيةُ كلَّها»(١)

إذًا نحن أمام هذه الآيات العظيمة التي لابد يكون لها نصيب عظيم من الاهتمام، ولابد نصل لمنهج صحيح في التعامل معها، والبشرى أن في هذا الزمان التعامل مع هذه الآيات أسهل بكثير من الأزمنة الماضية، وسيتبين إن شاء الله هذا المعنى.

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}(٢) في إيجادهما على ما هم عليه من هذه الخلقة؛ كارتفاع السماء، واتساع السماء، وكثافة الأرض، واتساع الأرض، وما في السماء من كواكب سيارات، وما في الأرض من بحار وأنهار وحيوانات ونباتات ومعادن، ما في الأرض من خيرات، وما في الأرض من شرور، كلها هذه أمور ترى فيها عجبا.

فكيف ما يكون هذا الوباء والجائحة آية من آيات الله في الأرض؟!

كيف ما تكون الطعوم المختلفة، والروائح المختلفة ما تكون آية من آيات الله ؟!!كلها آيات في خلق السماوات والأرض.

---

(١) الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترغيب الصفحة أو الرقم: ١٤٦٨ | خلاصة حكم المحدث: حسن

(٢) سورة آل عمران ١٩٠

فالوضع الذي نعيشه عمومًا في هذا الزمان يزيدنا الحمد لله من فضله القدرة على الوصول على تحقيق ما هو مطلوب منا في هذه الآية.

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}: إن هنا أداة تأكيد، يعني كأنه يقال: من المؤكد في خلق السماوات والأرض

{وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} يعني في تعاقبهما، وكون كل واحد منهما خليفة للثاني؛ فتعاقبهما يدلك على التغيير دائما، بمعنى متى صليت الفجر أمس؟ هل هي في موعد صلاتك للفجر الأسبوع الماضي؟ لا، ولا الشهر الماضي، ولا بعد شهر، فكله يدل على التغيير، فهذه تشمل الجميع، الكل يعيشها، فتصبح آية عظيمة.

{لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}

{لَآيَاتٍ} يعني أدلة واضحة تدل على عظمة صانعها، وعلى قدرته وحكمته ورحمته، ولما تتفكرين أكثر ومؤمنة تعرفين أسماء الله وصفاته وأفعاله؛ فكل تفكير يزيدك يقينًا بأسماء الله، حتى ما يكون في القلب أدنى شك في علمه، في حكمته، في رحمته، أو بالعكس يكون الإنسان لا يعرف الله، ثم يرى مصنوعة فيدله علي الصانع.

ولاحظي التنكير للتفخيم، يعني {لَآيَاتٍ}: هي كثيرة تدل على أمور كثيرة.

{لِأُولِي الْأَلْبَابِ} وهذا الفرق الذي يجعلك ما تساوي نفسك بغيرك، تقول إن هذه الجائحة بنفسها آيات ما متساوية عند كل الناس ونحن كلنا نعيش فيها، فهي آيات لكن ليست لكل الناس، الجائحة رحمة لكن ليست لكل الناس، والجائحة عذاب لكن ليست لكل الناس؛ لأن الله يخصص أنها آيات لأولي الألباب.

أولو الألباب هم القوم الذين صفت نفوسهم فانتفعوا بعقولهم وعلامتهم **طلبهم لزيادة الإيمان**.

كيف يعرف الإنسان أنه صاحب لب؟

إذا كان مطلبه في أيامه ولياليه يطلب زيادة الإيمان، أهم مظهر لصاحب اللب كثرة ذكر الله.

ولهذا ظهر هذا في الآية التالية:

الصفة الأولى لأولي الألباب:

{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ}[1] ، من علامة أنهم أولو الألباب ذكرهم لله.

{قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ}، فلا يخلو حال من أحوالهم من ذكر الله، وهذا كنز عظيم؛ هذا الذكر الذي هو لإزالة كل أثر للذنب، وتطهير للقلب وتقوية للإيمان، بل وتقوية للبدن.

---

(١) سورة آل عمران ١٩١

فلا يخلو حالهم أبدًا من ذكر الله، وذكر الله ممكن يكون بالقلب واللسان في الذكر المطلق أو المقيد، وممكن أن يكون بتلاوة القرآن، وممكن بطلب العلم، فهم في كل أحوالهم لله ذاكرين.

وفي رسالة ابن تيمية في القلب وأن القلب خُلق للعلم، وذكر ابن تيمية كيف يكون الإنسان ذاكرًا لله.

أولو الألباب ما يميّزهم أنهم يطلبون زيادة الإيمان، ولهم صفات ظاهرة، أول صفة ظاهرها أنهم يذكرون الله، وذكر الله من أسباب زيادة الإيمان

والصفة الثانية:

{**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**}

هم يعلمون أن الله عزّ وجل لما خلق السماوات والأرض جعل فيهما دلائل، فما خرج ولا دخل الإنسان إلا وقد رأى في السماوات والأرض دليلا.

ولذلك قد أُثر عن أبو سليمان الداراني قال: (**إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء، إلا رأيت لله عليّ فيه نعمة، ولي فيه عبرة**).

فهم ينظرون لكل شيء بهذه الطريقة، فإذا رأى النملة تدب وتحمل غذاءها وتجتهد رآها عبرة له؛ في الاجتهاد للوصول إلى مطلوبك، وأن لابد من أسباب، وأن الله يرزقك على حسب ما تُظهر من جد واجتهاد في طلب الشيء.

وهنا في مسألة التفكر لابد أن نذكر نعمة الله علينا التي نتمتع بها اليوم، فأنت في دارك لم تجوب البحار، ولم تسير في القفار، ولم تطير في الهواء، لكن يأتيك تصوير هذه الأمور، وتأتيك التقارير المكتوبة الموثقة التي تدلك على عظمة خلق الله.

فلا تستهن بهذا، بل اهتم به، واعط نفسك فرصة للتفكر، واجعله عباده.

ولذلك لما سئلت أم الدرداء عن عبادة أبي الدرداء قالت :(**كان يطيل التفكر**)، فكأنهم استقلّوها، فنبهتهم إلى هذه الآية وأن هذا من صفات أولي الألباب، بل هذه الصفة من أكثر الصفات التي تثبت اليقين.

كل مفسر يأتي في هذه الآية بشيء ربما هو عاشه في التفكر؛ فاقرؤوا مثلا لصاحب محاسن التأويل(القاسمي) اقرؤوا له: كيف لفت النظر إلى ورقة الشجر؛ كيف أن عروقها تمتد كبيرة، غليظة، بعد ذلك تصبح دقيقة في الورق، بعد ذلك هذه العروق الممتدة في الورقة مرتبطة بالساق، وهذه الساق ممتدة فيها عروق ، وهذه العروق تدخل للداخل ، هذا دليل عظمة الله .

المشكلة الاعتياد؛ هذه الآية تقول أولي الألباب ليسوا أهل اعتياد، ما يعتادوا على النعم، ما يعتادوا على المناظر التي يرونها الدالة على عظمة الله، بل كل مرة يتفكرون، كل مرة يتأملون، وكل

مرة يصلون في قرارة نفوسهم إلى سبحان ربي العظيم، سبحان ربي الأعلى، سبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة!

حتى يصلوا لهذه النتيجة: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا}

يعني يصل الإنسان إلى اليقين، أنه لا يمكن أن يكون هذا باطلا لا نتيجة له، ليس وراءه عاقبة، مستحيل.

فهذه النتيجة تدفع الإنسان لأي شيء؟

يعني ما خلقت هذا في حال خلقه باطلًا، **إنما خلقته حق وللحق**، فمن المؤكد أن خلقه حكمة لبيان عظمته وصفاته وكبريائه.

نرى الآن الانتقاله:

{فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}

كيف وصلوا لهذه النتيجة؟

لأن الإنسان إذا اعتقد أن هذا باطل خالٍ من الحكمة، سيستوي عنده الصالح والطالح، والمطيع والعاصي.

هم يقولون لا يمكن لمن وضع كل شيء في موضعه في الدنيا أن يساوي بين الطائع والعاصي، وبين الصالح والطالح، بل نحن على يقين أن لكلٍ مستقرا مناسبا، فنسألك يا رب العالمين أن نكون من الناجين.

وهذا يشبه ما مرّ في سورة البروج، كيف أقسم سبحانه وتعالى بالسماء ذات البروج وبالأشياء الموضوعة في موضعها، واليوم الموعود؛ أي ما دام ترى السماء ذات البروج وكل شيئ موضوع في مكانه، ففي اليوم الموعود كل شيء سيكون في مكانه، يعني المؤمن الطائع، والكافر العاصي أو الفاسق.

ضروري جدا تراجعون هذا المعنى إلى أن يثبت في نفوسكم، الربط بين {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا}، وبين {سُبْحَانَكَ} ، وبين {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}:

فأنت تفكر، تفكر- ضروري التفكر هذه عبادة عظيمة- إلى أن تصل إلى: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا}؛ كل شيء موضوع في موضعه؛ فنحن ننزهك أن يكون خلقك للأشياء باطل، وأن الدنيا تنتهي الظالم ظالم، والمظلوم مظلوم، الصالح صالح، والطالح طالح، لا. {سُبْحَانَكَ}، ننزّهك أن تكون هذه نهاية العالم.

نحن مؤمنين أنه ليس باطلا، بل هو حق، مادام حق وأنت الحكيم، وضعت كل شيء في موضعه، فنحن متأكدين أنه سيأتي اليوم الذي يوضع فيه الصالح في مكانه، والطالح في مكانه فنجّينا.

ولسنا من أهل الغرور الذين انخدعوا بالفرحين، الذين فرحوا بالمصائب التي أتوا بها، واغتروا بحمد الناس!

وكانوا يقولون لماذا تقولون النصارى يدخلون النار؟! لما تقولون على اليهود يدخلوا النار؟! لما تقولون على البوذية، هؤلاء لهم قناعاتهم ولهم الحرية بها؟!

{سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}، لا يمكن أن يتساوى أهل الباطل مع أهل الحق.

وأهل الحق هو لست أنت؛ أهل الحق هو الطريق الذي نمشي فيه، وكل من دخل في الطريق، وهذا الهندوسي إذا أصبح مسلما دخل في طريق الحق وصل عند ربه، هي ليست حكرا علينا؛ فهي ليست قومية.

كل المشكلة أن الرُّوَيْبِضة يتحدث، ويتشكك ويتكلم، والأمور تامة الوضوح ، وكما قال علي رضي الله عنه :(العلم نقطة كثرها الجاهلون)؛ في كل وقت يتحدثون بما لا ينبغي أن يتحدثوا.

نكمل الآن دعاءهم و انظري للخوف الذي في قلوبهم:

{رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَفَقَدْ أَخْزَيْتَهُ}(١)

معنى ذلك أنهم لما قالوا: {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} عُلم أن هناك صالحين وهناك طالحين؛ فهم يقولون نحن مؤمنون بمن هم الفائزون ومن هم الخاسرون، وهذا يردكم على آية {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِوَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}(٢)

---

(١) سورة آل عمران ١٩٢

(٢) سورة آل عمران ١٨٥

{رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَفَقَدْ أَخْزَيْتَهُ}؛ يعني أهنته، وفضحته بين أهل الموقف.

لاحظوا أنهم **يتوسلون بشرح ما يعتقدون**، وهذه حالة عجيبة من أحوال مناجاة رب العالمين، **وهذا في الدعاء يكون الدعاء أكمل بسببه.**

فالله يعلّمنا هنا آداب الدعاء، **من آداب الدعاء شرح ما تعتقد في مطلبك.**

يعني مثلا يوسوس لك الشيطان، وتأتيك فكرة، ثم تستعيذ بالله منها، يا رب احفظني من هذه الوساوس، وأنا أكره هذا الكلام، يا رب أحفظني منه، يارب هذا وسواس الشيطان، يارب لا تسلطه عليّ، يارب إن سلطه عليّ فإني لن أستطيع أن أخرج منه،

وهذا يشبه {رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ}[1] ؛ يعني يشرح مطلبه على ما يعتقد، فيكون هذا من آداب الدعاء .

تقولين يا رب ارزقني مالًا حلالًا وأعني فيه لأنفق في سبيلك، يا رب أريد أن يكثر مالي ليكثر إنفاقي، اجعلني صادقة، وأنت وضعت في قلبي حب الإنفاق، فارزقني وأعني لأنفق في سبيلك، وارزقني أحد أنفق عليه لأكون صادقًا.

بهذه الطريقة المناجاة التي فيها شرح الأسباب،

---

(١) سورة يوسف ٣٣

فهم يقولون {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}، ممكن ينتهي الكلام هنا، لكنهم قالوا {رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}؛ يعني نحن نعتقد أنه ما للظالمين من أنصار؛ فيكون الدعاء فيه شرح الاعتقاد، فيتم للإنسان مقصوده في كونه يتأدب بآداب الدعاء، ويكون مأجورا إن شاء الله على تصريحه بعقيدته.

الآن في موقف طلب الحفظ، فتقول: يا رب الناس يخوفونا ونحن نعرف أنك حافظ لنا، وأن لنا معقبات من بين أيدينا ومن خلفنا وأن هؤلاء الملائكة الكرام حافظين لنا بأمرك ولا يتخلون عنا إلا إذا وقع القدر، فنسألك أن تزيدنا يقينًا بهذا الحفظ، وتجعلنا ممن حفِظَك فحفظتُه، فاشرحي عقيدتك، وربنا يعلمها، لكن هذا من باب التصريح بما تعتقد، فاستجلبه من داخل فؤادك، وتكلم به؛ فهذه الآية فيها هذا البيان

لما يكون تائب من ذنب يقول: يا رب لا تريني هذا الذنب يوم القيامة، فأنا أستحي منه يوم القيامة، فلا تفضحني بين الخلائق، فهو متيقن بهذه الأحداث، وهذا هو المطلوب، أنك تكون قد وصلت لدرجة اليقين، إلى درجة أنك تطلب طلبك مشفوع بأسبابه.

لمَ لا تريد النار؟

لأنك من أدخلته النار فقد أخزيته، الذي يدخل النار هو الظالم، الظالم ليس له أنصار، لا تجعلني مع هؤلاء.

فتصور في هذا الموقف يظهر يقينك بالنار، ويقينك بيوم القيامة، ويقينك بالفوز والفلاح، ويقينك بالخيبة والخسارة، وأنه لا ناصر إلا الله، وكل هذا يظهر من كلامك، وهذا يحبه الله، وإنك عندما تحرك هذا في نفسك كأنك تحرك الأرض لتنمو العقائد أكثر، والله عزّ وجل مطلع على حقائق الخلق.

لا زلنا نكمل ما نعتقده في هذا الدين وهذا الإيمان وهذا الرسول:

{رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا}[١]

المقصود بالمنادي هنا القرآن على أصح الأقوال كما ذكر الطبري، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وإن كان ينطبق عليه هذا القول ينطبق عليه في حال حياته، أما بعد مماته فالمنادي للإيمان هو القرآن.

{يُنَادِي لِلْإِيمَانِ}

ما معنى مناداة القرآن للإيمان؟

يعني يُعلّم الخلق عن الرب، ويبين لهم كمال صفاته، فيدعوهم إلى أن يكونوا له مسلّمين، وبه مؤمنين، وعليه متوكلين.

وهذا فيه رفعة لشأن المنادي، والمنادى عليه؛ يعني رفعة لشأن القرآن، وشأن الإيمان.

---

(١) سورة آل عمران ١٩٣

{أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا}

يعني الإنسان يشرح أني امتثلت لنداء المنادي، وعرفت مِن القرآن أنك حكيم فآمنت بك، وأنك رحيم فآمنت، فكنت مؤمنًا مصدقًا.

{رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا}

لاحظوا تكرار التضرع، وإظهار كمال الخضوع، ربي أنت الذي خلقتني، ربي أنت ربيتني، وأنعمت عليّ وأنت صاحب الفضل.

فالنداء بربنا اعتراف باستحقاقه للألوهية.

يعني الرب هو الربوبية، والنداء به اعتراف باستحقاقه للألوهية.

{وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا}

يعني هذه همومنا، وكل ابن آدم خطاء، فنحن لك وليس لغيرك ملتجئين في أن تستر لنا عيوبنا، ولا تفضحنا بها، وكفر عنا سيئاتنا بتبديلها حسنات، فهذا أكبر هم يحمله العبد: الذنب الذي يخاف منه أن يسخط عليه بسببه الرب؛ ولهذا في هذه الجائحة فالواجب علينا عمومًا كثرة ذكر الله، وخصوصًا الاستغفار.

{وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ}

وهنا تظهر مسألة الصحبة؛ بمعنى نكون **في الحياة** أصحابهم، **وحال الموت** معدودين في جملتهم، **ويوم القيامة** نكون في درجتهم، ومن أجل هذا من أخطر الأشياء على الإنسان هو مع مَن الآن؟

مع الأبرار أم الفجار، مع المنافقين مع الأشرار، مع من؟!!

{رَبَّنَا وَ آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ}[١]

- ✓ على تصديق رسلك، والإيمان بها.
- ✓ أو ما وعدتنا من الثواب على لسان رسلك

هذا كله طلبات يشرحون فيها عقيدتهم، يتوسلون فيها إلى مطلبهم.

يعني لو ربنا توفانا مع الأبرار فخلاص الإنسان ضمن أن يكون في جنات النعيم، لكن هم يزيدون إيمانا يعني نحن مؤمنون برسلك، ومؤمنين أنهم وعدوا وعودك، ونرغب في هذه الوعود؛ يعني إما آتنا أجر ما صدّقنا الرسل، وإما آتنا الأجور أو الثواب الذي وعد به الرسل، طبعا لاحظتم ربنا، ربنا، ربنا، ربنا، ربنا

{وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ}

خائفين من الخزي؛ لأن هذا أكثر شيء يخافه الإنسان الفضيحة، كأنهم يتذكرون أن يوم القيامة كما في سورة التحريم:

---

(١) سورة آل عمران ١٩٤

{يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ}[1]، هذا اليوم الذي لا تخزي فيه النبي والذين آمنوا معه اجعلنا معهم، {وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ}.

فكأن هذا يتضمن طلبهم أن يكونوا مع النبي والذين آمنوا معه؛ يعني اجعلنا ممن آمن مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم تخزه.

ثم ذكروا بكل تأكيد عقيدتهم:

{إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} هذا ما نعتقد بكل تأكيد

{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ}[2] الفاء تدل على سرعة هذه الاستجابة.

{أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} يعني بأني لا أفعل هذا.

لاحظوا تأكيد العموم: {بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} يعني الذكر من الأنثى، والأنثى من الذكر في مسألة الأعمال، كلكم بني آدم؛ هذه جملة اعتراضية، يعني الله في وعوده كلها وعد العاملين ذكورًا كانوا أو إناثًا.

{فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا} تفصيل لعمل بعض العاملين من باب تعظيم هذا العمل؛

---

(١) سورة التحريم ٨

(٢) سورة آل عمران ١٩٥

يعني الذين عملوا هذه الأعمال العظيمة فهم أولى الناس في ألا يضيع عملهم.

ما هي أعمالهم؟

✓ {هَاجَرُوا}: تركوا أوطانهم التي كانت فيها الفتنة، والهجرة باقية ليوم القيامة.

✓ {وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} التي ولدوا فيها، ونشؤا فيها، شُرّدوا عنها من أجل دينهم، اختبار عظيم.

✓ {وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي}: يعني من أجل الله، في سبيل الإيمان نالهم الكفار بالأذى؛ ولذلك لما ترى المسلمين في الصين، ومن هنا، وهنا إذا أتاهم الأذى، هؤلاء إذا ثبتوا يدخلوا مباشرة تحت هذه الآية.

✓ {وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا} يعني حصل جهاد، قاتلوا في سبيل الله وقُتلوا.

فوعدهم الله:

⇦ {لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} الله عزّ وجل يقسم هنا وتصريح بوعد ما سأله الداعون.

⇦ {وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} لازال هذا الوعد، أنه سيكفر عنهم السيئات، ويدخلهم الجنات.

{ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} يعني تكفير السيئات وإدخال الجنات إثابة من الله وأضيفت إلى الله: {ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} لتدل على التعظيم.

{وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} حسن الجزاء لمن عمل صالحًا، أما غير الله فليس عنده لا حسن الثواب ولا سوء العقاب.

انتهى اللقاء بحمد الله.

اللقاء الثاني والعشرون (٩ شعبان ١٤٤١ هـ)

الآيات (١٩٦-٢٠٠)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الأخير خاتمة دراسة هذه السورة المباركة، وقد شاء الله أن تكون خاتمتها عن بُعد، لكن المعاني التي في خاتمة السورة من المعاني الضرورية اليوم وكل يوم، من المعاني الضرورية التي يجب نستحضرها في كل حال.

اليوم هذه المعاني نحن في حاجة لفهمها بصورة أعمق، وكأننا الآن لسنا في حال نقول فيها سترون قدرة الله، إنما الآن سنقول رأيتم قدرة الله، وشاء الله أن تكون هذه الخاتمة الآن لتكون صيغة الخطاب والكلام وفهم المعاني مختلف.

ربط بين خاتمة السورة ومقدمتها

نبدأ الآن مراجعة خاتمة السورة التي تبتدئ من آية (١٩٠) لنصل لهذا الموطن (١٩٦)

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ

جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا
بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ
فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا
مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا
عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)
فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ
أُنْثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ
حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ
(١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَٰكِنِ
الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ
لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ
اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا
وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)}[١]

---

(١) سورة آل عمران ١٩٠ - ٢٠٠

نبدأ بالمراجعة ليظهر لنا السياق واضحا من قوله تعالى:

{فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ}[1]

هذه بداية نهاية المناقشات؛ فلو نظرنا لهذه الآية (١٨٤)، ونظرنا لمطلع السورة:

{فَإِنْ كَذَّبُوكَ}: يعني أهل الكتاب الذين أصلا السورة تناقشهم وهم رأسًا النصارى وتبعًا اليهود.

لكن تبع لهم في النقاش؛ لأن هذه السورة مدنية فحصل تواصلًا بين اليهود وأهل الشرك، وبين النصارى وأهل الشرك، وحصل تعاون بين اليهود والمنافقين.

فهي في أهل الكتاب أصلًا، وفي المشركين والمنافقين تبعًا.

وفي البداية اتفقنا أن السورة مقسومة لقسمين، **وهي كلها تدور حول رد شبهات القوم على التوحيد.**

فسورة البقرة أسست التوحيد، وآل عمران تردّ الشبهات عن التوحيد.

الشبهات أتت من طرفين: أهل الكتاب، والمنافقين.

وغالبا أن أهل النفاق يستقبلون من أهل الكتاب، فنستطيع نقول إن بداية نهاية المناقشات هي آية (١٨٤)، **ولنتأكد نرى بداية السورة:**

---

(١) سورة آل عمران ١٨٤

بداية السورة كما تعلمون ابتدأت بالحروف المقطعة، وتعظيم رب العالمين، وأنه المستحق للألوهية؛ لأنه الحي القيوم، وأن الله هو منزل التوراة والإنجيل والقرآن؛ فالواجب أن يحصل من الجميع التسليم للنبي صلى الله عليه وسلم.

والتوراة والإنجيل والقرآن كله نزل من رب العالمين، فالواجب الإيمان بمن أنزلها، وبمن أرسله الله بها، فالله أرسل موسى بالتوراة، وأرسل عيسى بالإنجيل، وأرسل محمد بالقرآن صلى الله عليهم جميعًا وسلم، كلها هدى للناس وهي فرقان.

ففي آية (٤) قال الله تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ}[١]

ومن بداية السورة ظهر أن هذه الكتب كلها تدلنا على طريق واحد، وهذا أمر اتفقنا عليه.

- {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} في أول السورة هم في آخر السورة {فَإِنْ كَذَّبُوكَ}.

ما طرق تكذيبهم؟

(١) سورة آل عمران ٤

كل السورة تتكلم عن طرق تكذيبهم، وإبطالهم للحق، وردّهم له،

فوصف الله نفسه بالكمال:

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[١]

وتصويركم في الأرحام لابد أن يوصلكم أنه لا إله إلا الله.

وفي ختام السورة: المؤمنين ماذا يفعلون يتفكرون في خلق السماوات والأرض

- ففي بداية السورة لفت نظر للتفكّر في أنفسنا، وفي آخر السورة لفت نظر للتفكر في خلق السماوات والأرض.

- المؤمنون في أول السورة سماهم رب العالمين:

{وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}[٢]

فأولوا الألباب سيرتهم أتت في أول السورة، وسيرتهم أتت في آخر السورة أنهم هم الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض؛ {إِنَّ

(١) سورة آل عمران ٥ - ٦

(٢) سورة آل عمران ٧

فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}

- في آخر السورة يقولون: {سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}.

وفي الأول يقولون: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}[١]

يعني بين تفكّرهم، وبين وصولهم إلى: {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}، كان فيه: {لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}[٢].

فالجملة التي في آخر السورة {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}أتت من النتائج التي كانت في بداية السورة{لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} **فما طلبكم؟**

{فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}، التي في آخر السورة.

فكلما قرأت هذه الآية {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}، **فكري ماذا يريدون؟** {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}

---

(٢) سورة آل عمران ٨

(٣) سورة آل عمران ٨ - ٩

- نرجع مرة أخرى للذين كفروا في أول السورة:

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ}[1]

وقرأنا في آخر السورة:

{لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}[2]

ونموذجه:

{كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[3]

في أول السورة: {وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ}[4]

- في أول السورة {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}[5]

وفي آخر السورة: {مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}[6].

---

(١) سورة آل عمران ١٠
(٢) سورة آل عمران ١٩٦ - ١٩٧
(٣) سورة آل عمران ١١
(٤) سورة آل عمران ٤
(١) سورة آل عمران ١٢
(٢) سورة آل عمران ١٩٧

هذا المتاع القليل أتى الكلام عنه بوضوح: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}(١)

وفي آخر السورة:

{لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ}(٢)

- {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}(٣)

والذين {يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}(٤)

وماذا طلبوا؟

---

(٣) سورة آل عمران ١٤-١٥

(٤) سورة آل عمران ١٩٨

(١) سورة آل عمران ١٦

(٢) سورة آل عمران ١٩١

{رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ}[١]

وهذا المعنى كان في بداية السورة ظهر جلياً في ختام السورة.

- الآن انظروا للمعنى الذي سيُختم به السورة أمرًا؛ **ففي <u>بداية السورة نُخبَر عن صفاتهم:</u>**

{الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}[٢] ، ولا تنسوا المستغفرين بالأسحار؛ لأنهم هم الذين يقومون بالليل، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض.

وفي آخر السورة:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[٣] **وهذا لا يصدر إلا من**{الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}

<u>فكان من آية (١) إلى الآية (١٧) وهو مطلع السورة هو نفس المعاني التي تبتدئ من آية (١٨٤).</u>

فمن آية (١٨٤) فيه زيادة بيان وإيضاح وتكميل لـ من آية (١-١٧)، وبهذا تلتئم مطلع السورة مع نهاية السورة، <u>خصوصًا آية (١٨٥) في ختام السورة، هي آية فاصلة في تفكير المؤمن.</u>

---

(٣) سورة آل عمران ١٩٣

(٤) سورة آل عمران ١٧

(٥) سورة آل عمران ٢٠٠

مثل آية {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}؛ فهذا المقطع فضله وبيانه واضح، لكن آية (١٨٥) لازم تكون أمام أعيننا طول الوقت لنتسلى ونعرف النهايات من البدايات، لنصحح خططنا، ونشغل أوقاتنا، ونندم على تفريطنا، ونتوب ولا نعود للتفريط في أزمنتنا، ونطلب من ربنا أن يعيننا على الانتفاع بيومنا وليلتنا، كل هذا يأتي في آية (١٨٥)، والحقيقة أنها آية جديرة بأن يُذكَّر بها دائما، ويفصَّل معناها في كل حال، وفي هذا الذي نمر عليه خاصة من الضروري التذكير به.

دعونا نعدّها كم جملة:

{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}، **هذه الجملة** اليقين الذي هو أشبه بالشك كما قال السلف؛ يعني من المؤكد أن كل نفس ذائقة الموت، وأكيد في الفترة هذه التي نمر بها والعيون كلها متجهة لشيء واحد مخوف، والناس كلهم خائفين على صحتهم أن يموتوا، فأكيد مات آلاف بغير المرض، فمع خفة الحركة المرورية الآن، ولازال الناس يموتون بالحوادث وهذا حقيقي؛ الأسبوع الماضي بداية الحظر قدّر الله لرجل أن يخرج بسيارته هو وولده ويحصل لهم حادثا ويموتون؛ فلا في زحام ولا فيه شيء مما نتخيله الآن أن يكون سببا للموت، وما ماتوا بما يخافونه الناس.

فهذه قاعدة عند السلف: (**ما فيه يقين أشبه بالشك من هذه الجملة**)؛ فطول الوقت أمام أعيننا.

ونرتب على هذه النهاية أمور:

{وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}

إذًا في توفية، وستأخذ حقك وأجرك كاملًا؛ أجوركم التي تستحقونها؛ وهذا معناه أننا بحاجة شديدة لمعرفة أن الحياة مكان للأعمال التي سنوفّى عليها أجورنا يوم القيامة، فنحن نعرف هذا الشيء، لكن الإشكالات يجر بعضها بعض؛ يعني {**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**} حقيقة مسلّم بها، لكنها ما هي العنصر الأساسي الذي ننظر له لما نتخذ قراراتنا.

ثم يأتي الأمر الثاني حتى لا أيأس، وأتوقف عن العمل؛ فالجملة التالية تبين أن هذه الحياة مزرعة، مكان للعمل، ثم ستوفى أجرك يوم القيامة.

إذًا الآن هذه جملتان على أساسها أؤسس كل مرادي، فلا تغفل عن هذا الوقت، وتقول لما أنهي شهادتي الثانوية أو أنهي الجامعية أو أنهي كذا ثم نبدأ نخطط لما بعده!!

لا / بل في خلال هذا أنت ما عندك إلا هذا الوقت؛ ولذلك كم يُمدح شاب نشأ في طاعة الله!

دعونا نرى النتائج الآن التي على أساسها تأخذ قرار في الأعمال التي ستختارها:

{فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}، فهذه الجملة الثالثة التي تحدد المعيار للفوز، وهذا أكثر شيء الناس في حيرة منه.

من الفائز؟

ولذلك اليوم وأنتم تقدمون برامج للشابات والفتيات، ضروري يأتي هذا السؤال: **من يفوز في النهاية؟ من الفائز الحقيقي؟**

من الضروري يلتفت نظرهم أن هذا المفهوم مفهوم مقدس.

فلما نضع هذا المعيار للفائزين الجملة التي قبلها ستكون غاية الضبط، لأنك ستعرف ما الذي المفروض أن تقضي وقتك فيه بالعمل من أجل توفى أجرك يوم القيامة.

فإذا كان الفائز هو الذي زحزح عن النار وأدخل الجنة، إذًا ليس الفائز مثلاً من أخذ جائزة نوبل، وليس الفائز تلك المرأة الوحيدة التي حصلت مرتين على جائزة نوبل!

الطموح والآمال أن تزحزح عن النار وتدخل الجنة، وهذه الطموح والآمال لا تمنعك من الرفعة في الدنيا، لكن أنت ما يهمك الرفعة في الدنيا، لأن الجملة الرابعة ستضع الدنيا في خانتها الصحيحة: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}، وهذا أمر ممكن

الإنسان أن يقضي حياته كلها ليصل لحقيقة الدنيا، وربما ما يوفق ولا يصل إليها إلا وهو يموت.

ولذلك في كثير مما ينقلون -والله أعلم بصحتها- كلمات لعلماء وأناس لهم مكانتهم العلمية وهم يحتضرون يقول له لا تقول لي أنا الحاصل على شهادة كذا وكذا سأموت! على تفكيره أن هذا كله يسبب له المجد والبقاء، فكما أنهم مسلّمون أن الناس كلهم يموتون، لكن الشيطان يعيّش الناس في غفلة تجعل الموت يتجاوزهم، ويأتي لمن بعدهم!

فتأتي الجملة الرابعة تحدد لنا التفكير السليم الذي به ننتفع من أزمنتنا: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} **هذه هي الحقيقة.**

سبحان الله العظيم! سبحان منزل الكتاب! سبحان ربي العظيم!

ماذا سنقول لربنا بعد هذه الآية؟

قال لنا: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}، وهذه حقيقة ليست غيبية الناس كلهم يعيشونها، يترتب عليها حقيقة غيبية: {وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}

إنما: أداة حصر؛ يعني في النهاية، الدنيا ليست مكان لتوفية أجرك أيها المؤمن، لا تقول أنا بالإيمان لم أرتفع، وأنا بالإيمان لم أُكرّم، أنا مؤمن وأُهنت، فلا تقل هذا الكلام، إنما توفية الأجر يوم القيامة؛ لأن هنا مكان للزرع، والحصد لما نلقى ربنا.

أعطانا ربنا معيار الفوز: {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}

وماذا نفعل في الدنيا؟

{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}، فخلاص الأمر حُكم فيه.

على كل حال هذه الآية عظيمة في معناها، يسيرة في فهمها، مرشدة لخطة العمر، لكن الموفق من وفقه الله.

فمهما كان الآن أحوالنا، أو أوضاعنا، أو أعمارنا، فلازم هذه الآية تكون بين عينينا، وهذه تسلية لكل المؤمنين الذين رأوا تكذيب الكافرين {فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ}[١]

ماذا يجب عليك أن تفعل؟

اعرف أنه إذا لم يحصل في الدنيا ظهور لهذا المعنى يحصل في الآخرة {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}

إذًا أنت أيها المؤمن، أيها التقي **هل ستعيش الدنيا وما أحد يؤذيك في دينك؟**

الجواب: لا؛ ستأتي آية (١٨٦) تخبرنا عن هذه الأذية:

{لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ}

هذا الأمر الأول: سيأتيك بلاء في مالك ونفسك، وأنت ماذا تحسب هذه الجائحة التي تمر علينا؟

---

(١) سورة آل عمران ١٨٤

بلاء في أموالنا وفي أنفسنا، نزل على كل واحد بطريقة مختلفة؛ ناس حلت على أبدانهم -الله يشفيهم، ويرحم الموتى بهذا المرض، وفي كل بلاء وفتنة تقع عليهم، فالله يرحمهم جميعا، ويرحم أمواتنا وأموات المسلمين جميعا، وناس حلت في أموالهم وممكن يكونوا معا.

فلا تجزع يا مؤمن؛ لأن كل نفس ذائقة الموت، والفوز الحقيقي يوم القيامة، وهذا البلاء ستوفى أجره.

ولاحظوا آية توفية الأجور أتت قبل آية البلاء لتستعد ولا تبتئس؛ أكيد سنُبلى، وليس لأنك مؤمن، ستُمنع بحائط زجاجي من كل بلاء وفتنة، بل تُبتلى ممكن أكثر من غيرك.

وهذا البلاء يأتي بالأقدار، فالدنيا دار بلاء، يُبتلى المؤمن مثل غيره، لكن ينزل عليه البلاء رحمة، وينزل على غيره عذاب.

هناك نوع بلاء آخر:

{وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا}

وهذا البلاء هو الإيذاء في عقيدتنا، وهو شأن قوي جدا على الإنسان أن يؤذى في عقيدته؛ لأن ممكن يكون أثرها هزيمة نفسية فيصبح بلا هوية؛ رأى هؤلاء لبسوا لَبِس مثلهم، هؤلاء قصوا شعرهم قصَّ مثلهم، هؤلاء جعلوا نفسهم شجعان تجاه المرض وهذا التصرف عند شباب المسلمين، إنما هو مستورد من شباب

الكافرين، فهذا مستورد من الرأسمالية المتوحشة ويقولون المرض هذا ما يصيب إلا العجائز ويميت، فخلاص خلونا نخلص منهم!

وقد ذكرت لكم سابقا أن فيه شعوب صرحت أن موت هؤلاء العجائز توفير لنا في السكن، وتوفير لنا في أقساط البنوك، وتوفير في غرف البيوت، دعوهم يموتون! وخرجوا بحالة متباهين بنفسهم أنهم ما يصيبهم المرض! وكل مرة يتكلمون عن الدول التي سقط فيها عدد كبير، يقولون ونسبة الشيخوخة فيها كبيرة! على أن الشباب ما يموتون!

فهذه الفكرة نفسها تسربت لبعض الشباب عندنا؛ ففعلوا نفس الأفعال، وصاروا يخرجون يقولون نحن بخير وما يحصل لنا إلا الخير، والمرض ما يميت إلا العجائز!

طبعا الحمد لله حكومتنا الرشيدة بيد من حديد رمت على الجميع القرارات وألزمتهم جميعا، لكن انظري فقدان الهوية؛ أنت تعرف أن {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}، أنت تعرف أنه لا كبير ولا صغير؛ المرض هو المرض والموت هو الموت، والقدر هو القدر، ومن لم يمت بالسيف مات بغيره، **ما الغرور والكبر هذا**؟! وأنت المفروض في هذه اللحظة خاضع منكسر.

ثم إنّ هؤلاء الكبار في السن عند الكفار، فلا والدين يبروهم، ولا عمة ولا خالة يوصلونهم، ولا همهم إلا الفردانية، لكن أنت تعرف هنا من الكبار في السن: أمك، أبوك، جدتك، عمتك،

خالتك هؤلاء الكبار في السن، وأنا متأكدة أن كل هؤلاء الذين تصرفوا هذه التصرفات هذا البُعد موجود غير موجود في أذهانهم، يعني ما في ذهنهم هذا والدي أو هذه والدتي.

فيجعلون الموضوع بعيد عنهم؛ لأن الحمد لله ونسأل الله يزيد ويبارك، فالجماعة الذين يشهرون بعقوق الوالدين نادرين، ونسأل الله ألا يذيق مجتمعنا هذه المصيبة العظيمة.

على كل حال المقصود أنك تسمع في عقيدتك من الذين أوتوا الكتاب، ومن الذين أشركوا أذى كثيرا، وهذا أمر مؤلم يسبب إحدى الحالتين:

١- أن الإنسان يشكّ في دينه، ويحاول أن يخرج من هويته، ويكون مهزوما نفسيا.

٢- أو حالة الانكماش على النفس، والاحساس بالذل.

والاثنين يقال لك هذه بلوى تقع؛ فالواجب الصبر، والشجاعة الإيمانية والاعتزاز بما تحمل مهما كان حال الناس حولنا.

ولذلك لما تقرأ في التاريخ، ماذا فعل الروس بالبولنديين؟

كانوا يمنعونهم في مدارسهم أن يدرّسوا لغتهم، ويفرضون عليهم أي شيء يتصل بأدب بلادهم ممنوع.

فكانت ماذا تفعل المدارس لتحافظ على لغتها؟

جدول يحفّظونه الطلبة، إذا رن الجرس بهذه الطريقة خرّجوا هذه الكتب وأدخلوا الكتب الثانية، وإذا رن الجرس بهذه الطريقة

فنحن ماشيين على جدولنا الأساسي الذي هو لغتنا ولغة بلادنا، ويعلّمونهم اللغتين ويدرّسونهم الأدبين، ويحددون طلاب ماهرين إذا جاء المفتش الروسي على المدرسة فهذا الطالب يتكلم وهذا الطالب يتكلم ليعرفوا أنهم متقنين لغتهم، لكن داخل أدراجهم كتبهم التي بلغتهم الأساسية، بقيت تلك الدولة تفعل هذا حتى سقط الاتحاد السوفيتي، فما انهارت تلك الدولة بل رجعت لثقافتها بكل سهولة، فهكذا يفعل أهل الكفر ليحافظوا على قيمتهم، فكيف بأهل الإسلام؟!!

على كل حال هذه بلوى مثل هذه البلوى

فهذه الآية مقدمة لقوله تعالى {لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ}[1]

ما الحل؟

{وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} فكلها قواعد..

سبحان الله!

فأنت لما كان الناس مهزومين وكان الناس مصابين، فأنت عليك تصبر وتتقي، وسترى كيف يزيل الله عزّ وجل عنك البلاء.

الآن الرابح هو الذي كان أمس صابر، ومتقي، ومعتز بدينه، وعقيدته.

---

(1) سورة آل عمران ١٩٦

واليوم الذي سيربح هو الذي يصبر ويتقى ويعتز بدينه وعقيدته؛ فإن ذلك من عزم الأمور.

أتت بعد ذلك آيات تبين حال أهل الكتاب، وحال دناءة نفوسهم، وحبهم للدنيا وطمعهم في الدنيا:

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١]

الآيات السابقة أخبرت من فاز، وهذه الآيات تقول {فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ}؛ وهنا شيء بديع جدًا لكلمة الفوز كيف في آية تتحقق أن هذا الفوز الحقيقي، وفي آية أخرى تحقق زوال الفوز عنهم، وهم يظنون أنهم فائزون لكن أنت لا تظن أنهم فائزون، {فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ}،

عرفنا الآن دناءة الذين كفروا، أنت في مقابل ذلك اصبر واتق فإن ذلك من عزم الأمور، أما هؤلاء الذين أخذ الله ميثاقهم أن يبينوا للناس ولا يكتمون فاشتروا الدنيا وباعوا الآخرة، وفوق هذا

---

(١) سورة آل عمران ١٨٧ - ١٨٨

كله يحبوا أن يُحمدوا بما لم يفعلوا هؤلاء لا تحسبنهم بمفازة من العذاب، وكن متأكدًا أن هؤلاء سيأتي الوقت الذي يُفضحون به، وأتى الوقت الذي يفضحون به الآن؛ على رأس عدد المصابين، وعدد الوفيات، فضح الناس، عرف الناس الحقائق؛ يعني هل هم ما عندهم إمكانيات؟!!

مهما كانت النظريات التي تفسر الحالة التي نمر بها؛ لأنهم الآن على نظريتين لتفسير الحالة التي نمر بها:

- إما الغرور والكبر الذي جعلهم يشعرون أنه سيمر عليهم، وما يموتون.

- أو نظرية قوية أنهم تركوا الأمر بهذه الصورة؛ لأن عندهم فكرة إستراتيجية تقول: خلاص البقاء للأصلح، وهذه فكرة دارِون الانتخاب الطبيعي أن البقاء للأصلح!

فيحسبونها دائما بهذه الطريقة، ما الأوفر علينا؟ نبني مستشفيات ونعالج الناس أم نتركهم يموتون وندفنهم؟ يرون ما الأوفر ويفعلونه، وذكرت لكم من قبل شركة من الشركات الغربية للسيارات وهذا تقرير رسمي اكتشفوا في السيارات عيب يقلب السيارة فيموت الإنسان، فاجتمعوا والمحامي أتى لهم بفكرة أن لو حسبنا نرجع كل السيارات لنصلحها فستكون التكلفة كذا وكذا، وإذا حسبنا أن نعطي بوصلة تأمين بعدما يموت السائق كديَّة في تعبيرنا نحن؛ فحسبوا فطلع الأرخص أن يموتوا ويعطوهم ديَّة،

فاتخذوا قرار أن يموتوا، ويعطونهم بديل عن الميت! لذلك في جملة الآن متكررة في أوساطهم اسمها: مناعة القطيع، أنتم تقولون قطيع الغنم، وهم يقولون مناعة القطيع.

في النهاية لاحظي {وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا}، ويحسبون نفسهم من الدول المتقدمة، ويقولون هؤلاء العالم الأول والعالم الثاني! على أي أساس؟ على أساس ما أتى به الفيروس غير المرئي وفضح الكل والجميع.

وفي كل حال أي سبب لهذا التصرف، فالله هو الذي أضلهم عن الطريق السليم، وجعلهم يُفضحون أمام العالم ويموتوا وتظهر حقيقتهم، والله هذا رحمة بالمسلمين.

الله يبارك في بلادنا، وبلاد المسلمين، ويحفظ علينا ولاة أمورنا، ويحفظ علينا التوحيد، ويرزقهم بطانة صالحة تدلهم على الخير، وتعينهم عليه، نسأل الله أن يعينهم على الخير، ويوصلهم إليه من كل أبوابه.

ولذا بعد هذه الآية الكريمة أن هؤلاء {وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا} قال لنا رب العالمين {فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

هل سنرى عذابهم أو لا نرى؟ هل سنرى فضيحتهم أم لا نرى؟

يمكن لو ختمنا هذه الآيات الشهر الماضي، كنا لن نقول هذا الكلام، لكن قدّر الله أن نختمها هذه الأيام كي نسجلها للتاريخ، حتى لو استعادوا أهل الكفر عافيتهم -الله لا يعيد لهم عافية- المهم أنها انفضحت المنظومة، وظهر للناس الحقيقة على أي تفسير من التفسيرين، في النهاية الله على كل شيء قدير.

{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(١)

الله يدبرنا ويدبرهم، يؤذوننا في ديننا، الله يفضحهم؛ لأنه له ملك السماوات والأرض.

ولاحظوا الواو {فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ}؛ فينزل عليهم العذاب وقتما شاء، كيفما شاء، ويفضحهم سبحانه كيفما شاء، أتُنكر أيها المؤمن أن الله على كل شيء قدير؟!!

ثم أرشد الله المؤمنين كيف يزيدون في اليقين، إذا كنت تعتقد أن الله على كل شيء قدير، فإذا كنت تعلم الشهر الماضي أن الله على كل شيء قدير، فأكيد هذا الشهر زاد يقينك، بأن الله على كل شيء قدير.

فما الذي يزيد يقينك؟

لازم الليالي والأيام تزيد يقينك.

---

(١) سورة آل عمران ١٨٩

المشكلة الآن لما سقطت المنظومة الغربية في جماعة مهزومة نفسيا لازم يبحثون عن أحد يمدحونه، فذهبوا يمدحون لنا المنظومة الشرقية، ويقولون بنوا في عشرة أيام المستشفيات، وفعلت، وفعلت!

طبعاً ما نفاضل لأن الكفر ملة واحدة، لكن لازال أهل الكتاب خير من الوثنيين، ولازالت الرأسمالية خير من الشيوعية.

لما نخلص من أهل الكتاب نذهب للوثنيين؟!! فهذه مصيبة.

لكن أنت زد إيمانك، واكفر بكل ما دون الله، وهذا هو الكفر بالطاغوت، فلا شرق ولا غرب ولا رأسمالية ولا شيوعية، وإنما الإسلام والتوحيد.

وليُعلَم أن هذا الدين لن يُنصر إلا إذا ظهرت مظاهر التوحيد، وزالت مظاهر الشرك، كل الاقتراحات لنصرة الدين لا شيء إلا إذا ابتدأت بالتوحيد..

وقد ضربنا مثال الأسبوع الماضي لرقم المليون قيمته بالواحد، فإذا حذفنا الواحد فلا قيمة له، فاعتبر كل المعدات والآلات والحضارات عبارة عن أصفار، والتوحيد هو رقم واحد ، فإذا وُجد التوحيد صارت الأصفار لها قيمة، وإذا ما وُجد التوحيد فهذه الأصفار ما لها قيمة؛ ولهذا في هذا المقام نوجه رسالة شكر لأهل القطاع الصحي، وكل قطاع وقف في هذه الأزمة موقف شجاع ونسأل الله لهم بمنه وكرمه أن يرزقهم الإخلاص، والصدق، وأن

ينزّل عليهم الإخلاص والصدق والصبر، ويجعل هذا لهم كفارة لما مضى لهم من ذنوب ورفعة في جنات النعيم، ويعوّض عليهم في أبدانهم وأبنائهم وبيوتهم وذريتهم ويصلح أحوالهم ،ويجعل لهم أجر المرابطين.. اللهم آمين.

فإنّ أهل الإيمان في كل شأن مختلفين؛ فاللّه يرزقهم الصدق، والإخلاص، والصبر، واليقين.. اللهم آمين.

على كل حال تيقنا بأن الله على كل شيء قدير، وهذا اليقين جعلنا نطلب زيادة اليقين، فأُرشدنا على زيادة اليقين:

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ(١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَ آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ }[١]

هذه كل المعاني الحمد لله قد بينت لنا، وتبين لنا اليوم أن هذه المعاني تكمل صدر السورة، تكمل مطلع السورة، وعرفنا أن ربنا

---

(١) سورة آل عمران ١٩٠ - ١٩٤

استجاب لهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض.

{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ}(١)

الآن نبدأ في الآيات التي هي ختام للسورة:

{لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ}(٢)

{لَا يَغُرَّنَّكَ} هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، ولكل من يصلح له الخطاب، وفيه النهي عن الاغترار، يعني لما وعد الله المؤمنين بالثواب وكانوا في الدنيا ليسوا أهل نعيم مثل الكفار، ذكر الله ما يسليهم على هذه الشدة ويصبرهم، فلا يغرنك يا أيها السامع، يا أيها المؤمن، أي كل من يصلح له الخطاب يقال له {لَا يَغُرَّنَّكَ}

وقريبًا جاء الكلام عن الغرور: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}

ما معنى الغرور أو الاغترار؟

---

(٢) سورة آل عمران ١٩٥

(١) سورة آل عمران ١٩٦

معناه أن الإنسان ينخدع بظواهر يظن أنها محبوبة، وفي الحقيقة أن العاقبة مكروهة.

ما الشيء الذي نهينا أن يغرنا؟

{تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ} يعني تصرفهم على حسب مشيئتهم، حروب، تجارات، قرارات.

والبلاد المقصود بها الأرض.

ما حقيقته؟ لا تغتر به ظاهره جميل لكن باطنه وعاقبته مضر مكروه.

ما الحقيقة؟

{مَتَاعٌ قَلِيلٌ}، والمتاع هو الشيء الذي يُشترى للتمتع ويكون منفعته عاجلة؛ هناك بعض الأشياء لما تشتريها يقال لك أنت تحرقين مالك، لأنه شيء ثمنه كبير، ومنفعته قليلة.

{مَتَاعٌ قَلِيلٌ}: يعني منفعة عاجلة.

إذًا {لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ}، **ما بيان تقلبهم؟** {مَتَاعٌ قَلِيلٌ}.

وهذا المتاع القليل ما حاله؟

{ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} يعني أن هذا الرخاء ولين العيش لا ينتقل معهم.

{مَتَاعٌ قَلِيلٌ}، فهذا خبر لمبتدأ محذوف؛ **يعني هو متاع قليل**؛ يعني هذا التقلب إنما هو متاع قليل في جنب ما ذكر الله لك من ثواب.

ولنفترض أن أهل الكفر جمعوا كل النعيم في الدنيا -وهو ليس كذلك لأن ما فيه أحد يجتمع له كل النعيم- فماذا تقول في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**واللَّهِ ما الدُّنْيا في الآخِرَةِ إلَّا مِثْلُ ما يَجْعَلُ أحَدُكُمْ إصْبَعَهُ هذِه -وأَشارَيَحْيَى بالسَّبَّابَةِ- في اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْبمَ تَرْجِعُ؟**»[1] هذا الحديث في مسلم.

يعني ماذا سيأخذ الأصبع من اليم؟! ولا شيء؛ اليم هو ثواب الله في الجنة، والذي خرج به الأصبع هو الذي تمتع به المتمتعون؛ لذلك متاع قليل.

نفترض هذا لو جمعوا كل متاع الدنيا، فهو متاع قليل.

ولذا جميل الآن أن نرجع ونقرأ كتاب الرقاق لنسلي أنفسنا بما عند الله، وهذا من أحسن طرق تسلية النفس؛ تذكُّر ما عند الله؛ إذا كان متاع قليل، فوجوده لا يُجدي لواجده، وفقدانه لا يضر فاقده، هذا لازم تقوله لنفسك.

نفترض اليوم منعت نفسك عن شهوة تريدها، فهل في الليل نقص عليك عضو من أعضائك؟

---

(١) الراوي: المستورد بن شداد | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٨٥٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

لا /ولا شيء، وبعد أسبوع تنسى هذه الأمنية، ولو فكرنا بهذه الطريقة ستهون علينا المسائل.

{ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ}

فمصيرهم الذي يأوون إليه جهنم، فهي التي تأويهم، يعني لا يبرحونه

{وَبِئْسَ الْمِهَادُ} بئس الفراش هي.

فتصوروا كيف مصير الأولين إلى جنات النعيم، ومصير الآخرين إلى جهنم وبئس المهاد، وهذا مما جنته أنفسهم وكسبته أيديهم، فهم من مهّدوا لأنفسهم هذا الفراش.

وتصوروا الآخرين:

{لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ}

وما أعجبها هنا {لَٰكِنِ}!

فأنت تخالفهم في الدنيا في طهارتك الحسية والمعنوية، وتخالفهم في نظرك للزمان، فإنّ قرب انبلاج الفجر وقت سمو الروح، فتصلين قبل الفجر ركعتين خير من الدنيا وما فيها، ومن يصلي الفجر بعد قيام الليل في مشاعر ما يخطئها أبدًا؛ مشاعر من الصفاء وغسل الروح ما يخطئها أبدًا، وخصوصًا لو جاهد نفسه وأطال في قراءة الفجر وهذا مسنون، وقالت أسماء رضي الله عنها:

(**ما حفظت سورة يوسف إلا من عثمان كان يقرأها في صلاة**

الفجر كاملةً)، عثمان شهيد المحراب يقرأ يوسف في الفجر ليسلي نفسه.

فوقت الفجر وانبثاق نوره وقت لذكر الله وقت لشكر الله، ما بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، فإذا انتصفت الظهيرة عند أهل الإسلام توقفت كل الأعمال والجري وجددوا طهارتهم البدنية والمعنوية، وصلوا الركعات بعد الركعات يستعدون لصلاة الظهر، فإذا صلوا الظهر ما يتعجلون، بل يصلون الركعتين وكل هذا يجعل لنهارهم طعم، ثم إذا قرب وقت الغروب ومالت الشمس صلوا العصر، ثم إذا غابت صلوا المغرب..

أكيد {لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا} ليسوا مثل هؤلاء البهائم الذين ما يعرفون للزمن قدر إلا على قدر ما يرعون في الدنيا، ولا طهارة معنوية ولا طهارة حسية لهم، أكيد {لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا} أكيد أنهم شيء، وكل العالم شيء آخر.

وهذه الكلمة العجيبة تجعلك تعرف أنهم إذا كان في الآخرة، {لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}، **أكيد أنه** لكن في الدنيا أيضا؛ إذا كان أهل الكفر يجرون جري الوحوش، ويتخاصمون على متاع لا قيمة له، لكن الذين آمنوا يقدّرون الأوقات، وتسمو أرواحهم كل يوم، ويعرفون الله وإذا احتاجوا

لجأوا إليه إلى أن يصل الانكسار والذل لله بنفسه حاجة عند المؤمن.

أكيد شأن آخر؛ ولذا أهل الإيمان دائمًا مميزون، فما هم ممسوخين الهوية لا قيمة لهم.

السورة فيها التقوى والصبر متكرر، فإذا عرفتم أن تنسجوه (يعني تعرفون مواطنه في السورة وتنسجوه) ستجدون علمًا غزيرًا، فالله يوفقنا لمثل هذا.

فأنت قريبًا قرأت: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}.

كل السورة فيها التصريح وفيها التضمين لمسألة الصبر والتقوى ولزومها، في النهاية أتى هذا الوصف التام، ثم تأتي النساء مباشرة: يكون محورها التقوى.

فالذين **اتقوا في سورة آل عمران في معاملة ربهم في الأمور العظام، في موقفهم مع أهل الكتاب، وفي موقفهم مع المنافقين وفي موقفهم في الجهاد، وفي موقفهم في الشبهات، تأتي سورة النساء عن الذين اتقوا ربهم مع الضعفاء، وفي بيوتهم، وفي خاصة أمرهم**؛ لذلك الآن الرجال الذين صاروا محبوسين في البيوت، الله يرزقهم التقوى، ويعينهم على الحبس عند نسائهم.

أنتم الآن كنتم في الساحات تجاهدون، وتطلبون أرزاقكم، وتدافعون عن نفسكم، وتحمون عائلاتكم من الخارج؟

فالآن جاءتكم التقوى في سورة النساء، فاتقوا الله في نسائكم في البيت، ولا تضيقوا عليهم، وأنتم يا نساء اتقوا ربكم فيهم.

تبين لنا (لكن) وموضعها، وتبين **مكان التقوى والصبر في سورة آل عمران في الجهات الكبيرة، وسورة النساء مكان للتقوى والصبر في مواطن الضعف**.. وهذا شيء بديع لما تفهمينه جيدا.

وكيف أن المعنى يبدأ من سورة البقرة الإشارة الى التقوى من أول السورة {**الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**}، ثم السورة كلها تصف المتقين، ثم تأتي آل عمران تزيد تشعب التقوى في دفع الشبهات، وتأتي النساء تقول التقوى ليست فقط في الأمور الكبار وتأسيس العقيدة ورد الشبهات، بل حتى التقوى في الأمور البسيطة التي أنت تراها بسيطة.

لذلك شخصية المسلم عجيبة، التقوى شعاره ودثاره دائمًا، وما يصير تقي في المهمات العظام، ثم لما يذهب بيته يظلم أهل بيته!

الله يفهّمنا القرآن، ويعلّمنا القرآن، ويجعله ربيع قلوبنا، وجلاء همومنا وأحزاننا.

ونرى أيضًا {**اتَّقَوْا رَبَّهُمْ**} لأنهم تفكروا في الربوبية وقالوا ربنا ربنا، كما تكرر في المقطع الذي سبق، رأوا آثار ربوبيته في كل شيء فخرج منهم الألوهية الحق، فالألوهية تتمثل الآن في التقوى..

وماذا لهم؟

✓ {**لَهُمْ جَنَّاتٌ**}

✓ {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}

✓ {خَالِدِينَ فِيهَا}

كل هذه الصفات؛ جنات خالدين فيها، تشويقًا، ترغيبًا، في مقابل: {ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}.

فالمؤمن يتسلى من شئون الدنيا بذكر شأن الآخرة، وفي الحديث في البخاري: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «.حتَّى جِئْتُ، فَإِذَا رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في مَشْرُبَةٍ له يَرْقَى عَلَيْهَا بعَجَلَةٍ، وغُلَامٌ لِرَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أسْوَدُ على رَأْسِ الدَّرَجَةِ ، فَقُلتُ له: قُلْ: هذا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، فأذِنَ لِي، قالَ عُمَرُ: فَقَصَصْتُ علَى رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم هذا الحَدِيثَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ حَدِيثَ أُمِّ سَلَمَةَ تَبَسَّمَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وإنَّه لَعَلَى حَصِيرٍ ما بيْنَهُ وبيْنَهُ شَيءٌ، وتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِن أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ ، وإنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرَظًا مَصْبُوبًا، وعِنْدَ رَأْسِهِ أَهَبٌ مُعَلَّقَةٌ، فَرَأَيْتُ أثَرَ الحَصِيرِ في جَنْبِهِ فَبَكَيْتُ، فَقالَ: ما يُبْكِيكَ؟ فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّ كِسْرَى وقَيْصَرَ فِيما هُما فِيهِ، و أَنْتَ رَسولُ اللَّهِ! فَقالَ: أَمَا تَرْضَى أنْ تَكُونَ لهمُ الدُّنْيَا ولَنَا الآخِرَةُ»[1]

فلما تتأمل هذا تقول: هذا يسلي كل صاحب نقص في الدنيا.

---

(1) الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٤٩١٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح] |

ولذا كان أبو الدرداء يقول: (**ما من مؤمن إلا والموت خير له، وما من كافر إلا والموت خير له**)!

كيف للمؤمن خير له؟

ختام هذه الآية: {وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ}.

وكيف للكافر خير له؟

مر معنا قول الله {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ}

فبهذا فسر أبو الدر داء بآيتين من آل عمران؛ حتى الكافر الموت خير له، حتى لا يملَى له أكثر، حتى لا تزيد عليه.

ثم تفهم أن هذه الجنات تكون من الله نزل:

{نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}

يعني مكان للضيافة، مكان ما يستضيف الله أهل الإيمان، يعني مكان ما يستضيفهم، وبهذا تعرف أنهم سيكونون كرماء على الله؛ فالله يرزقهم، ويعطيهم، رزقًا وعطاءً من عند الله

ثم تأتي جملة تغني بها دائما:

{وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ}

فكلما زاد الإنسان في أعمال البر، كلما كان في باب الخير الذي سيكون عند الله.

وطبعا هنا الآية لم يظهر فيها ماذا عند الله للأبرار، لكن تفرّق في القرآن ما عند الله للأبرار، خاصة في سورة الإنسان، وأيضا في سورة الانفطار {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ}، لكن في سورة الإنسان {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا}، فهذا النعيم الذي ذكره الله للأبرار في مواطن أخرى هنا في جملة مختصرة تتغنين بها؛ تقولين لنفسك كلما جروا الناس في الدنيا {وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ}، وهي جملة عظيمة لمن أحسن التأمل بها ولمن تغنى بها ، وتسلى بها.

{وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}

الآن يأتي الاستثناء على طريقة القرآن العظيمة في العدل، وعدم الظلم، وذكر من استثنى سبحانه وتعالى من السخط والغضب.

السورة كلها حكت آثامهم وأخطاءهم، وكيف نبذوا الكتاب وراءهم، وكيف حرّفوه، فأتت الآيات تخبر عن أن بعضهم لهم مناقب جليلة؛ منهم المشهور عبد الله بن سلام وأصحابه، وقد قيل أن أربعين من أهل وفد نجران ، و(٣٢) من الحبشة ، و(٨) من

الروم كانوا نصارى فأسلموا على عهد النبي الله صلى الله عليه وسلم؛ الظاهر أن هذا من آثار نزول سورة آل عمران .

وتعرفون أن النجاشي لما مات نعاه جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يصلوا عليه.

{لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ} من القرآن {وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ} من التوراة والإنجيل.

{خَاشِعِينَ لِلَّهِ} صادقين في هذا الايمان.

{لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} وهنا تصريح لمخالفتهم لمن ذكرهم الله في أول السياق {فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا}[١]

{أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} إشارة أن مرتبتهم مرتفعة.

وقد جاء مثل هذا في أواخر سورة الحديد

{إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} ختمت الآية بأن الله سريع الحساب؛ أي أن الله عز وجل موصوف بأنه إذا حاسب العباد وفّاهم أجورهم وأثابهم على ما فعلوا، لكن لا تستبطئ ما وعد الله..

وها نحن الحمد لله نرى من آثار قدرة الله وعظمة الله ما نرى، الآن بغض النظر قتلت من أو وصلت لمن؟، لكن كل هذا الذي

---

(١) سورة آل عمران ١٨٧

يجري في لحظات، وما فيه استقرار وما تدري ستصبح ماذا يقال لك؛ فكله دليل على قدرة الله.

نعد صفاتهم هؤلاء المستثنون في آية (١٩٩):

١/ الإيمان بالله.

٢/ الإيمان بما أُنزل على الرسول ﷺ.

٣/ الإيمان بما أُنزل على الأنبياء الذين كانوا قبل الرسول ﷺ يعني يؤمنوا فقط بالتوراة والإنجيل، إنهم على الاستقامة آمنوا بكل الكتب.

٤/ خاشعين لله.

٥/ لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا، كما يفعل بقية أهل الكتاب.

وختمت الآية {أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}، فالله محيط بالخلق، فلا تستبطئ محاسبته لهم.

وبناءً على هذا تأتي الآية التالية:

فلأنه سريع الحساب، فأنت اصبر، وإنّ يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون.

فلما ذكر في السورة كماله وعظمته، وجلاله، وأنه سبحانه وتعالى يدبّر الأمر سبحانه وتعالى، قيل لا تستعجل:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}

هذا خطاب للمؤمنين بعدما عرفتم كل هذه الأمور عليكم بما يلي:

{اصْبِرُوا}

أولًا: اصبروا على الإيمان وطلب زيادة الإيمان، ولا تهملوا طلب زيادة الإيمان والطريق لزيادته ذكرتها الآيات من أول السورة لآخرها.

ثانيًا: اصبروا على أداء الواجبات.

ثالثًا: اصبروا على الانتهاء عن المنهيات.

رابعًا: اصبروا على الأقدار من شدائد الدنيا وفاقتها، والمرض، والقحط، والفقر، فاصبروا يا أيها المؤمنون؛ فهذه الجائحة التي أتتكم اختبار لكم، فاصبروا على ما أصابكم.

{وَصَابِرُوا}

المصابرة عبارة عن تحمّل المكاره والأذية التي يمكن أن تأتي من الخلق، وقد تُفقِد الإنسان صبره حتى على طاعة الله.

فتحتاج مع الصبر مصابرة؛ لأن قد يتسلط عليك هذا وهذا، فتنشغل عن وظائفك في الصبر بهؤلاء، فأنت لازم تصابر؛ يعني تحمل نفسك على الصبر، خصوصا في تحمّل الأخلاق الرديئة التي ممكن تكون من أهل البيت، من الجيران، من الأقارب، وهذا أحسن تفسير للوضع الذي نحن فيه؛ فالإنسان أصبح ليس له

مهرب، دخل في الحصار، أحسن شيء نقول لهم: {اصْبِرُوا وَصَابِرُوا}.

وتذكّروا ربنا يقول: {وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[١] ، وربنا يقول: {وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا}[٢] ، وربنا يقول: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[٣] وربنا يقول: {وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ}[٤] وإن تعفو أقرب للتقوى.

على كل حال {وَصَابِرُوا}

لما تدخل في أبواب المبطلين الذين يأتون بالشكوك، صابروا في هذه الأبواب.

فممكن نقسم الأمر لقسمين:

١- اصبر على الذي بينك وبين الله؛ من زيادة إيمان، وانتهاء عن المنكرات، والقيام بالأوامر، وصبر على الأقدار.

٢- وممكن نجعل المصابرة مع الغير الذين ابتُلينا بهم.

لكن عندنا مشكلة عندنا الغضب، عندنا الحرص، فالمصابرة تجعلنا نجاهد نفسنا، وكل هذه المعاني سنجدها بعد ذلك.

ولما تأتب سورة النساء تكون معتمدة على المصابرة التي بينك وبين الخلق.

---

(١) سورة الأعراف ١٩٩

(٢) سورة الفرقان ٧٢

(٣)سورة الحشر ٩

(٤) سورة البقرة ٢٣٧

{وَرَابِطُوا}

لابد نرابط من أجل أن تحصل المجاهدة؛ ففي كل فعل لازم يكون للإنسان نية واضحة، وغرض وباعث واضح.

فأنت رابط على إرادة رضا الله في كل شأن تكون فيه، ليس على هواك، بل على رضا الله.

ولذلك الآن أن تصلي في وقتها، وخصوصًا الرجال الذين اعتادوا على المساجد، فلما تصليها في وقتها وتكوّن جماعة من أهل البيت فهذا يحتاج له رباط، ولازم يرابط، ففي كل زمان تصلح الآيات أن تعالج مشكلة في هذا الزمان.

فاصبر على أداء حقوق الله، وصابر من حولك، ورابط على إرادة رضا الله، فتفعل ما يريد الله كما يريد الله.

ونصل للأمر الجامع لكل هذا:

{وَاتَّقُوا اللَّهَ}

فلابد أن يكون الصبر والمصابرة والمرابطة كلها صادرة من تقوى.

فأنت ترابط وتلزم وتثبت قلبك على رضا الله، وكل هذا متقيًا سخط الله، وأن تكون في المكان الذي يحبه الله.

والنتيجة المنتظرة:

{لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}

فيحصل لك الفلاح، وهذا الفلاح فوز لا تستطيع أن تقدر قدره، فإنّ الفائزين الفالحين يأتون يوم القيامة وقد فازوا بما يغتبطون به، فيرفعون صحائفهم بأيمانهم، ويشهرون فلاحهم.

لماذا {لَعَلَّكُمْ}؟

لأن المآل غائب.

لعل: ترجية يعني لعلكم تفعلون هذه الأفعال، فتصدقون فيها فتكونون من أهلها؛ فالمآل هنا غائب، فلا تتكلوا على الآمال.

فالله يجعلنا جميعًا من أهل الفلاح الفائزين الصادقين المؤمنين المرابطين الصابرين المصابرين.. اللهم آمين.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يجعل سورة البقرة وآل عمران يوم القيامة غمامتان على رؤوسنا تظلنا من حر شمس ذاك اليوم العظيم،أسأل الله عز وجل أن يرفعنا بالقرآن ويجعله شافعًا لنا ونافعًا لنا في قبورنا وصاحبًا لنا ويقال لنا يا صاحب القرآن اقرأ وارتق فإنّ منزلتك عند آخر آية تقرؤها، اللهم ذكّرنا منه ما نُسينا، وعلّمنا منه ما جهلنا وتقبّل منا واغفر لنا خطأنا واسرافنا في أمرنا وإن كنا قلنا حقا فمنك وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان،

فاللهم اغفر لنا ذنوبنا واستر علينا عيوبنا، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك. والحمد لله رب العالمين.